بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

خطب مهمة لعامة الأمة

جمع وترتيب وإعداد

حسن حمدي جاد

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

الناشر: المكتبة الحسنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الإمـــام ابن الجـوزي رحمه الله تعالي :- " * "

((ولقد جلست يوما فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ، وما فيهم إلا من رق قلبه ، أو دمعت عينه ، فقلت لنفسي كيف بك إن نجو و هلكت ؟!

فصحت بلسان وجدي : إلهي وسيدي إن قضيت علي بالعذاب غدا فلا تعلمهم بعذابي ، صيانة لكرمك لا لأجلي ، لئلا يقولوا : عذب من دل عليه)) !!

*صيد الخاطر ص 321 ، طبعة دار اليقين

مـقـدمـة الكتـاب

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : حياكم الله وبياكم وسدد علي طريق الحق خطانا وخطاكم
الحمد لله .. والصلاة والسلام علي رسول الله محمد وعلي آله وصحبه ومن والاه .

أما بعد

فما من كاتب إلا ستبقي كتاب هذا وإن فنيت يداه
فلا تكتب بكفك غير شئ يسرك في القيامة أن تراه

هذا كتاب " **خطب مهمة لعامة الأمة** " كتاب متواضع جمعت ورتبت فيه موضوعات يعيشها الناس في مجتمعاتهم ليستفيد منها الدعاة إلي الله تعالي علي منابرهم وفي دروسهم ومحاضراتهم .
والله الكريم أسأل وأبتهل إليه بأكف الضراعة ؛ وأضرع إلي أبواب عفوه ورحمته بكل عضو وجارجة أن يجعله خالصا لوجه الكريم وسببا للفوز بالرضي والقبول والتكريم ؛ وأن يجعله لنفع عباده موقوفا وعن أهل التحذلق والتشدد مصونا مصروفا ؛ وأن ينفع من اشتغل به ؛ وأسأله تعالي أن يعلمني ما جهلت ؛ وينفعني بما علمت ؛ وأن يجعل علمي زادا إلي حسن المصير إليه وعتادا إلي يمن القدوم عليه ؛ إنه مولاي بكل جميل كفيل وهو حسبي ونعم الوكيل " ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير"

إليك وإلا لا تشد الركائب ومنك وإلا فالمؤمل خائب
وفيك وإلا فالغرام مضيع وعنك وإلا فالمحدث كاذب

وأنا سائل كل من انتفع بشئ مما كتبت وجمعت أن يدعو لي ولوالدي ولمشايخي وأحبابي وأصحابي وإخواني وعشيرتي ولمن كان له فضل علي ولسائر المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، آمين

إني سألتك بالذي خضعت له السماوات وهو الواحد الباري
أن تستغفر لجامعه لعل جا معه ينجو من النار

فما كان في هذا الكتاب من خطأ أو زلل أو نسيان فمني ومن الشيطان ، وما كان من توفيق فمن الله وحده " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت " هود : 88

وكتبه : حسن بن حمدي جاد
(إمام وخطيب بوزارة الأوقاف)
القاهرة – جمهورية مصر العربية

الأمـانـة وضرورتها

المسألة الأولى : الأمر بالأمانة

1 - قال تعالى : " إنا عرضنا الأمانة علي السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا " (سورِة الأحزاب :72)

2 - قال تعالى : " إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلي أهلها " (سورة النساء: 58)

3 - قال تعالى :" وَإِنْ كُنْتم عَلَى سَفرٍ وَلمْ تجدُوا كَاتبًا فرهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فإِنْ أَمنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِ الذِي اؤْتِمنَ أَمَانَتهُ وَلْيَتقِ اللّهَ رَبه" (سورة البقرة :283)

ورسل الله عليهم الصلاة والسلام يجب أن يتصفوا بالأمانة[1]: ففي القرآن الكريم يتكرر وصف العديد من رسل الله تعالى بقوله تعالى: " إِني لكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ" (الشعراء: 107)

فالأمانة ظهرت في سلوكيات الأنبياء :

1 - فقد شوهدت مخايل الأمانة على موسى - عليه السلام - حين سقى لابنتي الرجل الصالِح ورفقِ بهما ، وكان معهما عفيفًا شريفا ، حتى إن إحدى الفتاتين خاطبت أباها ": قالتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَت اسْتأجره ، إن خَيْرَ مَنِ استأجرت الْقوي الْأَمِينُ" (سورة القصص: 26)

2 - ولما التقى حاكم مصر بنبي اللهِ يوسف - عِليه السِلام - وصِفه بالأمانة، ونقل الله تعالى وصفه ذاك مقرًا له ، قال تعالى ":

1

وَقالَ الْمَلكُ ائْتونِي بِه أَستخلصه لِنَفْسي فَلما كَلمَهُ قالَ إنكَ الْيَوْمَ لدَيْنَا مَكينٌ أَمِينٌ " (سورة يوسف :54)

3 - وكذلك الحال في نبينا صلى الله عليه وسلم ، وكفى دليلاً على أمانته صلى الله عليه وسلم فقد لقبه قومه قبل البعثة بـ " الصادق الأمين. "

والأمانة صفة الملائكة الكرام البررة : قال تعالى في وصف أمين الوحي جبريل عليه السلام : " إنهُ لَقوْلُ رَسُولٍ كَريمٍ . ذِي قوةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ، مُطاعٍ ثم أَمِينٍ " (سورة التكوير:19-21)

والأمانة صفة الصالحين من الجن أيضاً : فلما عرض عفريت من الجن أن يأتي نبي الله سليمان عليه السلام بعرش ملكة سبأ ، ذكر ما يؤهله للقيام بهذه المهمة الشاقة، فكانت مؤهلاته أنه أمين عليه، قال تعالى:" قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِن أَنَا آتِيكَ بِهِ قبْلَ أَنْ تقومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِني عَلَيْهِ لقوِي أَمِينٌ " (سورة النمل: 39)

ومن صفات المؤمنين:" وَٱلذِينَ هُمْ لأَمَٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ راعون" (سورة المؤمنون:8)

وذم الله تعالى أهلَ الكتاب ، أن كان منهم مَن يخون الأمانة فيأكل أموال الناس، قال تعالى :" وَمِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تأمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تأمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدهِ إِلَيْكَ إلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائِمًا" (سورة آل عمران :75)

فضل اتصاف المؤمن بالأمانة :

1 - **الأمانة من الركائز الخُلُقية للمؤمن في دنياه** ففي المسند2/177 وصححه الالباني في السلسلة/733 عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [أ رْبَعُ خلال إِذَا أُعْطِيْتهن فلَا يَضُرك مَا

فاتك مِنَ الدنْيَا : حُسْنُ خَلِيْقةٍ ، وَعَفافُ طعْمَةٍ ، وَصِدْقُ حَدِيْثٍ ، وَحِفْظُ أَمَانَةٍ]

2 - **ومنِ حُرمِ الأمانةَ حُرم الإيمانِ :** ففي المسند عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قالَ: [مَا خَطَبَنا النبي اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْه وَسلم إلا قالَ : لَا إيمَانَ لمَنْ لَا أَمَانَةَ لهُ ولَا دينَ لمَنْ لَا عَهْدَ لهُ] رواه أحمد/12383

3 – **ومن تلبس بالخيانة بِالخيانة فبئسَ البطانة، فهي شر ما يوقره المرء بين جنبيه**، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبي صَلى اللهُ عَلَيْه وَسلَمَ كان مما يدعو به : [اللهُم إني أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ ، فَإِنهُ بِئْسَ الضجيعُ ، وَأَعُوذُ بك مِنْ الْخِيَانَةِ ، فإِنها بِئْسَتِ الْبطَانَةُ] راه النسائي/5469 وابن ماجه/3354 وهوصحيح

4 - **ومَن كانت فيه خصلة الخِيانة كان فيه خصلة مِن خصال المنافقين** ففي الصحيحين عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ أَن النبي صَلى اللهُ عَلَيْه وَسلمَ قَالَ: [آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إذَا حَدث كَذَبَ ، وَإِذَا اؤْتمنَ خَانَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ] خ/33 ، م/59

5 - **والأمانة رمز لبقاء الدنيا وضياعَها علامةً على قُرب نهايتها وقيام الساعةِ، دلالةً على أن لا قِوام للدنيا بغير الأمانة** ففي الصحيحين عَنْ أَبي هُرَيْرةَ أَن النبي صَلى اللهُ عَلَيْه وَسَلمَ قال : [إذَا ضُيعَتْ الْأَمَانَةُ فانْتَظِرْ الساعَةَ) رواه البخاري/59 كتاب الرقاق

6 - **وانتفاء الأمانة في أخلاق أحد النِاس منعِه أن ينال شرف أن يصلي عليه النبي صلى اللهِ عليه وسلم لما مات** ففي المسند عَنْ زَيد بْنِ خَالد الجُهني قالَ : [مَاتَ رَجُلٌ بخَيْبَرَ ، فقالَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم : صَلوا علي صَاحِبكُمْ ، إنهُ غل فِي سَبيلِ اللهِ ، ففتشْنَا مَتاعَهُ فوَجَدْنَا فِيهِ خَرَازً مِنْ خَرزِ يَهودَ، مَا يُسَاوِي دِرْهَمَيْنِ] رواه أحمد/17031 وابن ماجة/2848 وهو ضعيف

المسألة الثانية : مفهوم الأمانة

الأمانة ذات مفهوم واسع ينطبق على كل عمل يوكل إلى المرء ، فهي تشمل مصالح الدين والدنيا معًا ، وعليه فإن الأمانة أنواع :

[1] فالأمانة في أداء التكليفات الشرعية :

فالعباداتُ الشرعيّة أمانةٌ عندنا، ووجه الأمانة فيها أن نؤديها بإخلاصٍ لله، وبموافقةٍ لشرع الله ، لا نبتدعُ فيها ،بالزيادة عليها، أو النقصان منها. ومن اتصف بكمال الأمانة – على هذا النحو - فقد استكمل الدين ، ومن فقد صفة الأمانة فقد فقد الدين كله.

ففي شعب الإيمان للبيهقي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : [الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة، والوزن أمانة ، والكيل أمانة] إلى أن عد أشياءً، ثم قال : [وأشدّ من ذلك الودائع]

وهكذا سائر العبادات الشرعية ، فالزكاة أمانة ، والصوْمُ أمانةٌ ، والحجّ أمانة ، كلّ هذه الأركان أمانةٌ عند المسلم مطلوب منه أن يؤدّيها كما شرعها الله تعالى ، ولا تقف الأمانة عندها، بل تتسع دائرتها لتشمل البرّ والصّلة وسائر الواجبات الشرعيّة. فالدين كله أمانة

ومن الأمانة الدفاع عن العرض وصيانته : وهذا يبحث في باب "دفع الصائل" في كتب الفقه الإسلامي ففي السنن عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد) مسلم/141 والترمذي/1420

[2] الأمانة في المعاملات اليومية مع الناس :

وهذا النوع من الأمانة على كثرة أشكاله، وتتشعب صوره ، ينحصر إجمالاً في أن نعامل الناس بما نحبّ أن يعاملونا به ، فنعاملهم بالأمانة كمانحب أن يعاملونا به ،

ولما سُئلَ النبي صلى الله عليه وسلم عما يُقَرِبُ من الجنة، وُيُبَاعِدُ من النار أجاب: [تعْبُدُ اللهَ لَا تشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَتُقِيمُ الصلَاةَ، وَتـؤْتي الزكَاةَ ، وَتحج الْبَيْتَ وَتصُومُ رَمَضَانَ، قال والذي نفسي بيده لا أزيد عن هذا] البخاري/50 ومسلم/10

وقرر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يؤمِن المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه فعَنْ أَنَس بن مالك أن النبي صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلمَ قالَ :

[لَا يُؤْمِنُ أحدكم حَتى يُحب لِأَخِيهِ مَا يحب لِنَفْسِهِ] البخاري/13 ومسلم/45

المسألة الثالثة : نماذج عملية لأ ثر تخلق أفراد المجتمع بخلق الأمانة

[1] الأمانة في التجارة :

الأمانة ركيزة أساسية وخلق رئيس في التجارة ومن مظاهر أداء الأمانة في هذا المجال أن لا يكون بيع التاجر إلا بيعًا صادقا، لا غش فيه ولا خيانة ، ولا تدليسَ فيه ولا خِداع ، بل بيعَ المؤمن الصادِق ، الذي يعرض سلعته بلا كذب ولا أيمان فاجِرة يروج بها سلعته . والمشتري أمين أيضًا ، وذلك في إعطاء البائع حقه ، وعدم المماطلة فيه ، وعدم الكذب بإدعاء ما ليس في السلعة من عيب ونحو ذلك، وترك الغشّ والخداع .

والمستأجِر - سواء للمنازل أو غيرها كالآلات - مؤتَمن على ما استأجره ، بأن يسلم ما استأجره من غير إخلال بالموعد المحدد ، ولا إلحاق ضرَر بما استلمه.

[2] الأمانِة في توفية الناس حقوقهم :

- فمن الأمانة كِذلك إعطاءُ العمّال والموظفين حقوقهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبِي صَلى اللهُ عَلَيْه وَسلَمَ قالَ: [قالَ اللهُ تعَالَى : ثلَاثةٌ أَنَا خَصْمُهمْ يَوْمَ الْقيَامَة: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثم غدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حرا فأَكَلَ ثمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتأْجَرَ أجير فاسْتوْفَى مِنْهُ وَلمْ يُعْطِهِ أَجْرَه] رواه البخاري/2227
- ومن الأمانة رد العهد والقروض في صحيح البخاري/2387وابن ماجة/2411 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن النبِي صَلى اللهُ عَلَيْه وَسلَمَ قالَ : [مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النِاس يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدى اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَها يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلفهُ اللهُ]
- ونعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليسلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده ، مع أن كفار قريش كانوا قد استفزوه من الأرض ، واضطروه إلى ترك وطنه في سبيل عقيدته ، ولا إساءة أبلغ من ذلك

[3] الأمانة في الوفاء بمقتضيات الوظيفة وعدم استغلال النفوذ

من الأمانة أن يراعي الموظف العام ذو المنصب القيادي أمانة منصبه ، بألا يستغل منصبه في أغراض شخصية ، وأن لا يكون المال العام تحت يده كلأ مباحاً له ولأقاربه !!

ففي صحيح مسلم/142 عن مَعقَلِ بن يسَارٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يَسترْعِي الله عَبدًا رِعِيةً يمُوتُ حين يمُوتُ وهو غاش لها إلا حرمَ الله عليه الجَنةَ)

وضرب لنا السلف الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ أروع الأمثلة في تطبيق الأمانة عملياً :

فقد حدث أن أراد أمير البصرة أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن يرسل بأموالٍ من بيت المال في البصرة إلى بيت المال العام للدولة في المدينة المنورة ، في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه-، فدخل عليه ولدان لعمر بن الخطاب ، كانا عائدين من الجهاد في سبيل الله ، وفي طريقهما إلى بيتهما بالمدينة المنورة ، فأراد أبو موسى الأشعري أن يكرمهما لمكانة والدهما ، فعرض عليهما أن يدفع إليهما المال ليتاجر فيه وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة ، على أن يسلماه لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه ـ فور وصولهما إليه . وفعلاً ، اتجر ابنا عمر بالمال ، فربحا منه مالاً كثيراً ، ولما وصلا إلى المدينة المنورة سلما رأس المال إلى أبيهما ، وحكيا له ما حدث بكل أمانة ، فأبى عمرُ إلا أن يأخذ منهما رأس المال والربح معاً ، لأنهما حين اشتريا أنقص لهما البائعون في الثمن ، ولما باعا زاد لهما

المشترون في الثمن ، فهما ولدا أمير المؤمنين ، والمال في الأساس مال المسلمين

ففي الموطأ عن أَسْلَمَ – رحمه الله - مولى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - أَنهُ قَالَ : [خَرجَ عَبْدُ اللهِ وَعُبَيْدُ اللهِ ابْنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطاب فِي جَيْشٍ إِلَى الْعِرَاقِ ، فلما قفَلا (رجعا) َ أمر عَلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِي وَهُوَ أَمِيرُ الْبَصْرة فرَحبَ بِهِمَا وَسَهلَ ، ثم قالَ : لَوْ أَقْدِرُ لكُمَا عَلَى أَمْرِ أَنْفعُكُمَا بِهِ لفعَلْتُ . ثم قالَ : بَلَى ، هَاهُنَا مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ ، أُرِيدُ أَنْ أَبْعَث بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمنينَ ، فَأُسْلِفكُمَاهُ ، فتبْتاعَانِ بِهِ مَتَاعًا مِنْ مَتَاعِ الْعِرَاقِ ، ثُم تبيعَانِهِ بِالْمَدِينَةِ ، فتؤَديَانِ رأس الْمَالِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَكُونُ الربْحُ لكُمَا. فقالَا : و َدِدْنَا ذَلِكَ . ففعَلَ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطابِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهمَا الْمَالَ ، فَلما قدِمَا بَاعَا فَأُرِبحَا ، فَلما دَفعَا ذَلكَ إِلَى عُمَرَ قالَ : أَكل الْجَيْش أَسْلفهُ مِثْلَ مَا أَسْلفكُمَا ؟ قالَا لَا : فقالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطابِ : ابْنَا أَمِيرِ الْمُؤْمنِينَ ، فَأَسْلفكُمَا ، أَديَا الْمَالَ وربْحَهُ . فَأَما عَبْدُ اللهِ فسَكَتَ ، وَأَما عُبَيْدُ اللهِ فقالَ : مَا يَنْبَغِي لكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذَا لَوْ نَقصَ هَذَا الْمَالُ أَوْ هَلَكَ لضَمِنَاهُ . فقالَ عُمَرُ : أَديَاهُ. فسَكَتَ عَبْدُ اللهِ ، وَرَاجَعَهُ عُبَيْدُ اللهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَاءِ عُمر يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنينَ ، لَوْ جَعَلْتَهُ قِرَاضًا ؟ فقالَ عُمَرُ : قَدْ جَعَلْتهُ قِرَاضًا. فَأَخَذَ عُمَرُ رأس الْمَالِ ، وَنصْفَ رِبْحِهِ ، وَأَخَذَ عَبْدُ اللهِ وَعُبَيْدُ اللهِ ابْنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطابِ نصْفَ رِبْحِ الْمَالِ]

وبعث عمر إلى أبي موسى يوبخه على تصرفه، وذكره بأن المال مال المسلمين ، ليس بمال عمر ، ولا أبناء عمر.

وفي التاريخ الإسلامي : أن القائد الفاتح صلاح الدين الأيوبي رحمه الله كان من أكثر ملوك عصره توفيقا في الفتوح

والنصر، وكان نصيبه من الغنائم كبيرا جدا، إلا أنه أوقفه كله على مدارس ومستشفيات ومساجد ، منتشرة في طول وعرض بلاد الشام ومصر ، مما لايزال بعض آثاره باقيا حتى اليوم ، ولم يترك لنفسه ولا لأولاده شيئا من ذلك ، حتى قالوا إنه حين مات ، مات وهو من أفقر الناس. وهذه هي أمانة القائد ، الذي يأبى أن يتاجر بجهاده ، ويرضى بالله وجنته وثوابه قِسْمَا وحظاً

ومن القصص المعاصرة في هذا الشأن : أن د . علي الخطيب (سكرتير التحرير لمجلة الأزهر) كان إذا أخذ نسخاً اشتراها من مجلة الأزهر ليهديها إلى معارفه كان يدفع ثمنها ، ويربطها بد وبارة ، فإذا عاد في اليوم التالي سلم الدوبار إلى موظفي مجلة الأزهر، ويقول مازحاً : (هذه أمانتكم رُدتْ إليكم).

[4] ومن الأمانة إتقان العمل

من صور الأمانة في إتقان العمل :

- **أمانة** الطبيب المعالج.
- **أمانة** المدرس في حصته التعليمية
- **أمانة** الإعلامي فيما يذيعه للناس
- **أمانة** المحامي في عدم الدفاع عن مروجي المخدرات ومرتكبي الفواحش
- **أمانة** العامل في إتقان صنعته وعدم تضييع وقت إجارته فيما لا ينفع صاحب العمل.
- **أمانة** الحارس والجندي في حفظ ما يحرسه ويحميه
- **أمانة** المرأة في حفظ عرضها

- **أمانة** المفتي في بيان موافقة أحكام الشريعة دون الخوف من البطش الطغاة.
- **أمانة** الزوج في رعاية بيته (فلا يدخل الجنة ديوث) وهو من يعلم الفاحشة في أهله ويسكت
- **أمانة** الموظف في عمله ، بعدم التلاعب في مواعيد الحضور والانصراف وأداء تكليفات العمل المنوطة به ، وإبداء النصح لإصلاح آلية العمل

لقد تفطنت المجتمعات الغربية الكافرة لأهمية خلق الأمانة ، فأصبحوا يتعاملون بها ، لا انطلاقاً من ثوابت دينية ، بل لعلمهم أنها تصلح دنياهم ، فأتقنوا صناعاتهم وتنظيم أمور حياتهم – وهذا من الأمانة. بينما المسلمون فرطوا فيها، فلم تنصلح لنا دنيانا، ولا عملنا لآخرتنا ، ولذلك تجد معظم أمورنا الدنيوية مغشوشة خربة ، فما أكثر السرقات والاختلاسات والغش في التعامل، ونظرة واحدة إلى شوارعنا وبيوتنا ومحلاتنا ومدارسنا ومتاجرنا ، يتبين لنا مقدار ما فيها من الغش والخيانة وانعدام الأمانة ، إلا قليلا

خاتمة : المردود الاقتصادي على الأمة للتخلق بخلق الأمانة باختفاء الظواهر السلبية :

1 - فكم من مسئول سيرعى الله تعالى فيما ائتمنه عليه ، فلا تتخذ القرارت للمحسوبية، وسيعمل جميع
مسئولي الدولة وموظفيها على رعاية مصالح المواطنين بأمانة وإخلاص ، فتكون القرارات مبنية على رعاية الفقير والضعيف ، وصون كرامة المواطن ، وإيصال الحقوق إليه دون عناء ومشقة

2 - وسيعمل التجار بمقتضيات الأمانة في التجارة فلا غش في البضائع ، ولا تلاعب في مكونات تصنيعها ، ولا تطفيف في موازينها ، ولا خداع في ترويجها ، ولا زور في تسويقها ، ولا مكر في سداد ثمنها ، أو قبض أعيانها.. لا ظلم في التعاملات ، فالدين المعاملة

3 - وستختفي ظواهر الرشوة ، والسرقة ، والنصب ، والاحتيال، والاختلاس ، ونهب أموال الدولة وأملاكها ، والتربح من تجارة المحرمات

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

الإبهار فى فضل عمل السر على الجهار

عباد الله :

إن للعبد ذنوبا يفعلها فى السر والجهر ، ولذا رتب الله طاعات يؤديها العبد فى السر والجهر ، ولا يغيب على الله منهما شئ :

روي ابن ماجه / ١٣٥٥ والبخارى/6317 ومسلم /769والنسائى/1619 والترمذى/3418 عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا تهجد من الليل قال : (اللهم لك الحمد ، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد أنت مالك السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت الحق، ووعدك حق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق، والنبيون حق ، ومحمد حق. اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بك)

والطاعات المأمور بها منها ما يطلب أداوه جهارا عيانا ومنها مايطلب أداوه سرا ، ومنها ما يطلب أداوه سرا وجهارا :

ومن المأمورات التى يطلب أداؤها سرا وجهارا التقوى :

عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : (ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما أقول لك بعد) فلما كان اليوم السابع، قال لى :(أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته، وإذا أسأت فأحسن، ولا تسألن أحدا شيئا وإن سقط سوطك، ولاتقبض أمانة، ولا تقض بين اثنين) مسلم/1825 وأبو داود/2868 والنسائي/3667

ومن المأمورات التى يطلب أداؤها جهارا لا سرا : فرائض الدين من صلوات مفروضات وزكاة المال وحـج بيت الله الحرام كل هذا يطلب أداؤه جهارا ، ولايترك الجهر بها خوف الرياء :

أخرج البيهقي- منثور ٢/٨٧ - عن معاوية بن قرة رضى الله عنه قال : (كل شيءٍ فرض اُللهُ عليك فالعلانيـة فيه أفضل)

و روي أحمد/12381 عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب. ثم أشار بيده إلى صدره ثلاثا يقول : التقوى ها هنا، التقوى ها هنا

قلت : الإسلام أى أركان الإسلام الى عليها بنى ؟ ، فهى تؤدى علانية ولو فعلها العبد سرا لاتهم فى إسلامه. ولقد كان الصحب الكرام يعتبرون من يتأخر عن صلاة الجماعة فى المسجد من المنافقين بينى النفاق. قـال ابـن مسعود : فلقد رأيتنا وما يتأخر عن الجماعة منا أحد إلا منافقبين النفاق

وأما الطاعات التى يطلب أداؤها سرا لا جهارا :

سنن الصلوات :

فيستحب أداؤها فى البيت، استرارا بها، لا الفرائض المكتوبات فهى فى المسجد جهارا :

روي البخارى/6113 ومسلم/781 عن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (صلوا أيها الناس فى بيـوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة)

وبيت لا يتق رب فيه إلى الله تعالى هو قبر :

روي البخارى/432 ومسلم /777عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ، ولاتتخذوها قبورا)

1-قيام الليل : فهى عبادة يستحب أن يخفيها المؤمن عن الناس ، بل وأن يترصد أدائها حين غفلتهم :

روي الترمذى2485/ وهو صحيح عن عبدالله بن سلام أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة انجفل الناس إليه لينظروه ، فكانأول ما تكلم به أن قال : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام)

بل وعبد يخفى قيام ليله عن مرافقيه فى السفر لهو من أحب الناس إلى الله تعالى :

روي أبوداود والترمذى والنسائى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم - منثور ٢/٠٨ - عن أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يبغضهم الله: فأما الذين يحبهم ا الله : فرجل أتى قوما فسألهم بالله ولم يسألهم بقرابة فتخلف رجل من أعقابهم فأعطاه سرا لا يعلم بعطيته إلا الله والذى أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم نزلوا فوضعوا رؤسهم فقام رجل يتملقنى ويتلو آياتى ، و رجل كان فى سرية فلقى العدو زموا فأ قبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له وثلاثة يبغضهم الله : الشيخ الزانى ، والفقير المختال ، والغنى الظلوم

أما قراتك القرآن فى قيام الليل، فالسر والجهر لمن استقام قلبه فهو سواء :

روي أحمد/24083 وأبوداود/222 والنسائى / 255وابن ماجه/584 عن عبدالله بن قيس قال وهو صحيح : سألت عائشة أكان رسول الله صلـى الله عليـه وسلم يوتر من أول الليل أو من آخره ؟ فقالت : كل ذلك كان يفعل ، ربما أوتر أول الليل وربما أوتـر آخـره. قلت : الحمد الله الذى جعل فى الأمر سعة ، كيف كانت قراءته ، يسـر أو يجهر ؟ قالت : كل ذلك كـان يفعـل ، ربما أسر وربما أوتر آخره قلت : الحمد الله الذى جعل فى الأمر سعة، كيف كانت قراءتـه، يسـر أويجهر ؟ قالت : كل ذلك كان يفعل ، ربما أسر وربما أوتر آخره. قلت : الحمد الله الذى جعل فى الأمر سعة ، كيف كانت قراءته، يسر أو يجهر ؟ قالت : ربما أوتر آخره. قلت: الحمد الله ربما أوتر آخره. ربمـا أوتـر آخره. قلت: الحمد الله الذى جعل فى الأمر سعة ، كيف كانت قراءته ، يسر أو يجهر ؟ قالت: كل ذلـك كـانيفعل لربما أوتر آخره. قلت : الحمد الله الذى جعل فى الأمر سعة ، كيف كانت قراءته ، يسـر أو يجهر ؟ قالت : كل ذلك كان يفعل ، ربما أسر وربما صدقات فنعمى هى ، وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عـنكم من سيئـاتكم، والله بما تعملون خبير "

٣ـ التصدق : فالصدقة الخفية أعظم أجرا من صدقة العلانية :

ابن المنذر ـ منثور ٨٧/٢ ـ عن أبى أمامة قال : قلت يارسول الله : أى الصدقة أفضل ؟ قال: جهد مقل أو سر إلى فقير. ثم تلى : " إن تبدوا الصدقات فنعمى هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ،.. " أحمد والطبرانى ـ منثور ٨٧/٢ ـ عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أدلك علـى كنز من كنوز الجنة ؟ قلت بلى.

قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة ، قلت: فالصلاة يـارسول الله ؟ قال : خير موضوع ، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر. قلت فالصوم يا رسول الله ؟ قـال : قـرض مجزئ. قلت : فالصدقة يا رسول الله ؟ قال : أضعاف مضاعفة ، وعند الله مزيد. قلت : فأيهما أفضل ؟ قال : جهد من مقل أو سـر إلى فقير

والعبد الذى يتصدق بالصدقة يخفيها لهو ذو مكانة شديد قدرها عند الله تعالى :

روي أحمد ٣/١٢٤ ح١٢١٩٣ بسند صحيح عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لما خلق الله عزوجل الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت ، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال ، فقالت: يـارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال ؟ قال نعم ، الحديد. قالت : يارب هل من خلقك شئ أشد من الحديد ؟ قال :: نعم، النار. قالت : يا رب هل من خلقك شئ أشد من النار ؟ قال : نعم ، الماء. قالت : يا رب هل من خلقك شئ أشد من الماء ؟ قال : نعم، الريح. قالت : يا رب هل من خلقك شئ أشد من الريح ؟ قال : نعـم ، ابـن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله

وصدقة السر تطفئ غضب الله على العبد المذنب :

روي ابن أبى الدنيا فى الحوائج والبيهقى فى الشعب - منثور ٢/٩٧ - عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صـلى الله عليه وسلم قال : (صدقة السر تطفئ غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر ، وفعل المعروف يقى مصارع السوء)

وقد كان الصحب الكرام يحبون الاستترار بصدقاتهم :

روي أحمد ٢٦٢/٣ عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية : " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" و"من ذا الـذى يقرض اَللهَ قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة" قام أبو طلحة ـ وكان له حائط يسم بيرحاء ـ فقال يـارسول ا الله : حائطى الله، ولو استطعت أن ُأسره لم أعلنه . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اجعله فى قرابتك فقسمها بين حسان بن ثابت وُأبى بن كعب)

وبالجملة : كانوا يهتمون بطاعاتهم التى يفعلونها فى السر ويخشون ضياع الأجر عليها إذا ما عرفها النـاس :

روي الترمذى وابن ماجه ١٤١٢/٢ ح٤٢٢٦ عن أبى هريرة أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسـول الله، إنى أعمل العمل فيطَّلع عليه ، فيعجبنى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لك أجران، أجر السر وأجـر العلانية.

وذكر الله تعالى يستحب قوله سرا، لا أن ينشره الرجل بين النـاس، فخير الذكر الخفى :

روي ابن حبان٢٣٢٣ ـ صحيحة ١٨٣٤ ـ بسند فيه نظر أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال : (خيـر الـذكر الخفى، وخير رالرزق ما يكفى)

فالله تعالى يسمعك وليس هو بأصم ولا هو غافل عنك :

روي مسلم ٤١/٧١ ح٢٧٠٤ عن أبى موسى الأشعرى قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ، فجعـل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم ، إنكم ليس تـدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم. قال أبو موسى : فقال لى وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة إلا با

الله : يا عبدالله بن قيس ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ فقلت : بلى يا رسول الله قا ل : قال : لا حـول ولا قوة إلا بالله

4-وخشيتك و رهبتك الله وبكاؤك بين يديه، هذا مما يكون فى السر :

روي البخارى/1423 ومسلم/1031 والنسائى/5380 عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (سبعة يظلهم الله فى ظله يـوم لاظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل، و رجل قلبه معلق بالمساجد، و رجلان تحابا فىالله اجتمعا علي ذلك وتفرقا عليه ، و رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، و رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، و رجل ذكر اَللهَ خاليا ففاضت عيناه)

والعبد الذى يخفى طاعاته عن الناس ولا يحب الظهور بينهم هو حبيب الله تعالى

روي مسلم ١٣٣/٨١ ح٢٩٦٥ عن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال : كان سعد بن أبى وقاص فى إبله فجاءه ابنـه عمر ، فلما رآه سعد قال : أعوذ بالله من شـر هذا الراكب ، فنزل عمر ، فقال لسعد : أنزلت فى إبلـك وغنمـك وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ فضرب سعد فى صدره فقال : اسكت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يحب العبد التقى الغنى الخفى

وقد كان مثل ذلك العبد هو مغبوط عند النبى صلى الله عليه وسلم، مسرور به :

روي أحمد ٢٥٥/٥ ح٢٢٠٩٧ ـ بسند صحيح ـ عن أبى أمامة أن النبى صلى الله عليه وسلم قـال : (إن أغبط الناس عندى عبد مؤمن خفيف الحاذ

، ذو حظ من صلاة ، أطاع ربه وأحسن عبادته فى السر، وكان غامضا لايشار إليه بالأصابع، وكان عيشه كفافا ، وكان عيشه كفافا ، فعجلت منيته، وقلّت بواكيه ، وقلَّ تراثه)

ومثل هذا العبد قلبه نقى مملوء بالإيمان، مثلُ قلبه كمصباح يهدى الناس فى ظلماتهم :

روي ابن ماجه ١٣٢٠/٢ ح٣٩٨٩ عن عمر بن الخطاب أنه خرج يوما إلى المسجد فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يبكى ، فقال له عمر: ما يبكيك ؟ قال معاذ : يبكينى شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن يسير الرياء شرك، وإن من عادى الله وليا فقد بارز اَللهَ بالمحاربة ، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإن حضروا ولم يدعوا ولم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة

ولكن كم من الناس يعمر ما بينه وبين الله بعمل السر ؟

روي البخارى/6498 ومسلم /2547 عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إنما الناس كإبلٍ مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة)

أخى الكريم :

روى أحمد/7085- 6839 عن خيثمة بن أبى عبدالرحمن أن عبدالله بن عمرو العاص قال لعبد الله بن عمر : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وصغره وحقره) قال خيثمة : فذرفت عينا عبدالله

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

التحلل من المظالم

لا شك أن الظُّلم مرتعه وخيم، والظُّلم من أقبح المعاصي وأشدها عقوبة وقد حرم الله جلَّ جلالـه الظُّلم في كتابه الكريم ، وعلى لسان نبيه الأمين صَّلى الله عليه وسَّلم ومن يستعرض القرآن الكـريم والسنَّة النبوية يقف على مئات الآيات والأحاديث التي تحدثت عن الظُّلم والظَّالمين ، وتوعدت الظّلمة ولعنتهم ، والظَّالم الذكي الحصيف ، من يسارع بطلب العفو والمغفرة ممن ظلمهم، قبل فـوات الأوان والعض على الأنامل والشِّفاه ، فما يزال في الدنيا حي يرزق

الأصل في المسلم أنه لا يعتدي على أخيه المسلم، ولا يظلمه ...

في الصحيحين (البخاري/6484، ومسلم /40) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النّبي صّلي الله عليه وسّلم قال :

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نـهى الله عنه)

من شريعتنا المطهرة : أن يطلب الظالم العفو ممن ظلمه ...

كما في صحيح البخاري/2449 ، والترمذي /2419 وأحمد في المسند /10573

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النّبي صلي الله عليه وسلم قال : (من كانـت عنـده مظلمة لأخيه ، من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم ، قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان لـه عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه)

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا الشيء وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تـأخر فغيره أولى أن يتحلل من النـاس في شيء من عرض أو مال أو في الجسد أو غير ذلـك ، قبـل أن يؤخذ منه حسنات يوم القيامة :-

1- في سنن أبي داوود/ 5224 وهو صحيح الإسناد عن أسيد بن حضير عدل رسول الله صَّلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه يوم بدر، أسيد بن حضير قَالَ : [أن النّبي صَّلى اللَّه عليه و سَّلم طعن أحدهم في خاصرته بعود فقال الرجـل أصبرنـي (أي أقدني) فقال أصطبر. فقال الرجل : إن عليك قميصا وليس علي قميص !!
فرفع النبي صلي الله عليه وسلم عن قميصه فاحتضنه الرجل وجعل يقبل كشحه (بطنه) ويقول : إنما أردت هذا يارسول الله "

وفي معجم الصحابة لابن قانع عن عبد الله بن جبير الخزاعي قال : ["طعن رسول الله صـلي الله عليه وسلم رجلا في بطنه، إما بقضيب وإما بسواك ، فقال الرجل أوجعتنــي ، فأقـدني. فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم العود الذي كان معه ، ثم قال له : "استقد" ، فقبل الرجُلُ بطنه ثم قال : أعفو عنك ، لعلك تشفع بها لي يوم القيامة]

2- **وفي معرفة الصحابة لأبي نعيم عن حبان بن واسع عن أشياخ مـن قومـه** [أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر بسوادبن غزية حليف بني عدي بن النجار، وهو مستنتل من الصف ، فطعن رسول الله صـلى اللهعليه وسلم بالقدح في بطنه، وقال : "استو يا سواد"، فقا ل : يا رسول الله ، أوجعتني، وقد بعثـك الله بالعدل ،

فأقدني. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "استقد". قا ل : يا رسول الله، إنك طعنتني وليس علي قميص. فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ، وقال : "استقد". فاعتنقه سواد ، و قبَلَ بطنه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما حملك على هذا يا سواد" ؟ قال : يا رسول الله، حضرني ما ترى ، ولم آمن القتل ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير]

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا كل الحرص على أن يموت يوم يموت وليس لأحد عنده مظلمة ...

ففي السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة [أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول ا الله ،سعر. قال : "بل ادع الله"، ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله، سعر. قا ل : "بل الله يرفع ويخفض ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليست لأحد عندي مظلمة "]

وقبل أن يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر وهو مريض مرض الموت ، وطلب العفو من كل الناس، حتى يتيقن أنه إذا مات مات وليس عليه مظلمة لأحد ..

ففي مصنف عبد الرزاق ومعجم الطبراني الكبير والأوسط عن حفص بن ميسرة
[أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما عاصبا رأسه بعصابة حمراء متكئا، معتمدا على الفضل بن عباس، فقال :
" الصلاة جامعة "، فاجتمع الناس فصعد المنبر ، وقال : أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وقد دنا منيحقوق ، من بين أظهركم، فمن شتمت له عرضا فهذا عرضي ، فليستقد منه ، ومن ضربت له

ظهرا فهذا ظهري ، فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالي ، فليأخذ منه ، ولا يقولن أحدكم إني أتخوف الشحناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا وإنها ليست من طبيعتي ، ولا من خلقي ، وإن أحبكم إلي من أخذ حقا إن كان له ، أو حللني فلقيت ربي ، وأنا طيب النفس ". فقام رجل فقال : أنا أسألك ثلاثة دراهم ، فقال : من أين ؟ قال : أسلفتكم يوم كذا وكذا ، فأمر الفضَلَ بن عباس أن يقضيها إياه "]

وإذا تعدى ولي الأمر على أحد بغير حق جاز لأفراد الأمة الاقتصاص من ولي الأمر ...

1- في الطبقات الكبرى عن عمرو بن شعيب قال : (لما قدم عمر الشام أتاه رجل يستأديه على أمير ضربه ، فأراد عمر أن يقيده ، فقال عمرو بن العاص : أتقيده منه ؟ قال : نعم ، قال : إذا لانعمل لك على عمل. قال : لا أبالي ، ألا أقيد منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي القود من نفسه ؟ قال : أفلا نرضيه ؟ قال : أرضوه إن شئت)

2- وفي المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب الخلافة والإمارة، باب قصاص الأمير من عامله لرعيته ، بإسناده عن عطاء قال : ["كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله فيوافونه الموسم، فيقول يا أيها الناس، إني لم أستعمل عمالي ليصيبوا من أبشاركم، ولا من أموالكم، ولا من أعراضكم، ولكني إنما استعملتهم عليكم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم فمن كانت له مظلمة عند أحد منهم فليقم. فما قام منهم يومئذ غير رجل واحد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عاملك ضربني مائة سوط. قال عمر: قم ، فاستقد منه. فقال عمرو بن العاص : يا أمير ،

إنك إن تفتح هذا على عمالك يكون سنة يستن بها بعدك. فقال : أنا لا أقيد منه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيد من نفسه ؟ فقال عمر : دعنا فلنرضه قال : فأرضوه ، فافتدوا منه بمائتي دينار ، كل سوط بدينارين "].

3- وفي سنن البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قام يوم جمعة فقال : "إذا كان بالغداة فاحضروا صدقات الإبل تقسم ، ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن، فقالت امرأة لزوجها : خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملا ، فغدا الرجل فوجد أبا بكر وعمررضي الله عنهما قد دخلوا إلى الإبل ، فدخل معهما، فالتفت أبو بكر رضي الله عنه فقال : ما أدخلك علينا ؟ ثم أخذ منه الخطام فضربه ، فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام ، وقا ل : استقد ، فقال له عمر: والله لا يستقيد، لا تجعلها سنة. قال أبو بكر: فمن لي من الله يوم القيامة ؟ فقال عمر رضي الله عنه : أرضه، فأمر أبو بكر الصديق رضي اللهعنه غلامه أن يأتيه براحلته ، ورحلها، وقطيفة ، وخمسة دنانير، فأرضاه بها].

وإذا تعدى مندوب ولي الأمر على أحد بغير حق جاز لأفراد الأمة الاقتصاص من ولي الأمر أو أن يسترضيهم ...

ففي سنن النسائي/4778 وأبو داوود/4534 وهوصحيح عن عائشة أن النبي صلي الله عليه وسلم بعث أبا جهم بن حذيفة مصدقا . فلاحاه رجل في صدقته فضربه أبو جهم فأتوا النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا : القود يا رسول الله

فقال لكم وكذا فلم يرضوا .فقال لكم كذا وكذا فرضوا به ، فقال النبي إني خاطب علي الناس ومخبرهم برضاكم فقال نعم ،فخطب النبي

فقال : إن هؤلاء أتوني يريدون القود فعرضت عليهم كذا وكذا فرضوا ، قالوا لا . فهم المهاجرون بهم فأمرهم رسول الله أن يكفوا ، ثم دعاهم فقال أرضيتم قالوا : نعم
قال : فإني علي الناس ومخبرهم برضاكم فقالوا نعم فخطب الناس فقال لهم : أرضيتم قالوا نعم)

أخي المسلم :

تدارك نفسك فالدنيا تمر وتزول ، ويوم القيامة يوم العدل والحساب ، الذي لايؤدي الحقوق في الدنيا فسيؤديها يوم القيامة، وفي الدنيا سيؤدي المال مالا ، ويمكن أن يعفو غريمه ويسامح ، أما يوم القيامة فسيؤدي المال من حسناته. والمفترض أن الإنسان يحتفظ بحسناته ؛ لأنّه لا يدري هل حسناته ستكفي بأن يدخل الجنة أو لا تكفي ؟.

يوم القيامة هو يوم استيفاء الحقوق، هو يوم لا ظلم فيه ... !!

قال تعالي :(يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18))
سورة غافر:15-18)

ومن تمام العدل يوم القيامة أن مظالم كل الكائنات مع بعضها البعض يقتص لها يوم القيامة، حتى الحيوانات العجماوات ...

ففي صحيح مسلم/2582 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) !!

ومهما كنت من ولي من أولياء الله ، أو عالم عامل ، أو مجاهد شهيد ، كل أولئك لا يبرؤن من الحقوق والمظالم التي هي في رقابهم حتى تستوفى منهم يوم القيامة ..

ففي صحيح مسلم/1886 عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين]

ويمنع الصالحون من دخول الجنة بعد نجاتهم من النار ، إلا أن تقتص منهم المظالم ...

1- في مسند ابن أبي شيبة ومشكل الآثار للطحاوي عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن أنيس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [يحشر الله الناس عراة غرلا بهما ، قال الناس : فما بهما؟ قال : " ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمع من بعد ، كما يسمع من قرب : أنا الملك أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، ولأحد من أهل الجنةعنده مظلمة ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولأحد من أهل النار عنده مظلمة ؛ حتى أقصه منه". قلت : وكيف ، وإنما نأتي الله عراة غرلا بهما ؟ قال : "بالحسنات وبالسيئات "]

1- وفي تفسير الطبري بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: (إذا نجى الله المؤمنين من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فاقتص بعضهم من بعض، مظالم كثيرة كانت بينهم في الدنيا ، ثم يؤذن لهم بالدخول في الجنة، فما كان المؤمن بأدل بمنزله في الدنيا منه بمنزله فيالجنة حين يدخلها)

ويومها قد يصبح ذو العمل الصالح الكثير مفلسا من كثرة الحقوق والمظالم التي في رقبته ...

وفي صحيح مسلم/2581ومسند أحمد/8029 عن ثوبان أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : [أتدرون من المفلس ؟. قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال صلّي الله عليه وسلّم : إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته من قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار]

ومن هذا المنطلق بني حق القصاص في الشريعة الإسلامية :

قال تعالي (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) المائدة /45

الخطبة الثانية

مما تحتاج إلى التحلل منه :

الطّعن في العرض أن يقول : فلان زان .. فلان يقذف المحصنات الغافلات .. فلان يفعل كذا

ومن المظلمة في العرض : الغيبة والنَّميمة ، بأن ينقل كلاما من شخص لشخص ويفسد فيما بينهما ، فهذا من الطّعن في عرض إنسان للإفساد بينهما ، فهذا من ضمن المظالم التي سيدفع ثمنها يوم القيامة. قال صلّى الله عليه وسلّم : (من كانت عنده مظلمة من عرض أو من شيء) فـ(شيء) هنا نكرة في سياق الشّرط فتعم ، فمعناه : حتّى لو كان شيئا ليس له قيمة؛ فسيحاسب عليه العبد يوم القيامة

أحيانا بعض النّاس قد يتساهل في أمر المظالم في الأشياء التافهة فقد يقول لك : أعطني القلم أكتبه ، فيكتب ثم يضعه في جيبه ، ثم يقول : أنا سأبحث عن صاحبه وأعطيه ، وانتهى الأمر ولم يعطه ؛ لأنّه لا يوجد أحد يتابع بعده. فهذه الأشياء التافهة هي من ضمن المظالم ، فأنت ما يدريك أن صاحبه موافق على أخذه، ولعلك تأخذ الشيء فيقول صاحبه بعد ذلك : لن أعطي أحدا شيئا ؛ لأنهم يأخذونها ولا يردونها

وتقول للإنسان : أعطني قلمك أكتب، فيقول لك : لا تنسه وتضيعه مثلما عمل الذي قبلك فأنت قد تستهين بالشّئ وتمنع خيره غيرك، بغض النّظر عن أنّك ستؤديه يوم القيامة كما سنرى في بعض الأحاديث ، قال لنا صلّى الله عليه وسلّم : (قبل ألا يكون دينار ولا درهم) ورأينا في حديث النّبي صلى الله عليه وسلّم كيف أنَّه

خطب النّاس وقال : (من كنت ظلمته في عرضه أو ماله فليستقد)
إذا كان النَّبي صلّي الله عليه وسّلم يقول هذا الشّئ ، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ فغيره أولى أن يتحّلل من الناس في شيء من عرض أو مال أو في الجسد أو غير ذلك ، قبل أن يؤخذ منه حسنات يوم القيامة.

ويتحلَّل الإنسان من حقوق النّاس بأحد أمرين : إما بالوفاء، وإما بالإبراء !!

أما الوفاء فإذا كانت أموا لا يردها إلى أصحابها إن كان يعلمهم ، وإن كان قد نسيهم فليتذكر، وإن كان يجهل مكانهم فليبحث ، فإذا تعذّر العثور عليهم فليتصدق بها عنهم، ويكون لهم أجرها ، وله هو أجر التّوبة ، وإن كان أصحابها قد ماتوا وخّلفوا ورثة؛ فإنّه يبحث عن ورثتهم، ويسلم إليهم المال ، لأن المال انتقل إلى الورثة بعد موت المورث ، فإن جهل الورثة ولم يعلم عنهم شيئا ، ولم يتمكن من العثور عليهم، يتصدق به عنهم ، لأنه انتقل إليهم.

وإذا كان الحقُّ عرضا : بأن يكون قد تكلم في عرضه وسبه فإنّه يتحَّلل منه ، بأن يطلب منه العفو فيقول : إنِّي أرجو أن تعفو عما قلت فيك، فقد قلت كذا وكذا، فينبغي من المظلوم الذي طلب منه العفو أن يعفو "(فمن عفا وأصلح فأجره على الله" ، كما قال الله تعالى : "وإِن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولِئِن صبرتم لهو خير لِلصابرين") (النحل:١٢٦).

وإن كان هذا المظلوم في عرضه لم يصل إليه خبر ، فلم يعلم أنّك اغتبته مثلا ، فمن أهل العلم من يقول : اذهب إليه وأخبره ، واطلب منه العفو، ومنهم من يقول : لا تخبره ما دام لم يعلم ، ولكن استغفرله،

وأثني عليه بالصفات التي هو متصف بها وهي حميدة ، في الأماكن التي اغتبته فيها ؛ فإ ن الحسنات يذهبن السيئات ، وإن كان حقوقا أخرى فعلى هذا الباب تذهب إليه وتستحُّ له ، وإذا أحلك فإن هذا من تمام توبتك ، فإن قدر أنك قد اغتبت شخصا قد مات، ولا تتمكّن من الاستحلال من الغيبة ، فإن الله إذاعلم من قلبك صدق النّية فهو سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، ربما يتحمل عنك هذه المظلمة ، ويأجر صاحبها ويثيبه عليها، فهو أرحم الراحمين ، وأجود الأجودين

ولك أن تعفو عن أخذ القود ، وهذا فضل منك ... !!

1- روي أحمد في المسند/1674 عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [ثلاث والذي نفس محمد بيده ، إن كنت لحالفا عليهن: لا ينقص مال من صدقة، فتصدقوا ، ولا يعفو عبد عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر].

أخي الكريم : أبشر فلقد وعدك النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة إن أنت بادرت وتحللت من مظلمتك في الدنيا ... !!

ففي البخاري/2449 واللفظ له وأحمد/9615 عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ["رحم الله عبدا كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فجاءه، فاستحله قبل يوم القيامة، فإنه ليس ثم دينار ولادرهم، فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم تكن له حسنات حملو ا عليه من سيئاتهم "]

أخي الكريم : تحلل من مظلمتك، فقط قليل من التّنازل عن الكبرياء والعظمة، وقليل من التواضع والرحمة، والمستفيد الحقيقي هو الظّالم نفسه، لو فقه وفهم وعلم.

في صحيح مسلم/2504 ومسند أحمد/20640 عن عائذ بن عمرو [أن سلمان وصهيبا وبلالا كانوا قعودا ، فمر بهم أبوسفيان فقالوا : "ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها بعد". فقال أبو بكر : تقولون هذا لشيخ قريش وسيده ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : يا أبا بكر ، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك". فرجع إليهم أبو بكر فقال لهم : يا إخوتاه ، لعلي أغضبتكم ؟ قالوا : لا يا أبابكر، يغفر الله لك].

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

التخلص من المال الحرام

من المسائل التي كثر تداولها في العصر الراهن طريقة التخلص من المال الربوي إذا تحصل بيده شيء من ذلك ، وذلك لما شاع التعامل بالربا ، بل وأحياناً عدم القدرة على الفرار منه - والله المستعان فأردت أن أجمع كلام العلماء في ذلك فتحصل لي ما يأتي :
هذا وإن يكن من خطأ أو غفلة أو نسيان فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، وإن يكن من صواب فمن الله وحده

مسألة : التخلص من المال المحرم كمال الربا :

يجب على من حصل بيده مال عن طريق محرم كالربا أن يبادر بالتخلص منه على الفور ؛ لأنه من جملة المال المكتسب عن طريق غير شرعي
وأصول الأدلة من الكتاب والسنة في ذلك متوافرة وقد جاء عن السلف في ذلك جملة من الآثار، منها : ما ورد عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزهْري عَنْ رَجُلٍ يُصِيبُ الْمَالَ الْحرام، قالَ : (إنْ سَرهُ أَنْ يَتبرأ مِنْهُ فَلْيَخْرجْ مِنْهُ)

وأما المقدار المخرج من المال فله حالتان :

الأولى : إذا علم مقدار المال على وجه التحديد؛ فيخرجه كما هو.
الثانية : إن لم يعلم مقداره واختلط بغيره من الأموال، فإنه يجتهد ويخرج ما أمكنه.

وفي المسألة فروع ، هي :

= الفرع الأول : المال الربوي ، هل له التصرف فيه ؟

قد اتفق فقهاء الإسلام – فيما اطلعت ـ على أن المأخوذ من الربا لا يحل للمسلم تملكه ولا حيازته لنفسه ، وأنه يرد إلى صاحبه إن علمه واختلفوا إذا لم يعلم مالكه هل له أن يتصرف فيه أو أن يتوقف في أمره ، فوقع الخلاف بينهم في جواز التصرف بهذا المال على قولين

القول الأول : إنه يتصرف فيه وفق المصارف الشرعية : وهو رأي جمهور العلماء من الحنفية ، والمالكية والشافعية والحنابلة

القول الثاني : إنه يحفظه ولا يتصرف فيه : وُنسب هذا القول للشافعي :

أدلة القول الأول :

الدليل الأول : في سنن أبي داوود /3332 وأحمد /22509 ما روي عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على القبر يوصي الحافر : أوسع من قبل رجليه ، أوسع من قبل رأسه ، فلما رجع استقبله داعي امرأة ، فجاء وجيء بالطعام ، فوضع يده ، ثم وضع القوم ، فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوك لقمة في فيه، ثم قال : إني أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها، فأرسلت المرأة يا رسول الله ، إني أرسلت إلى البقيع ليشترى لي شاة، فلم أجد ، فأرسلت إلى جار لي ـ قد اشترى شاة ـ أَنْ أَرْسِلْ إِلي بثمنها ،فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته ، فأرسلت بها إلي، فقال _عليه السلام_ : أطعميه الأسارى

ووجه الدلالة من هذا الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم وجه إلى الانتفاع بهذا اللحم المشوي المسروق ، ولم يأمر بإهداره بالحرق مثلاً ، بل استبقى ماهيته ووجه إلى الانتفاع به

ومن ثم يحل الانتفاع بالمال المكتسب من حرام بإنفاقه في المصالح العامة للمسلمين كرصف الطرق وإنشاء الكباري وإقامة السدود ونظافة الشوارع وإنارتها ولا يحل الانتفاع به في مصلحة الإنسان الشخصية

الدليل الثاني : واقعةُ الرهان الذي أجراه أبو بكر الصديق مع المشركين بعد نزول قوله تعالى : " الم غُلِبَتِ الرومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلبهِمْ سَيَغْلِبُونَ " (الروم:3-1)
وكان هذا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقق الله صدقه ، وجاء أبو بكر بما راهن المشركين عليه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :" فتصدق به"، وكان قد نزل تحريم الرهان بعد إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المخاطرة مع المشركين

الدليل الثالث : ما روي عن ابن مسعود أنه اشترى جارية فلم يظفر بمالكها ليعطيه ثمنها، فطلبه اكثير فلم يظفر به ،فتصدق بثمنها ، وقال : اللهم هذا عنه إن رضي ، وإلا فالأجر لي

الدليل الرابع : أنه إذا تعذر ردها لصاحبها وجهل فإن المجهول كالمعدوم ، ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في اللقطة : " فإن وجدت صاحبها فارددها إليه ، وإلا فهي مال الله يؤتيه من يشاء"

وجه الدلالة : أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن اللقطة التي عرف أنها ملك لمعصوم ، وقد خرجت عنه بلا رضاه إذا لم يوجد فقد آتاها الله لمن سلطة عليها بالالتقاط الشرعي

الدليل الخامس : أنه لا يجوز إتلاف هذا المال ورميه في البحر؛ فلم يبق إلا صرفه في مصالح المسلمين.

الدليل السادس :" اتفق المسلمون على أنه من مات ولا وارث له معلوماً ، فماله يصرف في مصالح المسلمين ، مع أنه لا بد في غالب الخلق أن يكون له عصبة بعيد، لكن جهلت عينه، ولم ترج معرفته فجعل كالمعدوم" قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى

الدليل السابع : أن هذه الأموال لا تخلو : إما أن تحبس ، وإما أن تتلف ، وإما أن تنفق

فأما إتلافها فإفساد، والله لا يحب الفساد ، وهو إضاعة لها ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن إضاعة المال

وأما حبسها دائماً أبداً إلى غير غاية منتظرة ، بل مع العلم أنه لا يرجى معرفة صاحبها ولا القدرة على إيصالها إليه ، فهذا مثل إتلافها ، فإن الإتلاف إنما حرم لتعطيلها عن انتفاع الآدميين بها ، وهذا تعطيل أيضاً ، بل هو أشد منه من وجهين

أحدهما: أنه تعذيب للنفوس بإبقاء ما يحتاجون إليه من غير انتفاع به.

الثاني : أن العادة جارية بأن مثل هذه الأمور لا بد أن يستولي عليها أحد من الظلمة بعد هذا إذا لم ينفقها أهل العدل والحق ، فيكون حبسها إعانة للظلمة وتسليماً في الحقيقة إلى الظلمة ، فيكون قد منعها أهل الحق وأعطاها أهل الباطل ،ولا فرق بين القصد وعدمه في هذا ، فإن من وضع إنساناً بمسبعة فقد قتل ، ومن ألقى اللحم بين السباع فقد أكل

، ومن حبس الأموال العظيمة لمن يستولي عليها من الظلمة فقد أعطاهم إياها. فإذا كان إتلافها حراما وحبسها أشد من إتلافها تعين إنفاقها ، وليس لها مصرف معين ، فتصرف في جميع جهات البر والقرب التي يتقرب بها إلى الله ؛ لأن الله خلق الخلق لعبادته ، وخلق لهم الأموال ليستعينوا بها على عبادته فتصرف في سبيل الله ، والله أعلم

قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى الكبرى) بحذف استطراد يسير، وترتيب للبيان

أدلة القول الثاني :

الدليل الأول : قوله تعالى :" يَا أَيهَا الذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طيبَاتِ مَا كَسَبْتمْ وَمِما أَخْرَجْنَا لكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ولَا تيَممُوا الْخَبيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلستم بِآَخِذِيهِ إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ..." [البقرة:٢٦٧]

الدليل الثاني : ما ثبت في صحيح مسلم /1015 والترمذي /2989 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال يَاأَيها الرسُلُ كُلوا مِنَ الطيبَاتِ وَاعْمَلوا صَالحًا إِني بِمَا تعْمَلونَ عَليمٌ " [المؤمنون:١٥) وقال :" يَا أَيها الذِينَ آَمَنُوا كُلوا مِنْ طَيبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم " [البقرة:١٧٢]

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟"

الدليل الثالث : ما رواه ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " والذي نفسي بيده لا يكسب عبد مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار "

ووجه الدلالة من هذه الأدلة : أن هذه النصوص قاطعة في أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، فلا يقبل من الصدقة إلا ما كان مالاً حلالاً ، مكتسبًا بطريق مشروع ، وأن النفقة الحلال شرط لقبول الأعمال الصالحة ـ وكل أنواع القربات ـ وهذا يعني أن منفق المال الحرام في أي وجه من وجوه البر لا ثواب له فيما أنفق.

المناقشة : أجاب الإمام الغزالي على القائلين بعدم جواز التصدق بالمال الحرام بقوله : "أما قول القائل : لا نتصدق إلا بالطيب فذلك إذا ما طلبنا الأجر لأنفسنا، ونحن الآن نطلب الخلاص من المظلمة ، لا الأجر ، وترددنا بين التضييع والتصدق ، ورجحنا التصدق على التضييع.

وقول القائل : لا نرضى لغيرنا ما لا نرضاه لأنفسنا فهو كذلك، ولكنه علينا حرام لاستغنائنا عنه ، وللفقير حلال ؛ إذ أحله دليل الشرع. وإذا اقتضت المصلحة التحليل وجب التحليل."

والراجح والله أعلم القول الأول . لقوة أدلتهم ومراعاتها للمصلحة الشرعية، وعدم وجود الدليل المتمسك به من قبل القول الثاني

= الفرع الثاني : طريقة التخلص من المال الربوي

قد تعددت أقوال الفقهاء في المصارف الشرعية لهذا الأموال :

القول الأول : مصالح المسلمين عموماً . والمقصود بمصالح المسلمين:ما يستفيد منه عموم المسلمين ولا يختص بفرد من أفرادهم من بناء القناطر والسدود وإصلاح الشوارع إلى غير ذلك. وهو رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية

القول الثاني : مصرف صدقة التطوع عموماً. وهي أشمل من كلمة مصالح المسلمين: فتشمل المصالح وإعطاء الفقراء وبناء المساجد؛ لأن هذه الأشياء من مصارف الصدقة. وهو قول الحنفية والمالكية وهو قول الإمام أحمد وعليه أري الحنابلة ورأي الغزالي من الشافعية

القول الثالث : مصالح المسلمين والفقراء إلا المساجد. وهو رأي اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية، والمستشار الشرعي لبيت التمويل الكويتي

القول الرابع : ينفقها في سبيل الله. والمقصود به الجهاد في سبيل الله

وهذا رأي آخر لشيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول : (حَتى لوْ كَانَ الرجُلُ قدْ حَصلَ بيَدِهِ مَالٌ حَرامٌ وَقدْ تعَذرَ رَدهُ إلى أَصْحَابهِ لِجَهْلِهِ بِهِمْ وَنحْوِ ذَلكَ، أَوْ كَانَ بِيَدِهِ وَدَائعُ أوْ رُهونٌ أوْ عَوَارٍ قَدْ تَعَذرَ مَعْرِفَةُ أَصْحَابها ،
فَلْيُنْفِقْهَا فِي سَبيلِ اللهِ فَإن ذَلكَ مَصْرِفها .وَمَنْ كَانَ كَثيرَ الذنُوبِ فَأَعْظمُ دَوَائِه الْجِهادُ، فإِن اللهَ - عَزوجل - يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ بِقَولِهِ - سُبْحَانَهُ وَتعَالَى - :" يَغْفِرْ لكُمْ ذُنُوبَكُم وَمَنْ أَرادَ التخَلصَ مِنْ الْحَرامِ وَالتوْبَةَ، ولا يُمكِنُ رَدهُ إلى أَصْحَابِهِ ،فَلْيُنْفِقْهُ فِي سَبيلِ اللهِ عَنْ

أَصْحَابِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ طَرِيقٌ حَسَنَةٌ إِلَى خَلاصِهِ مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِن أَجْرِ الْجِهَادِ)

أدلة الأقوال :

أدلة القول الأول والثاني :

تتقارب أدلة القولين بشدة إلا أن القول الأول خص من عموم الصدقة ما يكون نفعه شاملاً، حتى تشمل المستحق من الفقراء وغيرهم، ولم أجد لهم –حسب قراءتي - دليلاً معيناً.

أما خصوص أدلة القول الثاني فهي :

قالوا: إن كل مال لا مالك له محدد فيصرف مصرف الصدقة، يدل لذلك رهان أبي بكر - رضي الله عنه - قبل الهجرة حين أنزل الله تعالى "آلم غلبت الروم" الآية قالت له قريش: ترون أن الروم تغلب؟ قال:نعم، فقال: هل لك أن تخاطرنا فخاطرهم فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهب إليهم فزد في الخطر ففعل، وغلبت الروم فارساً فأخذ أبو بكر خطره، فأجازه النبي صلى الله عليه وسلم.

حيث جاء في آخره (فتصدق به)، وأيضاً ما روي عن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الأنصار في سنن أبي داوود /3332 وأحمد /22509 ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة ، فأريت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على القبر يوصي الحافر: أوسع من قبل رجليه، أوسع من قبل رأسه ، فلما رجع استقبله داعي امرأة ، فجاء وجيء بالطعام ، فوضع يده ، ثم وضع القوم ،فأكلوا ، فنظر آباؤنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوك لقمة في فيه ، ثم قال : إني أجد لحم شاة أخذت بغير إذن أهلها ، فأرسلت

المرأة يا رسول الله ، إني أرسلت إلى البقيع ليشترى لي شاة ، فلم أجد، فأرسلت إلى جار لي - قد اشترى شاة - أَنْ أَرْسِلْ إلي بثمنها، فلم يوجد، فأرسلت إلى امرأته ، فأرسلت بها إليّ ، فقال عليه السلام : أطعميه الأسارى)

كما ورد كلام السلف وأن مصرفها الصدقة : فقد جاء أن مالك بن دينار زعم أَن رَجُلًا سَأَلَ عَطَاءً فقالَ : إني كُنْت غُلَامًا فَأَصَبْت أَمْوَالًا مِنْ وُجُوهٍ لَا أُحِبهَا فَأنَا أُرِيدُ التوْبَةَ، قال : رُدهَا إِلَى أَهْلهَ ا، قالَ : لَا أعرفهم . قال:تصَدق بِهَا ، فمَا لك مِنْ ذَلكَ مِنْ أَجْرٍ، وَمَا أَدْرِي هَلْ تسْلمُ مِنْ وِزْرِهَا أَمْ لَا ؟ قال: وَسَأَلْت مُجَاهِدًا فقالَ مثل ذَلكَ.

أدلة القول الثالث : استدلوا بأدلة القول السابق، واستثني بناء المساجد؛ لأنها ينبغي أن تكون من مال طاهر.

أدلة القول الرابع : أن الجهاد سبب لغفران الذنوب؛ الذي يحتاجه المتعامل بالربا ،والإعانة على الجهاد من الجهاد.

مناقشة الأقوال :

يبدو للناظر أن القول الأول والثاني مخرجهما في الجملة واحد، فمن مصالح المسلمين العناية بالفقراء ورعايتهم ، خاصة إذا كان من أسباب الفقر ظهور الربا وانتشاره؛ فالمال مالهم

وأما القول الرابع : فكلام شيخ الإسلام عند التأمل، لا يدل على القصر بل يشير إلى أنه الأفضل، وإلا فإن الصدقة من مكفرات الذنوب أيضاً

ويبقى القول الثالث:وهو قول فيه وجاهة، خاصة إذا لم نتأكد من أن المال قد بذل المتخلص منه وسعه في إرجاعه لمستحقه ومن ثم

الدخول في دائرة الشبهة والتفرع على مسألة صحة الصلاة في الأرض المغصوبة، والعبادة وخاصة الصلاة يتورع فيها كثيرا

= الفرع الثالث : المُوكل بالصرف وتوجيه المال الربوي إلى وجهته :

ذكر الفقهاء في ذلك قولين :

القول الأول : الحاكم. وهو رأي بعض الشافعية كالغزالي وبعض الحنابلة كابن مفلح، بشرط أن يكون صالحاً.

القول الثاني : القابض. وهو رأي الإمام أحمد، ومفهوم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

دليل القول الأول : أن السلطان أَعْرفُ بالمصالح العامة وأقدر عليها.

دليل القول الثاني : يستأنس له بأنه قول وفعل للسلف ومن ذلك : ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة (أن رجلاً سأل عَطَاءِ بْنِ أَبي رَبَاحٍ ، قال: رَجُلٌ أَصَابَ مَالًا مِنْ حَرامٍ ، قالَ : لِيَرُدهُ عَلى أَهْلِهِ ، فإنْ لَمْ يَعْرِفْ أَهْلَهُ فَلْيَتصَدقْ بهِ ، ولَا أَدْرِي يُنْجِيهِ ذَلكَ مِنْ إثمِهِ)

وقد يستدل له : قياساً على إخراج الزكاة؛ فللمزكي إخراج الزكاة للفقراء مباشرة.

والذي يبدو والله أعلم أنه إذا قيل إن مصرفها المصالح العامة فالحاكم أولى بها وأعرف ، وإن قيل مصرفها الصدقة وشملت الفقراء، فالقابض أولى ، وقد يصرفها لنفسه إن كان فقيراً، كما أشار شيخ الإسلام، مع التنبه أن فرض المسألة في الحاكم العادل الأمين ذو الدين.

الفرع الرابع : ما لو كان المقترض بالربا يُعلم من حاله كثرة التعامل بهذه الطريقة وأن إ رجاع المال إليه لا يغير من حاله ؟

جاء في المجموع للنووي : (قالَ الْغَزالي : إذَا وَقعَ فِي يَدِهِ مَالٌ حَرامٌ مِنْ يَدِ السلْطَانِ قالَ قوْمٌ : يَرُدهُ إلَى السلْطَانِ، فهوَ أَعْلَمُ بِمَا يَمْلكُ ولا يَتصدَقُ بِهِ وَاخْتارَ الْحارث الْمُحَاسِبي هَذَا)
وَقالَ آخَرون : يَتصَدقُ بِهِ إذَا عَلمَ أَن السلْطانَ لا يَرُدهُ إلَى الْمَالكِ؛ لأن رَدهُ إلَى السلْطَانِ تكْثِيرٌ لِلظلْم ، **قالَ الْغزالِي** : و الْمُخْتارُ أَنهُ إنْ عَلِمَ أنهُ لا يَرُدهُ علي مَالكِهِ فيَتصَدقُ بهِ عَنْ مَالكِهِ .
قُلْتُ : الْمُخْتارُ أَنهُ إنْ عَلِمَ أَن السلْطَانَ يَصْرِفهُ فِي مَصْرِفٍ بَاطِلٍ أوْ ظن ذَلكَ ظَنا ظاهِراً، لزِمَهُ هُوَ أَنْ يصْرِفهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلِ الْقنَاطِرِ وَغيْرِهَا، فإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلكَ أَوْ شَق عَليْهِ لِخَوْفٍ أَوْ غَيْرِه، تصَدقَ بِهِ عَلَى الأحْوجِ ، فالأحْوجِ ، وَأهَم الْمُحْتاجِينَ ضِعَافُ أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَإنْ لمْ يَظن صَرْفَ السلْطَانِ إياهُ فِي بَاطِلٍ فَلْيُعْطِهِ إليْهِ أَوْ إلى نَائبهِ إنْ أَمْكَنَهُ ذَلكَ مِنْ غَيْرِ ضَرر، لأن السلْطانَ أعْرَفُ بِالْمَصَالِحِ الْعَامةِ وَأَقْدَرُ عَلَيْها، فإِنْ خَافَ مِنْ الصرْفِ إليْهِ ضَرَارً صَرَفهُ هُوَ فِي الْمَصَارِفِ التي ذَكَرْناهَا فِيمَا إذَا ظَن أَنهُ يَصْرِفُهُ فِي بَاطِلٍ).

وعند النظر والتأمل في القواعد الشرعية : أن إعادة المال له وخاصة في مثل حال المؤسسات التي تجاهر بالربا وتستغل هذه الأموال في الازدياد أنه لا يجوز إرجاعها لهم، بل تصرف في مصرف الصدقة الشرعي، ويراعي جانب الفقراء؛ لأن الربا من أسباب الفقر، والله أعلم.

هذا ما تقرر بحثه في هذه المسألة وأسأل الله لي ولجميع المسلمين السلامة من الربا وجميع الآثام والموبقات، إنه سميع مجيب ،
والله تعالى أعلم.

تم بحمد الله تعالي

الزكاة الزكاة ... قبل رمضان

١= وجوب الزكاة

إن الله جل وعلا فرض الزكاة في أموال الأغنياء من المسلمين ؛ فقد أمر الله تعالى بالزكاة أمرا مطلقًا في مكة ، ثم فرضت بالنصُب والمقادير في السنة الثانية للهجرة

لعظم منزلة الزكاة : ورد لفظ " الزكاة " في ثلاثين موضعاً في القرآن

قرنها الله تعالى بالصلاة في القرآن الكريم سبعًا وعشرين مرة ، وذكرها سبحانه وتعالى منفردة عن الصلاة في ثلاثة مواضع

1 ـ ولعظم شأن الزكاة ؛ جاءت الزكاة بلفظ "الصدقة " و"الصدقات" في كتاب الله تعالى في مواضع من كتاب الله تعالى :

كقوله سبحانه : "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَة تطهرهُمْ وَتزَكيهِمْ بِها" [التوبة :١٠٣]

وقوله تعالى : "إنمَا الصدَقَاتُ لِلْفقراءِ وَالْمَسَاكِينِ [التوبة :٦٠]

2 ـ ولعظم شأن الزكاة فهي الركن الثالث من أركان الإسلام ودعائمه العظام

لقول النبي صلى الله عليه وسلم : (بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت) رواه البخاري/4513 ومسلم /16.

وفى الصحاح أن النبى حين أرسل معاذًا الى اليمن قال له : (إنك تأتى قومًا أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) رواه البخاري/1395 ومسلم /19 والنسائي/2522.

3 **-ولعظم شأن الزكاة جاء في السنة أكثر من مائة وعشرة أحاديث في الزكاة** تكلمت عن تفاصيل أحكامها ، كالعناية بها، والأمر بإخراجها ، وبيان فرضيتها ، وبيان أصناف الأموال الزكوية : من بهيمة الأنعام ، والخارج من الأرض ، والذهب والفضة ، وعروض التجارة ، وأوضحت النصُب ومقاديرها ، وبينت السنة أحكام الزكاة بيانًا واضحًا ، وفصلت أصناف أهل الزكاة الثمانية

4 **- ولعظم شأنها مَدَحَ الله القائمين بها في آيات كثيرة :**

قال تعالى : "وَاذْكُرْ فِي الْكتاب إسْمَاعيلَ إنهُ كَانَ صادق الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُوًلا نَبيا. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصلَاةِ و الزكاة وَكَانَ عِنْدَ رَبهِ مَرْضِيا" [سورة مريم :٥٤- ٥٥]

وقال تعالى : "رِجَالٌ لَا تلْهِيهِمْ تجَارةٌ ولَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإقامِ الصلَاةِ وَإيتاءِ الزكَاةِ " [النور: ٣٧]

5 **- ولعظم شأن الزكاة ؛ فإن إمام المسلمين يقاتل من منعها !!**

روي البخاري /2946 ومسلم / 22:- عن ابن عمر قال عليه الصلاة والسلام : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في شأن مَنْ مَنَعَ الزكاة : (والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه وفي رواية : (والله لو منعوني عناقا)

6 - ولعظم شأن الزكاة فإن من جحد وجوبها كفر

7 - ولعظم شأن الزكاة ؛ جاءت النصوص من الكتاب والسنة في بيان عقوبة تاركها

١-قال الله عز وجل : "وَلا يَحْسَبَن الذِينَ يَبْخَلونَ بِمَا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فضْله هُوَ خَيْرً لهمْ بَلْ هُوَ شَر لهمْ سَيطوقونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِللهِ مِيراثُ السمَاوَاتِ وَالْأرْضِ وَاللهُ بِمَا تعْمَلونَ خَبيرٌ " آل عمران/180

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية في قوله: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثلَ له شجاعاً أقرع[1]، له زبيبتان[2]، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه -يعني: شدقيه -، يقول: أنا مالك، أنا كنزك) رواهالبخاري/4565 والنسائي/2448

٢-وقال الله عز وجل: "وَالذِينَ يَكْنزُونَ الذهَبَ وَالْفِضةَ ولا يُنْفِقونَهَا فِي سَبيلِ اللهِ فبَشرْهمْ بِعَذَابٍ أَليم يَوْمَ يحْمَى عَليْهَا فِي نَارِ جَهنمَ فتكْوَى بِهَا جِبَاهُهمْ وَجُنُوبهمْ وَظهورهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتمْ لانْفسِكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتمْ تكْنزُونَ " [التوبة :٣٤-٣٥]

في البخاري/1402 ومسلم /987 قال النبي صلى الله عليه وسلم في بيان هذه الآية: (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة ؛ صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في

---

1 الشجاع الأقرع هي الحية الخالي رأسها من الشعر لكثرة سمها

2 الزبيبتان غدتان مثل الزبيب مملوءتان من السم القاتل

نار جهنم، فيكوى بها جنبه ، وجبينه ، وظهره ، كلما بردت أعيدت ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضى بين العباد)

إن النبي صلى الله عليه وسلم بين في هذا الحديث العظيم يبين أنه لا يحمى على الذهب والفضة في نار كنار الدنيا ، وإنما يحمى عليها في نار أعظم من نار الدنيا كلها، فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، وأنه إذا أحمي عليها لا يكوى بها طرف من الجسم متطرف، وإنما يكوى بها الجسم من كل ناحية، الجباه من الإمام ، والجنوب من الجوانب ، والظهور من الخلف، وأنه إذا كوي بها الجسم لا تترك حتى تبرد وتزول حرارتها ، ولكنها كلما بردت أعيدت فأحمي عليها في نار جهنم، وإن هذا العذاب ليس في يوم ، ولا في شهر، ولا في سنة ، ولكنه في يوم مقداره خمسون ألف سنة. وإننا نؤمن بذلك إيماناً يقينياً كما نؤمن بالشمس أمام أعيننا.

فما قيمة الأموال التي تبخلون بزكاتها، وما فائدتها ، إنها تكون نقمة عليكم وثمرتها لغيركم إنكم لا تطيقون الصبر على وهج نار الدنيا ، فكيف تصبرون على نار الآخرة فاتقوا الله عباد الله ! وأدوا الزكاة طيبة بها نفوسكم.

٢= المال مال الله :

سؤال: هذه الأموال التي بين أيديكم؛ هل اكتسبتموها بمهارتكم فقط ؟ أم أن الله عز وجل هو الذي امتن عليكم بالمهارات، وامتن عليكم بأن ساق وسائل الكسب إليكم؟!

إننا قد نجد الرجل الحاذق الماهر الكيس فقيراً لا يملك شيئاً، وقد نجد الرجل الذي دونه في ذلك قد أغناه الله تعالى غناءً واسعاً.

قال تعالى في شأن قارون " قالَ إنمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْم عِنْدي"
(القصص:٧٦ ـ٧٨)
وقال تعالى: "وَآتوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الذِي آتاكُمْ " (النور:٣٣)
وقال تعالى: "آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مما جَعَلَكُمْ مُسْتخْلفِينَ فِيهِ فالذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفقوا لهمْ أَجْرٌ كَبيرٌ " (الحديد:٧)
إذاً ليست هذه الأموال من كسبنا ولا من حولنا وقوتنا ولكننا نحن سبب ، نفعل الأسباب والرازق هو الله، ولهذا جاء في البخاري/3116 عن معاوية يقول سمعت رسول الله يقول (إنما أنا قاسم -يعني في الغنيمة- والله يعطي) فالمعطي والمانع هو الله عز وجل.

ففكروا -أيها المسلمون - في هذه الأموال ، التي منّ الله عليكم بها هي أمر يسير بالنسبة لملك الله عز وجل ، فلله ملك السماوات والأرض والله عز وجل لم يطلب منكم الزكاة لحاجته إليها، ولكنه طلب منكم الزكاة مبيناً فائدتها وحكمتها

٣= فوائد الزكاة :

منها : # أن إسلام العبد لا يتم إلا بأدائها :
وبها يحصل تنفيذ أمر الله رجاء ثوابه وخشية عذابه ، وتُثبّت أواصر المحبة بين الغني والفقير ، وتطهر النفس وتزكيها ، وتعود المسلم على الجود ، وتحفظ النفس من الشح

وتُستجلب بها البركة قال تعالي : "وَمَا أَنفقتم مِنْ شَيْءٍ فهوَ يُخْلفهُ وَهُوَ خَيْرُ الرازِقِينَ" (سبأ /39)

وأنها لا تنقص المال بل تزيده ، قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم /2588 والترمذي /2029عن أبي هريرة : (ما نقصت صدقةٌ من مالٍ ، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزا وما تواضع أحدٌ الله إلا رفعه)

وأنها تستجلب زيادة الرزق من الله تعالى قال الله تعالى في الحديث القدسي : (انفق يا ابن آدم أنفق عليك) رواه البخاري/7496 ومسلم /993 وابن ماجة/2123

وهي برهان على صدق إسلام مخرجها ، وتشرح صدر المسلم

وهي من أسباب دخول الجنة، وتنجي من حر يوم القيامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عقبة بن عامر في مسند أحمد/17333: (كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس)

وتجعل المجتمع كالأسرة الواحدة

وهي سبب لنزول الخيرات ودفع العقوبات ؛ لحديث عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه : (ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يُمطروا) رواه ابن ماجة/4019 وهو حسن

وهي تطفئ الخطايا وتكفرها ، قال صلى الله عليه وسلم عن كعب بن عجرة : (والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار) الترمذي /2259 وهو صحيح

٤= الأموال التي تجب فيها الزكاة :

إن الله بحكمته ورحمته لم يجعل الزكاة واجبة في كل شيء ، وإنما جعل الزكاة في الأموال النامية حقيقة أو حكماً،

والزكاة تجِبُ على المسلم ، الحُر، الذي مَلَكَ نصابًا مِلكًا مستقر ، ودار عليه الحول سنة كاملة ، والأموال التي تجب فيها الزكاة أربعة أصناف :

الصنف الأول : السائمة الراعية من بهيمة الأنعام :

وهي الإبل : وأقل نصابها خمس من الإبل فيها شاة ، والبقر : أقل نصابها ثلاثون فيها تبيع أو تبيعة لها سنة

والغنم :
أقل نصابها أربعون ، فيها شاة ، والمسلم الذي عنده شيء من هذا المال يسأل أهل العلم عن ذلك.

والصنف الثاني : زكاة المحصول الخارج من الأرض الزارعية :
كالحبوب والثمار وأقل النصاب خمسة أوسق ، وهي ثلاثمائة صاع بصاع النبي صلى الله عليه وسلم، يجب في ذلك نصف العشر إذا كان يُسقى بالسواقي أو المكائن أو غير ذلك ، أما ما كان يُسقى من المطر أو العيون ففيه العشر كاملًا ، ومن كان عنده شيء من ذلك فليسأل أهل العلم

الصنف الثالث : الزكاة واجبة في الذهب والفضة على أي حال كانت
سواء كانت جنيهات نقدية أم قطعاً من الذهب والفضة ، أم حلياً من الذهب والفضة معداً للبيع أو للتأجير ، ولا تجب الزكاة في حلي المرأة

وقيل : تجب الزكاة في حلي المرأة من الذهب والفضة، لأن الذهب والفضة جاءت نصوص الكتاب والسنة بوجوب الزكاة فيهما عموماً بدون تفصيل فمن ادعى خروج شيءٍ من أفراد هذه العمومات فعليه الدليل وإلا فقد قامت عليه الحجة لأن العام يشمل جميع أفراده ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة : (إنكم إذا قلتم : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض) رواه البخاري/831 ومسلم/402 والترمذي/289 والنسائي/1162
فإذا جاءت النصوص عامة في وجوب زكاة الذهب والفضة ، فمن أخرج الحلي منها فعليه الدليل من كلام الله أو من كلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ففي سنن الترمذي /637 والنسائي /2479 وهو حسن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهما : (أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أتعطين زكاة هذا؟ قالت: لا، قال : أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار، فخلعتهما فألقتهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت : هما الله ورسوله)

الصنف الاربع : زكاة عروض التجارة وهي ما أعده الإنسان للتكسب من عقار أو أثاث أو مواشٍ أو سيارات أو مكائن أو أطعمة أو أقمشة أو غيرها فتجب فيها الزكاة وهي ربع عشر قيمتها عند تمام الحول ، فإذا تم الحول وجب على التاجر أن يثمن ما عنده من العروض ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت القيمة مثل الثمن أو أقل أو أكثر، فإذا اشترى سلعة بألف جنيه مثلاً ، وكانت تساوي عند تمام الحول ألفين وجب عليه زكاة ألفين ، وإذا كانت لا تساوي عند الحول إلا خمسمائة لم يجب عليه إلا زكاة خمسمائة ، وإذا كان لا يدري هل تزيد عن ثمنها الأول أو تنقص فإنه يعتبرالثمن الأول؛ وذلك لأن الزيادة والنقص مشكوك فيهما وما شك فيه فإنه يرجع فيه إلى اليقين.

٥= ولن ما هي شروط إخراج الزكاة ؟

هل تجب الزكاة في المال النامي، سواء كان قليلا أم كثيرا ؟

إن جميع الأموال الزكوية لا تجب فيها الزكاة إلا إذا بلغت نصاباً .

نصاب الفضة مائة وأربعون مثقالاً . وزن ستة وخمسين جنيهاً سعودياً من الفضة، فما دون ذلك لا زكاة فيه

أما نصاب زكاة الذهب فإنه عشرون مثقالاً . وزن خمسة وثمانون جراما من الذهب عيار ٢٤جرام، وما كانت قيمته دون قيمة وزن ٨٥جرام ذهب عيار ٢٤ فلا زكاة فيه

ومقدار الزكاة في الذهب والفضة ربع العشر، وطريق ذلك أن تقسم ما عندك على أربعين فما خرج بالقسمة فهو الزكاة ، وتجب الزكاة أيضاً في الأوارق النقدية إذا بلغت ما يساوي ستة وخمسين جنيهاً من الفضة وفيها ربع العشر.

وتجب الزكاة كذلك في الديون التي في ذمم الناس إذا كانت من الذهب أو الفضة أو الأوارق النقدية، وبلغت نصاباً :

بنفسها أو بضمها إلى ما عنده من جنسها سواء كانت حالة أم مؤجلة، ولكن الديون على الفقراء لا زكاة فيها إلا إذا استلمها الإنسان فإنه يزكيها لمدة سنة واحدة.

وكذلك الديون عند شخص أو جهة لا يمكنك مطالبتها فإنه لا زكاة فيها حتى تقبضها ثم تزكيها بسنة واحدة

ولا زكاة في المال حتى يحول عليه الحول ، فلو نفذ المال قبل تمام الحلول بنفقة أو تلف أو نقص عن النصاب فلا زكاة فيه

ولو مات المالك قبل تمام الحول ولو بأيام فلا زكاة عليه وإنما تجب الزكاة على الورثة بعد تمام الحول من موت مورثهم إذا تمت شروط الوجوب في حقهم، ويستثنى من ذلك عروض التجارة، فإن ربحها تابع لأصلها، لأن الفرع يتبع الأصل كما قررناه فيما سبق، وكذلك لو استبدل العروض بعضها ببعض فإن المعتبر حول الأول، مثاله : إذا اشتريت سلعة بألف جنيه مثلاً، وبقيت عندك وقبل أن يتم الحول بعتها واشتريت سلعة أخرى للتجارة، فإنك تزكي قيمة السلعة الثانية

إذا تم حول السلعة الأولى لأن عروض التجارة يقوم بعضها مقام بعض.

وإذا كان الشخص يملك المال شيئاً فشيئاً مثل الرواتب الشهرية فلا زكاة على شيء منه حتى يحول عليه الحول، أماإذا كان ينفق رواتبه كل شهر بشهره، فإنه لا يجب عليه شيء من الزكاة في هذه الرواتب لأنها تنفق، ولكن إن كان عنده أموال أخرى فليزكها.

أما إذا كان لا ينفق جميع الراتب في الشهر فإنه إذا تم الحول يخرج زكاة ما عنده والأحسن والأريح له أن يخرج زكاة الجميع وتكون بالنسبة لما لا يتم حوله معجلة.

٦= زكاة العقارات :

من المعلوم لدى الفقهاء أن كل مال ينمو ويزيد تجب فيه الزكاة، والأموال التى أوجب فيها الإسلام الزكاة نوعان :

1 - نوع تؤخذ الزكاة من أصله ونمائه معا أى من رأس المال وغلته عن كل حول كما فى زكاة الماشيه وعروض التجارة وهذا لتمام الصلة بين الأصل وفوائده وغلاته ومقدار الزكاة هنا ربع العشر أى ٢,٥%

٢- نوع تؤخذ الزكاة من غلته وإيراده فقط بمجرد الحصول على الغلة دون أنتظار الحول سواء كان رأس المال ثابتا كالأرض الزارعية أو غير ثابت كنحل العسل ومقدار الزكاة هنا هو العشر أو نصفه أى % ١٠ او ٥ %

فعلى أى أساس تعامل هذه الأموال النامية الجديدة؟ وكيف تؤخذ؟ وكيف نأخذ منها الزكاة؟ أنأخذ الزكاة من رأس المال وما بقى من

غلته كما هو فى أموال التجارة أو نأخذ من غلته وإيراده كما فى الحبوب والثمار والعسل

وقد أختلفت آراء الفقهاء فى ذلك :

فالقسم الأول منهم يرى أن تقوم هذه العمارات والمصانع وما فى حكمها كالطائرات والسفن والناقلات فى كل عام وتزكى زكاة التجارة

بمعنى أن تثمن العمارة ويضاف إلى ثمنها ما أنتجته من الأرباح وتزكى فى كل عام زكاة التجارة ومقدار الزكاة هو ربع العشر كما تقدم شرحه من قبل ومعنى هذا أن مالك العمارة أو السيارة أو الطائرة أو السفينة أو الفندق أو محل الفراشة أو ما إلى ذلك من كل ما يؤجر ويعد نماء للربح عليه فردا أو شركة أن يُقوم عقاراته أو ماكيناته فأذا عرف قيمتها ضم إليها ما لديه من رأس المال النقدى وماله من ديون يرجو سدادها كما يصنع التاجر فى أرس ماله ثم يخرج ربع عشرها زكاة.

ولا يقال أن هذه الأشياء رأس مال ثابت يجب أن يعفى من الزكاة كما يعفى الأثاث الثابت فى حوانيت التجارة لأن هذه الأشياء الثابتة هنا هى نفسها رأس المال النامى المغل الذى به تجلب المكاسب والأرباح أنما يفى ما لم يكن مقصودا للكسب من ورائه كالأرض والمبانى التى توضع فيها الماكينات الصناعية لأن الماكينات هى المقصودة بخلاف الأرض والمبانى فى العمارة والفندق ونحوهما فأن المبنى نفسه هو الذى يجلب الفائدة والمال

القسم الثانى من الفقهاء يرى وجوب الزكاة فى الأرباح والغلات فقط ولا يلزمون صاحب العمارة أو المصنع وما فى حكمه بتقويم عمارته أو مصنعه باعتبار أن العمارة أو المصنع رأس مال ثابت حكمه حكم

الأرض الزارعية وهذا الرأي أيسر وأليق بسماحة الاسلام لأن التقويم أمر شاق فصاحب العمارة يحتاج فى كل عام إلى خبير فنى يثمن له العمارة بحسب الحال الحاضرة وبحسب وضعها فقد يزيد ثمنها وينقص بحسب الحال والوضع وأننا لو جعلنا كل مالك يستغل رأس ماله ويبتغى نماءه تاجر ولو كان رأس المال غير متداول وغير مُعد للبيع لكان مالك الارض والشجر التىت خرج له زرعا وثمار تاجر أيضا يجب أن يُقُوم كل عام أرضه وحديقته ويخرج عنها ربع عشرها زكاة وهذا لم يقل به أحد من الفقهاء وأنما تؤخذ الزكاة من الزرع والثمر لا من الشجر والأرض.

لهذا نجد بعض الفقهاء يفرقون بين العمارة التى أعُدت للأيجار والتى أعُدت للبيع كالتى يبنيها المقاول ليبيعها ويبنى غيرها وهكذا فقالوا : تجب الزكاة فى العمارة التى أعُدت للأجرة متى حصل عليها بشروط: إذا بلغت نصابا كنصاب الذهب والفضة، فاضلا عن حوائجه الضرورية وخالية من الديون، فأذا كان يحصل على الأجرة فى كل شهر زكى عن هذه الأجرة وحدها عند قبضها ولا ينتظر بها الحول وذلك قياسا على زكاة الزروع والثمار فانها تجب حين الحصاد، ولا يشترط فى وجوبها مرور الحول.

وإن كانت العمارة معدة للبيع فأنها تزكى زكاة التجارة فى كل حول سواء باعها أم لم يبعها فعليه أن يثمن العماره ومالديه من السلع الأخرى ويضيف إليها ما عنده من الأموال والديون التى يطمع فى الحصول عليها ويزكى على هذا كله زكاة التجارة فيخرج ربع العشر.

= والارجح هو وجوب الزكاة في المستغلات :

1 - المستغلات عبارة عن أموال يستفيد أصحابها من تأجير منافعها ، مثل المباني السكنية ،ووسائل النقل ، وألحق بعض الفقهاء مشروعات تربية الدواجن والنحل بالمستغلات .

2 - وجوب الزكاة في صافي أرباح المستغلات ، لا في قيمتها ولا في أعيانها .

3- زكاة المستغلات تحسب كعروض التجارة عند جمهور الفقهاء ، أي بنسبة ربع العُشر ، وقال بعض الفقهاء تحسب كالأراضي الزارعية ، أي بنسبة العُشر أو نصف العُشر ، بناءً على حسم التكاليف من عدمه .

3 - شروط زكاة المستغلات: أن يبلغ صافي ربحها النصاب، أن يكونالنصاب فاضلاً عن الحاجات الأصلية والديون، أن يمرّ عليها عند صاحبها حول قمري .

= مسألة في كيفية احتساب زكاة المستغلات :

يمتلك حاتم عقارا يتكون من ثمانية أدوار، في كل دور منها أربع شقق، يبلغ إيجار الشقة الواحدة ١٠٠ جنيه شهرياً مثلا ، ويستغل لسكناه مع أسرته ثلاث شقق، ويشغل ابنه المحاسب شقة يباشر فيها نشاطه المهني. وبلغت مصروفات العمارة خلال عام قمري ما يلي: ١٤٠٠ جنيه مصروفات صيانة ، ٢٥٠ جنيه مصروفات نظافة ، ١٢٠٠ جنيه مرتبات حراسة وتبلغ تكلفة العمارة ٢٠٠٠٠٠ جنيه شاملة قيمة الأرض المقامة عليها والتي تقدر بقيمة ٥٠٠٠٠ جنيه وتستهلك العمارة سنوياً بنسبة ٦%. فما مقدار الزكاة الواجبة؟

نحسب الزكاة بالخطوات التالية :

١ـ احتساب الإيرادات السنوية :

(٨ طوابق × ٤ شقق) = 32شقة – ٣ شقق يستعملها حاتم لحاجته الشخصية، أما شقة ولده المحاسب فتحتسب أجرتها لممارسته عمله المهني فيها فهي مستغلة = ٩٢ شقة .

٩٢ شقة × ١٠٠ ج/شهري × ٢١ شهر = ٣٤٨٠٠ جنيها مجموع الإيراد السنوي.

٢ـ احتساب المصروفات السنوية :

حسب رأي د. شبير: ١٤٠٠ صيانة + ٢٥٠ نظافة + ١٢٠٠ حراسة = ٢٨٥٠ جنيها

أولاً : فإنه يضاف للمصاريف نسبة استهلاك العمارة مع استبعاد قيمة الأرض، فيكون: ١٥٠٠٠٠ تكلفة العمارة × معدل الاستهلاك السنوي ٦% = ٩٠٠٠ جنيه

ثانياً : يحسم من الغلة ما يحتاجه حاتم مالك العمارة لنفقاته الشخصية هو وأسرته، إن لم يكن له دخل سوى غلتها، والتي قدرت بالثلث أو الربع في صافي الغلة بعد المصروفات، فيكون مجموع المصروفات ٢٨٥٠ + ٩٠٠٠ = ١١٨٥٠ جنيها ثم ينقص هذا المبلغ من الإيراد الكلي فيصبح ٣٤٨٠٠ – ١١٨٥٠ = ٢٢٩٥٠ نفقة مالك العمارة وأهله : ٢٢٩٥٠ ÷ ٣ = ٧٦٥٠ جنيها، ثم يحسم هذا المبلغ من الإيراد الكلي فيكون:

٢٢٩٥٠ – ٧٦٥٠ = ١٥٣٠٠ جنيها صافي الغلة بعد المصاريف كاملة.

مقارنة صافي الغلة بالنصاب لمعرفة مدى وجوب الزكاة من عدمه :

نصاب زكاة المستغلات قيمة ٥٨ غم ذهب، ولو فرضنا أن جرام الذهب عيار ٤٢ يساوي ٠٢ جنيها فيكون النصاب ٥٨ × ٠٢ = ١٧٠٠ جنيها وبمقارنة صافي الغلة بهذا النصاب، يتضح لنا وجوب الزكاة فيها.

احتساب مقدار الزكاة :

أولاً : حسب رأي بعض العلماء :

فإن الزكاة الواجبة هي: ١٥٣٠٠ × ١٠% = ١٥٣٠ جنيها ، ولو فرضنا أن مالك العمارة لم يتمكن من احتساب المصروفات وحسمها فإن مقدار الزكاة الواجبة يكون بنصف العشر كالأرض الزارعية ذات النفقة في سقيها: ٣٤٨٠٠ ٥ ×% = ١٧٤٠ جنيها وهو رقم قريب من الذي سبقه.

من خلال هذه العملية الحسابية يتضح الفرق في مقدار الزكاة بين أري فريق بعض، وأري فريق د. محمد شبير، وهو رأي أكثرية العلماء

راجع كتاب (محاسبة الزكاة: دراسات نظرية وتطبيقية)، نشر: دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، طبعة ٢٠٠٢.

٧= هل تعرف ما هي مصارف الزكاة : ؟

إن الزكاة لا تبرأ بها الذمة ولا تكون مقبولة عند الله إلا إذا وضعها الإنسان في مواضعها التي فرض الله أن توضع فيها، واستمعوا إلى هذه المواضع ،

استمعوا إلى قول الله عز وجل: "إِنمَا الصدَقَاتُ لِلْفقراءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلفةِ قلوبهمْ وَفِي الرقابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السبيل فرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " [التوبة:٦٠]

هذه الآية -كما يعرف علماء البلاغة واللغة- جاءت عن طريق الحصر بـ"إنما" وكأنما العبارة: (ما الصدقات إلا للفقراء و...)

والحصر كما قال العلماء: هو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه.

فقد حصر الله سبحانه الصدقات في هذه الأصناف الثمانية لا تجزئ في غيرها، فلا يجوز إخراج الزكاة في بناء المساجد، ولا يجوز إخراج الزكاة في إصلاح الطرق، ولا يجوز إخراج الزكاة في بناء المساكن للفقراء، ولا غير ذلك ،اللهم إلا فقيراً معيناً تدرس حاله وينظر فيه.

٢١ ،- **الفقراء والمساكين**، وضابط هذين الصنفين ألا يكونوا قادرين على نفقاتهم ونفقات عوائلهم لمدة عام كامل، فإذا قدرنا أن شخصاً من الناس له ارتب قدره ثلاثة آلاف وعنده عائلة لا يكفيهم في الشهر إلا أربعة آلاف فإننا نعطيه من الزكاة اثني عشر ألفاً لأنه يحتاج كل شهر لسداد نفقته ألفاً، فنعطيه ما يسد نفقته، ولكننا إذا خفنا إذا أعطيناه المبلغ كاملاً أن يفرط فيه ويفسده، فلا بأس أن نقسطه عليه بكل شهر حماية له من الفساد.

وهنا مسألة يجب أنبه عليها وأن تنتبهوا لها : وهي أن بعض الفقراء يريد أن تكون نفقته كنفقة الأغنياء؛ فتجده يريد أن يكمل النقص فينفق من الأطعمة وينفق من الأكسية وينفق من الكماليات ما ينفقه الأغنياء وهو في هذه الحال مسرف والله لا يحب المسرفين، والواجب أن

يعرف الإنسان حاله وألا ينفق إلا بقدر ما أعطاه الله عز وجل كما قال الله تعالى: "لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قدِرَ عَلَيْهِ رِزْقهُ فَلْيُنْفِقْ مِما آتاهُ اللهُ " [الطلاق: ٧].

ومن الأمثال العامية المطابقة للحكمة تماماً : (مد رجلك على قدر لحافك) فلا ينبغي بل ولا يجوز للفقير أن يصرف من النفقات مثلما يصرفه الأغنياء بل يصرف على قدر حاله، ومن يستعفف يعفه الله.

٣ ـ وأما الغارمون : فالغارمون هم الذين عليهم ديون للناس، سواء كانت ثمن مبيع أو أجرة سكن أو غير ذلك، فهؤلاء إذا لم يكن عندهم ما يكفيهم لسداد الديون فلا حرج أن نقضي عنهم الديون من الزكاة، ولكن هل نعطيه هو ليوفي عن نفسه ،أو نذهب نحن إلى صاحب الدين ونسدد الدين عمن هو عليه ؟

نقول في هذا: ينظر إلى المصلحة؛ فإذا كان المستدين رجلاً حريصاً على إبراء ذمته رشيداً في تصرفه فإننا نعطيه ليوفي حتى لا يكون لنا منة عليه أمام الناس، أما إذا كان رجلاً أخرق سفيهاً لا يبالي باشتغال ذمته بالديون فإننا نذهب إلى صاحب الدين ونسدد الدين عمن هو عليه حتى تبرأ بذلك ذمته، ولا تحقروا شيئاً من المعروف، لا تقولوا: هذا مدين بديون كثيرة وزكاتنا قليلة ، فإن الكثير من القليل كثير.

أيها المسلمون : وإن من الحاجة الملحة حاجة الشاب أو غير الشاب إلى الزواج إذا كان ليس عنده ما يعفه وإذا كان ليس قادرا على المهر، فلا حرج أن نعينه من الزكاة في مهره حتى يتزوج؛ لأن الزواج من أهم الأمور، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم به في قوله : (يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض

للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)
رواه البخاري كتاب النكاح /5056 ومسلم /1400 والترمذي /1081

فإذا عرفنا أن هذا الرجل محتاج إلى الزواج وليس عنده من المهر ما يكفيه فلا حرج أن نعطيه من الزكاة من أجل استكمال المهر؛ لأن هذه حاجة ملحة.

٨= خاتمة : حكم إخراج الزكاة لغير مستحقيها :

أيها المسلمون: إن من أدى الزكاة في غير محلها فهو كمن صلى الصلاة في غير وقتها لا تبرأ بها ذمته ولا يسقط عنه الواجب، فعلينا أن نحرص غاية الحرص على وضعها في محلها وألا نحابي بها قريباً ولا صديقاً ولا بعيداً ولا شريفاً ولا أحداً من الناس إلا من كان من أهلها ،

وأهل كل محلة أعلم بفقرائها ، فأهل القرية يعلم كل منهم الأحوج فالأحوج من جيرانهم وأقاربهم ،

وإخراج الزكاة للقريب المقيم معك في قريتك أعظم ثواباً، روي النسائي واللفظ له /2582 والترمذي /658 عن سلمان بن عامر – رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم اثنتان : صدقة وصلة".

فإذا اجتمع عندنا رجلان كلاهما مستحق ولكن أحدهما قريب فإن القريب أولى؛ لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة، ولكن إذا كان القريب ممن تجب نفقته عليك وكان مالك يتحمل الإنفاق عليه فإنه لا يجوز أن تعطيه للإنفاق من زكاتك، لأنك إذا أعطيته ذلك فإنك بهذا تحمي مالك من النفقة.

فكلما تصدقت على أقاربك الفقراء كان ذلك أولى وأنفع وأستر له ، فيجوز لك أن تتصدق على أخيك أو أختك أو عمك أو أولاد أعمامك .. وجميع أقاربك إن كانوا هم الأحوج لهذا المال وإن كنت تعرف أنهم فقراء وفى حاجة عن غيرهم .

كما يجوز للمرأة إن كانت غنية أن تتصدق على زوجها لأنه لا يلزمها نفقته ، وقد جاءت امرأة عبد الله ابن مسعود تسأله عن قول ابن مسعود لها أنه أولى بصدقتها هو وأولاده فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (صدق ابن مسعود) رواه البخاري/304

أما الرجل فلا يجوز أن يعطى الزكاة لزوجته لأنه يجب عليه الإنفاق عليها .

كما لا يجوز لك أن تعطى زكاتك لأولادك وإن نزلوا (أى أحفادك)، ولا لأبيك وإن علا (الجد) لأنه قد يجب عليك الإنفاق عليه فأنت ومالك لأبيك.

أما قضاء الدين عن المدين الذي لا يستطيع وفاءه وهو من قرابتك فلا بأس أن تقضيه من زكاتك ولو كان ابنك أو أباك أو أخاك؛ لأن الدين يجب على الإنسان قضاءه، ولو كان على أبيه أو ابنه أو أخيه، فإذا سدده من زكاته فلا حرج عليه ولكن بشرط ألا يكون عنده ما يوفي به.

واعلموا عباد الله أن الزكاة حق الله تعالى لا تجوز المحاباة فيها لمن لا يستحقها، ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعًا ،أو يدفع بها عن نفسه اشر، ولا أن يقي بها ماله، أو يدفع بها عنه مذمة؛ بل يجب دفعها لأهلها ابتغاء مرضاة الله وثوابه.

فيا عباد الله : اتقوا الله عز وجل واعرفوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم، وأدوا الزكاة طيبة بها نفوسكم محتسبين بها الأجر من الله ، فإن الله يقول : (مَثلُ الذِينَ يُنْفِقونَ أَمْوَالهمْ فِي سبيل اللهِ كَمَثلِ حَبةٍ أَنْبَتتْ سَبْعَ سَنَابلَ فِي كُل سُنْبلةٍ مِائَةُ حَبةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَليمٌ) [البقرة:٢٦١].

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

الزنا في جاهلية العرب وفي الإسلام

مارست العرب الزنا قبل الإسلام منذ العصور القديمة :

فقد روي أن رجلاً في عهد لقمان بن عاد، زنى بامرأة يقال لها: بارخيم، حكم عليهما لقمان، وأمر أن يوضع في تابوت ويشتد بالحبال، وأن يحمل على رأس المرأة الزانية، وقال لهم: دعوها تجول حتى تموت ويموت، فلم تزل تجول به حتى ماتت ومات على أرسها.
(وهب بن منبه: التيجان ٧٤).

وكانت أخت لقمان بن عاد بن عَوْص بن إِرَم تحت رجل ضعيف، وأ اردت أن يكون لها ابن كأخيها لقمان في عقله ودهائه، فقالت لإمرأة أخيها إن بعلي ضعيف، وأنا أخاف أن أضعف منه فأعيريني فراش أخي الليلة ففعلت فجاء لقمان وقد تحمل فبطش بأخته فعلقت منه على لُقَيْم، فلما كانت الليلة الثانية أتى صاحبته، فقال: »هذا حَرّ معروف«
(الأحدف ارئد اللآل ٢: ١٣٣).

وكان عمر بن أبرهة ذو الاذعار أحد ملوك حمير في اليمن :، كان يزني ببنات الملوك من حمير، فيؤتى بهن
أبكارا وغير أبكار، فكن يشربن معه الخمر، وكان يناد منهن على الخمر، ويصيب منهن حاجته، فلما فعل ذلك بحمير كرهوا أيامه وأبغضوا دولته. (التيجان ١٣٣).

وروي عن عائشة بنت أبي بكر الصديق الحديث الآتي : يجتمع الناس الكثير (في الجاهلية) فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كما ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أ اردهن دخل عليهن ،فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لهم

القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يردن فالتاط به ،ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك.

وذكر الحلبي : كانت العرب تستحل الزنا إلا أن الشريف منهم كان يتورع عنه علانية، وإلا بعض أفراد منهم حرمه على نفسه في الجاهلية.

وكان بعض العرب يكرهون إماءهم على البغاء، فكان عبدالله بن أبي سلول (رأس المنافقين) يكره جاريته على البغاء، فأتت النبي فشكت له فأنزل الله تعالى: (لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) سورة النور/33

قال ابن إسحاق : بلغني أن معاذة (وكانت جارية) عتقت، وكانت فيما بلغني ممن بايع النبي

فتزوجها سهل بن قرطة.

واشتهرت بعض القبائل في الجاهلية بالزنا. فصالحهم على أن يسلموا وعلى أن لا يزنوا ولا يربوا وكانوا أهل زنى وربا.

وسألت ُهُذيل رسول الله أن يحل لها الزنا ، فقال حسان في ذلك :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

وقيل إن امرأة كانت تؤاجر نفسها ،: وكان لها بنات تخاف أن يأخذن أخذها، فكانت إذا غدت في شأنها تقول لهن احفظن أنفسكن وإياكن أن يقربكن أحد، فقالت إحداهن: تنهانا أمنا عن البغاء وتغدو فيه.

وكانت ظُلمة الهذيلية: فاجرة في شبابها حتى عجزت، ثم قادت حتى أقعدت، وسئلت: من أنكح الناس؟ فقالت: الأعمى الضعيف، فحدث عوانة بهذا الحديث وكان مكفوفاً، فقال: قاتلها الله من عالمة بأسباب الطرووقة

وكانت تقول إذا أنا مت فاحرقوني بالنار، ثم اجمعوا رمادي في صرة واتربوا به كتب الأحباب، فإنهم يجتمعون لا محالة، وأتوا به الخاتنين يذررن منه على جراح الصبيان فإنهن يلهجن بالزب ما عشن!!

وكان الرجل إذا أراد سفرا : عمَد إلى رتم وهو نبات فعقده، فإن رجع ورآه معقوداً اعتقد أن امرأته لم تخنه،وإن رآه محلولاً اعتقد أنها خانته.

وبالرغم من جلالة العصر النبوي، فقد وقعت حوادث من الزنا تدل على عمق إيمان أولئك الزناة بالإسلام : ،فعرضوا أنفسهم على رسول الله وألحوا في الطلب بما تتطلبه الشريعة الإسلامية من عقوبة وقصاص ،ليطهروا أنفسهم بما ينالون من عقاب وقصاص.

ونرى من الفائدة أن نذكر بعض الوقائع من حوادث الزنا في بعض العصور الإسلامية، وذلك بالرغم من

إباحة الطلاق وتعدد الزوجات واقتناء الإيماء، مما يدل على أن هذا الشر الوبيل المستحوذ على بني البشر من ذكر وأنثى لم ينعدم مطلقاً، إنما ينتشر ويتسع انتشاره ويعم المجتمع أحياناً، ويقل انتشاره أحياناً، وذلك حسب القوانين التي تفرض عليه أو معالجته ومكافحته بطرق مدروسة ومنطقية وواقعية.

ففي عام ٦٢هـ أباح مسلم بن عقبة نهب المدينة وسبيها ثلاثة أيام يقتلون الناس، وينهبون الأموال ويفسقون في النساء.

وأمر سنة ٤٨٧هـ بنفي الخواطئ والمغنيات من بغداد.

ومما حدث سنة ٦١٧هـ من وقائع الزنا : أن أبا علي بن أبي الخير مسيحي ابن العطار النصراني، وكان من جاه أبيه يسره، فلما مات أبوه ازل من كان يحترم لأجله، ولازم هو ما كان عليه من قلة التحفظ

في أمر دينه ودنياه،واتفق إن كان في بعض مسراته إذ كبس في ليلة الجمعة حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ٦١٧هـ ، وعنده امرأة من الخواطئ المسلمات تعرف بست شرف، فلما قبض عليه أقر على جماعة من الخواطئ
المسلمات أنهن كن يأتينه لأجل دنياه من جملتهن امراة تعرف ببنت الجيش الرطا بدار واسمها اشتياق، وكانت زوجة ابن البخاري صاحب المخزم أم أولاده، فخرجت الأوامر بالقبض على النساء اللواتي ذكرهن، فقبض عليهن وأودعن سجن الطرارات
، ثم رسم باهلاك ابن مسيحي، ففدى نفسه بستة آلاف دينار وأظهر فيها بيع ذخائره وكتب أبيه. (القفطي: تاريخ الحكماء.)

وفي سنة ٧٢٠هـ أبطلت الفاحشة والخمور أجمع بهمة على شاه الوزير، وزّوّج من العواهر خمسة آلاف في نهار واحد. (مرآة الجنان: اليافعي ٤: ٢٥٩).

وبجانب ما ذكرنا من حوادث الزنا عند العرب، توجد نعرة من الأنفة والغيرة والعفة ربما تجاوزت الحدالمطلوب.

فمن أنفة العرب أن آكل المرار قتل امرأته هنداً لما سباها ابن الهبولة، وكان غائباً، فلما قدم تبعه وقتله وأنقذها منه وربطها في أذناب الخيل حتى تقطعت أوصالها، ولم يرض لنفسه أن يمسكها بعد أن نال منها ابن الهبولة وطره. (الشنقيطي : طهارة العرب.)

ومن ذلك قصة ابن الدمينة، فإن امرأته رميت بشخص، فبدأ بمن رميت به فقتله، وثنى بها وثلث ببنيها منه فقتلهم، وقال: لا تتخذ من كلب سوء جروًاً.

وبلغ بالعرب الرغبة عن غير الأكفاء وخوف العار إلى تمني الموت لبناتهم، قال الهيثم : إن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة،

وكان يستعمله واحد ويتركه عشر فجاء الإسلام وقد قل إلا في تميم وقيس وبكر وهوازن وأسد، وكان َمَن لا يرى الوأد يتمنى لابنته الموت خوفاً من الفضيحة والوقوع في يد غير كفء.

وبلغ ببعض العرب أن ارتفعوا عن قضاء الشهوة الجنسية واكتفوا بالحديث والمغازلة :

قال الأصمعي : قلت لأعرابية من بني عذرة: أنتم أكثر الناس عشقاً، فما تعدون العشق فيكم؟ قالت: الغمزة والقبلة والضمة، ثم قالت:

ما الحب إلا قبلة وغمز كف وعضد

ما الحب إلا هكذا إن نكح الحب فسد

ثم قالت: وأنتم يا حضر كيف تعدون العشق فيكم؟ قلت: يقعد بين رجليها ويجهد نفسه، فقالت: يا ابن أخي ما هذا عاشقاً هذا طالب ولد.

الزنا في القرآن الكريم وتفاسيره :

قال تعالي (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آَبَائِهِنَّ أَوْ آَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) سورة النور/31:30

قال تعالي (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ

وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) سورة النور/4:2

وقال الثعالبي : جعل الله الشهادة على الزنا خاصة لا تتم إلا بأربعة شهداء تغليظاً على المدعى وسترا على العباد.

ومن هذا المعنى اشتراط رؤية كذا في كذا كالمرود في المكحلة.

وكان حد الزنا في صدر الإسلام حبس للنساء، والأذى بالكلام للرجال ثم نسخ بحديث عبادة بن الصامت.

وقال ابن كثير: كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المراة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال: (واللاتي يأتين الفاحشة يعني الزنا) من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً"

قال ابن عباس :

كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم وهو أمر متفق عليه.

وأما حد زنا الأمة فقال ابن كثير: فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والمراد بالإحصان ههنا الإسلام.

وعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله فإذا أحصن ، قال:
إحصانها إسلامها وعفافها. وقال المراد به ههنا التزويج، وقال علي اجلدوهن.

وروى السمرقندي : إن الأمة إذا زنت ولم تحصن فلا حد عليها، وإنما تضرب تأديباً وهو المحكي عن ابن عباس وإليه ذهب طاووس وسعيد بن جبير وعمدتهم مفهوم الآية.

وإن الآية دلت على أن الأمة المحصنة تحد نصف حد الحرة، فأما قبل الإحصان فعم ومات الكتاب والسنة شاملة لها في جلدها مائة كقوله تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)

فسر الجصاص قوله تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) سورة النور/2

فقال: إن حد الزانين في أول الإسلام كان الحبس والأذى، المحصن وغير المحصن فيه سواء.

واختلف فيمن أكره على الزنا، فقال أبو حنيفة: إن كرهه غير سلطان حدّ، وإن أكرهه سلطان لم يحد، وقال أبو يوسف ومحمد لا يحد في الوجهين جميعاً، وهو قول الحسن بن حاتم والشافعي، وقال زفر: إن أكرهه سلطان حد أيضاً، وما المكرهة فلا تحد في قولهم جميعاً.

واختلف الفقهاء في شدة الضرب في الحدود، فقال أصحابنا أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر: التعزير أشد الضرب وضرب الزنا أشد من ضرب الشارب.

وقال مالك والليث: الضرب في الحدود كلها سواء غير مبرح بين الضربين. وقال الثوري: ضرب الزنا أشد من ضرب الشرب والقذف.

وفسر قوله تعالى: (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) لما كان محتملاً لما تأوله السلف عليه من تعطيل الحد ومن تخفيف الضرب اقتضى ظاهره أن يكون عليهما جميعاً في أنى عطل الحد وفي تشديد الضرب وذلك

يقتضي أن يكون أشد من ضرب القاذف والشارب، وإنما قوال إن التعزير أشد الضرب أ اردوا بذلك أنه جائز للإمام أن يزيد في شدة الضرب للإيلام على جهة الزجر والردع إذ لا يمكنه فيه بلوغ الحد ولم يعنوا بذلك أنه لا محالة أشد الضرب لأنه موكول إلى رأي الإمام واجتهاده، ولو أرى أن يقتصر من الضرب في التعزير على الحبس إذا كان ذا مروءة، وكان ذلك الفعل منه زلة جاز له أن يتجافى عنه ولا يعزر، فعلم أن مرادهم بقولهم التعزير أشد الضرب، إنما هو إذا أرى الإمام ذلك للزجر والردع فعل.

قال أبو حنيفة ومحمد : يضرب في الحدود الأعضاء كلها إلا الفرج وال أرس والوجه، وقال مالك لا يضرب إلا في الظهر. واتفق الجميع على ترك ضرب الوجه والفرج.

وقال الثوري: لا يجلد الرجل ولا يحد، وتضرب الم أرة قاعدة والرجل قائماً.

وقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد الشافعي : لا تقام الحدود في المساجد.

وفسر الجصاص قوله تعالى : (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ)، فقال : ذهب هؤلاء إلى أن معنى هذه الآية الإخبار باشت اركهما في الزنا وإن المرأة كالرجل في ذلك، فإن كان الرجل زنا فالمراة مثله إذا طاوعته وإذا زنت المرأة

فالرجل مثلها فحكم تعالى في ذلك بمساواتهما في الزنا، ويفيد ذلك مساواتهما في استحقاق الحد وعقاب الآخرة وقطع الموالاة وما جرى مجرى ذلك.

واختلف السلف في تزويج الزانية :، فروي عن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وابن عمر ومجاهد وسليمان بن يسار وسعيد بن جبير في آخرين من التابعين إن مَن زنى بامرأة أو زنى بها غيره فجائز له أن يتزوجها.

وروي عن علي وعائشة والبراء وإحدى الروايتين عن ابن مسعود : أنهما لا يزالان زانين ما اجتمعا.

وعن علي : إذا زنى الرجل فرق بينه وبين امرأته وكذلك هي إذا زنت.

قال أبو بكر الجصاص: فمن حظر نكاح الزانية تأول فيه هذه الآية، وفقهاء الأمصار متفقون على جواز النكاح، وإن الزنا لا يوجب تحريمها على الزوج ولا يوجب الفرقة بينهما.

وفسر الجصاص قوله تعالى: (حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً):

فقال: كان حكم ال ازنية في بدء الإسلام ما أوجب من حدها بالحبس إلى أن يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً، ولم يكن عليها في ذلك الوقت شيء غير هذا، وليس في الآية فرق بين البكر والثيب، فهذا يدل على أنه كان حكماً عاماً في البكر والثيب.

وقال ابن عطية: إن الزنا في قريش إنما كان في الإماء في أغلب الأمور.

وفسر محمد عبده قوله تعالى : (لزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ) سورة النور/2

فالأمة المتزوجة تجلد إذا زنت خمسين جلدة، وأما الحرة فتجلد مئة جلدة، والحكمة في ذلك ما تقدم آنفاً من كون الحرة أبعد عن دواعي الفاحشة، والأمة عرضة لها وضعف مقاومتها، فرحم الشارع ضعفها، فخفف العقاب عنها. (تفسير القرآن/ ٥).

وقال الجصاص : وقد اختلف أهل العلم في إيجاب تحريم الأم والبنت بوطء الزنا، فروي عن عمران بن حصين في رجل زنى بأم امرأته : حرمت عليه امرأته وهو قول الحسن وقتادة وكذا قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وسالم بن يسار وسالم بن عبدالله ومجاهد وعطاء وإبراهيم وعامر وحماد وأبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وزفر والثوري والأوازعي ولم يفرقوا بين وطء الأم قبل التزوج أو بعده في إيجاب تحريم البنت.

وذكر الأوازعي عن عطاء أنه كان يتأول قول ابن عباس لا يحرم حرام حلالاً على الرجل يزني بالمرأة ولا يحرمها عليه زناه، وهذا

يدل على قول ابن عباس الذي رواه عكرمة في أن الزنا بالأم لا يحرم البنت.

وقوله تعالى: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) قد أوجب تحريم نكاح امرأة قد وطئها أبوه بزنا أو غيره إذ كان الاسم يتناوله حقيقة.

الزنا في الحديث النبوي وشرحه:

روى البخاري/6810 ومسلم /57 عن أبي هريرة : قول النبي صلي الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب حين يشربها وهو مؤمن"

وروى : إن رسول الله صلي الله عليه وسلم سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصَنْ؟ قال : إذا زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها ثم بيعوها ولو بضفير".

روي مسلم /1690 والترمذي /1434عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله : خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر فجلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلْدُ مائة والرجم."

وفي سنن أبي داوود/4473 والترمذي /1441 : عن أبي عبدالرحمن قال : خطب علي فقال : يا أيها الناس أقيموا على أرقائكم الحدَ مَن أحصن منهم وَمَن لم يُحصن فإن أمة لرسول الله صلي الله عليه وسلم زنت فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديث عهد بنفاس فخشيت إن أنا جلدتها أن اقتلها فذكرت ذلك للنبي (ص) فقال: أحسنت.

وذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم : فقال : أجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة، ورجم المحصن وهو الثيب، ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره

عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه فإنهم لم يقولوا بالرجم، واختلفوا في جلد الثيب مع الرجم، فقالت طائفة : يجب الجمع بينهما، فيجلد ثم يرجم، وبه قال علي بن أبي طالب والحسن البصري وإسحاق بن ارهويه وداود وأهل الظاهر وبعض أصحاب الشافعي

وقال جماهير العلماء : الواجب الرجم وحده.

وحكى القاضي عن طائفة من أهل الحديث أنه يجب الجمع بينهما إذا كان الزاني شيخاً ثيباً، فإن كان شاباً ثيباً اقتصر على الرجم، وهذا مذهب باطل لا أصل له،

وحجة الجمهور أن النبي : اقتصر على رجم الثيب في أحاديث كثيرة، منها قصة ماعز وقصة المرأة الغامدية.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : في البكر ونفي سنة، ففيه حجة للشافعي، والجماهير أنه يجب نفيه سنة رجلاً كان أو امرأة

وقال الحسن : لا يجب النفي.

وقال مالك والأوازعي لا نفي على النساء :، وروي مثله عن علي وقالوا : لأنها عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة ، ولهذا نهيت عن المسافرة إلا مع محرم

وحجة الشافعي قوله الرسول : البكر بالبكر جلْدُ مائة ونفي سنة،

وأما العبد والأمة ففيها ثلاثة أقوال للشافعي. أحدها يغرب كل واحد منها سنة لظاهر الحديث، وبهذا قال سفيان الثوري وأبو ثور وداود وابن جرير والثاني يغرب نصف سنة لقوله تعالى، فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ، وهذا أصح الأقوال عند أصحابنا.

وهذه الآية مخصصة لعموم الحديث ، والصحيح عند الأصوليين جواز تخصيص السنة بالكتاب ، لأنه إذا جاز تخصيص الكتاب بالكتاب فتخصيص السنة به أولى، والثالث لا يغرب المملوك أصلاً، وبه قال الحسن البصري وحماد ومالك وأحمد وإسحاق لقوله صلي الله عليه وسلم :في الأمة إذا زنت فليجلدها ، ولم يذكر النفي ، ولأن نفيه يضر سيده مع أنه لا جناية من سيده ، وأجاب أصحاب الشافعي عن حديث الأمة إذا زنت أنه ليس فيه تعرض للنفي، والآية ظاهرة في وجوب النفي فوجب العمل بها.

وإن الإقرار بالزنا لا يثبت ويرجم به المقرحتي يقر أربع مرات. وقال مالك والشافعي وآخرون يثبت الإقرار به بمرة واحدة، ويرجم.

وحدث عبدالله بن بريدة عن أبيه : قال: كنت جالساً عند النبي فجاءه رجل يقال له : ماعز بن مالك فاعترف عنده بالزنا فرده ثلاث مرات ، ثم جاء ال اربعة فاعترف فأمر به النبي فحفر له حفرة فجعل فيها إلى صدره وأمر الناس أن يرجموه فقتلوه" رواه مسلم/1695 وأحمد/22942

وحديث عبدالله بن بريدة عن أبيه في سنن أبي داوود واللفظ له /4442 ومسلم /1695 والدارمي/2369 ، قال : كنت جالساً عن النبي فجاءته امرأة من بني غامد ، فقالت : يا نبي الله إني قد فجرت وإني أريد أن تطهرني ، فقال: ارجعي ، فلما كان من الغد أتته أيضاً، فاعترفت عنده بالزنا، فقالت : يا نبي الله طهرني ، فلعلك أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك، فوالله إني لحبلى، فقال لها النبي : ارجعي حتى تلدي، فلما ولدت جاءت بالصبي تحمله في خرقة ، فقالت : يا نبي الله هذا قد ولدت، فقال: اذهبي فارضعيه ثم افطميه ، فلما فطمته جاءته بالصبي في يده كسرة خبز، فقالت: يا نبي الله قد فطمته، فأمر النبي بالصبي

فدفع إلى رجل من المسلمين ، وأمر بها فحفر لها حفرة ، فجعلت فيها إلى صدرها ، ثم أمر الناس أن يرجموها فأقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتلطخ الدم على وجنة خالد بن الوليد ، فسبّها ، فسمع النبي سبه إياها، قال: مه يا خالد لا تسبها فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له فأمر بها فصلى عليها ودفنت)

وشرح السندي : قوله لا ينكح الزاني المجلود أي الذي جلد في حد الزنا إلا مثله أي عادة الشركة في الخصال داعية إلى التآلف وخلافها إلى التنفر (التنافر.)

وعن أبي هريرة في موطأ مالك/ 2380 واللفظ له ،ومسلم/1498 إن سعد بن عبادة قال لرسول الله : أرأيت إن وجدت مع امرأتي رجلاً أمهله حتى آتي بأربعة شهداء، قال : نعم.

وقال ابن قتيبة: قالوا روي أن رسول الله رجم ورجمت الأئمة بعده، والله عزوجل يقول في الإماء " فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب " والرجم إتلاف النفس.

وقالوا: روي أن رسول الله لم يرجم ماعزاً حتى أقر عنده بالزنا أربع مرات، كل ذلك يعرض عنه، ثم رجمه بعدال الرابعة فأخذ بها قوم من فقهائكم وقالوا: لا نرجم حتى يكون إقراره في عدد الشهود عليه، وبذلك كان يقول علي بن أبي طالب.

ثم روي أن رسول الله قال: يا أنس أعد على المرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها فاعترفت فرجمها ولم يقل أحد:

إنه قال أربع مرات في مجلس ولا في مجالس، وهذا مخالف لحديث ماعز.

قال أبو محمد (ابن قتيبة) : ونحن نقول إنه ليس هاهنا بحمد الله اختلاف فيما قضى لأن إع ارض رسول الله عن ماعز أربع مرات إنما كان كراهية منه لإقراره على نفسه وهتكه ستر الله عزوجل عليه، لا لأنه أ ارد أن
يقر عنده أربع مرات أراد أيضاً أن يستبري أمره ويعلم أصحيح هو أم به جنة. فوافق ما أراد من استبرائه أربع مرات ولو وافق ذلك مرتين أو ثلاثاً أو خمساً أو ستاً ما كان فيه سنة تلزمه ويدل على كراهته لاقرار الزنا عنده بالزنا.

وعن عمران بن حصين : إن امرأة من جهينة اعترفت عند النبي بزنا، وقالت: أنا حبلى، فدعا النبي • وليها، فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فأخبرني ففعل، فأمر بها النبي فرجمت ثم صلى عليها ،فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت؟ فقال : لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت شيئاً أفضل من أن جادت بنفسها الله تبارك وتعالى " رواه مسلم/1696 والترمذي /1435

عن عبدالله بن عمر قال : أقبل علينا رسول الله فقال: يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تُدركوهن. لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤونة، وجود السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب

الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) حديث حسن
أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن (٤٠١٩) والحاكم ٤/ ٥٤٠

وعن الحارث بن النعمان قال : سمعت أنس بن مالك يقول أن رسول الله قال: المقيم على الزنا كعابد وثن)

وعن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله (الزاني بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه ،ويقول له : ادخل النار مع الداخلين).

وعن الحسن أن آمنة بنت خلف الأسلمية: جاءت النبي لما أصابت الفاحشة، فقالت: يا رسول الله إني امرأة محصنة وزوجي غاز وإني أصبت الفاحشة، فطهرني فمر برجمها ودعا النبي لها كثيرا حين رجمت.

احذروا عباد الله هذه الفاحشة الميقيتة ..وحصنوا فروجكم حتي تلقوا ربكم

الحمد لله الذ بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

الشباب بين المهاوي والمعالي

المحتويات:

= أهمية الفترة العمرية الشبابية
= الهاوية الأولى : التدخين.
= الهاوية الثانية : المسكرات والمخدرات
= الهاوية الثالثة : الفضائيات التلفزيونية
= الهاوية الرابعة : الإنترنت
= الهاوية الخامسة : الزواج العرفي
= الهاوية السادسة : التشبه الأعمي بالعادات الغربية
= معالجة المهاوي
= وقفة في المعالي : أين الشباب المسلم المتطلع لتمكين دين الله في الأرض ؟

= **فضل صحبة الصالحين وضرر صحبة السوء :**

أمرنا الشارع الحكيم بأن لا نصاحب إلا المؤمنين، وأن لا نماشي غيرهم، ولا نأكل إلا معهم :

روى أبو داود/4832 الترمذي/2395 وهو حسن عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي "

فالمؤمن ينفعك في الدنيا وفي الآخرة

أما نفعه في الدنيا :

1- **يواسيك بماله ونفسه** : قال تعالي:(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (سورة الحشر: 9)

2- **يسدي إليك النصيحة :** عن تميم الداري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) رواه مسلم /95 والنسائي /4197

عباد الله : إن المهاوي والمفاسد والخنا والفجور التي يقع فيها الشباب في هذا الزمان لا تعد ولا تحصي وذلك نظرا للفتن والمغريات التي تحيط به من كل ناحية ومنها :

[1] أولا نتعرف علي معني كلمة المهاوي :

جمع هاوية ومهواة، وأصل الاشتقاق اللغوي لهذه الكلمة من الفعل الثلاثي"هوى"، ومعناه كما قال أهل اللغة: هو أصل يدل على خلو وسقوط، فالشيء الذي فيه هواء أي خال فارغ. وإذا قلت هوى الشيء معناه سقط ولم يكن شيء يحجزه بل كان هناك فراغ أدى إلى مثل هذا السقوط وأصله الهواء بين الأرض والسماء سمي كذلك لخلوه وكل خالٍ هواء، كما قال جل وعلا: { وأفئدتهم هوا ء"، أي خالية فارغة من الإيمان وتثبيته

وقال المفسرون في هذا المعني : خالية لا تعي شيئا.

والهوة هي الحفرة البعيدة القعر، أي الهاوية السحيقة التي فيها بعدٌ وفراغٌ وخلو من تعرض لها أو جاء إليها، فإنه يسقط ويهوي، والوهدة هي الغامظ من الأرض التي لا يتفطر إليها.. الوهدة أرض منخفضة لكن ليست ظاهرة فيقع الإنسان فيها وقد يتعثر، ومن هنا نجد أن خلاصة معنى هذه المهاوي أنها في

معني الخلو والفراغ، وأن فيها معني الخفاء والغموض ، وأن فيها معني التردي والسقوط.
وأما المعالي : فإنها واضحة في دلالتها من حيث اشتقاقها من الفعل الثلاثي"علوا أو العلو" وهو السمو والارتفاع، ومعنى ذلك السمو إلى المعاني العظيمة، والارتفاع إلى المهمات الجسيمة، وهذا معناه أننا ندور في هذا الكلام حول الأمور والمطالب الشريفة السامية، وقـالالخليل: المعلاة الكسب والشرف والجمع المعالي، وفلان من علية الناس أي من أهل الشرف فكل هذه المعانـي السامية تـرتبط بـذلك.
ومعنى هذه البينية هي بينية تضاد، فنحن لا نريد المهاوي ولكن نريد المعالي، ونحذر من المهاوي ونرغب في المعالي، لا نريد لشبابنا أن يسقط بين الحفر، بل نريد لهم أن يسمو ويعلو للقمر، لا نريد لهم أن يسقطوا في الأدناس بل نريد لهم يرتقوا، وأن يكون شامة بـين الناس، لا نريد لهم أن يتلوثوا بالوحل والطين، بل نريد لهم يتضمخوا بالعطر والطيب، نريد أن لا يفقدوا الرعاية الحماية ولكننا نريد أن يجدوا التشجيع والإعانة.
٣-أقل نفع أن ترى منه خيرا أو تشمه منه : روى البخاري/5534 ومسلم/2628 عن أبي موسي الأشعري قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : ("مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة)

أما نفعه في الآخرة : أنه يشفع لك عند الله تعالى، قال تعالى :
"الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (الزخرف/67)
بخلاف الكافر الذي لن ينفعك يوم القيامة، بل ستندم على أنك صاحبته يوما ما من الأيام : قال تعالى : "
وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29) وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (30) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" (الفرقان 27:31)
إن المهاوي التي يقع فيها الشباب في هذا الزمان كثيرة جدا وإليكم أهمها

من المهاوي التي يقع فيها الشباب اليوم : التدخين

التدخين كلنا يعرفه ولكني أقول : إن الأرقام المتعلقة بالتدخين في فئة الشباب تروعك، والحقائق تخيفك، والنتائج تنذر بخطر عظيم.. وهذه وقفات مختصرة جدا، و إلا فإن هناك ما هو أكثر وأعظم وأخطر وإن الأرقام المتوفرة عن التدخين في دائرة الشباب مرعبة.

ثلاثين في المئة من الطلاب مدخنون في المرحلة المتوسطة والثانوية.

وتسعون في المئة من هؤلاء المدخنين بدأوا التدخين في مرحلة مبكرة.

لو حسبنا هذه الأرقام وتحدثنا عن البطالة أو عن المشروعات، أو عما سيأتي من تكاليف العلاج سنرى كم هي الجريمة فادحة، وكم هي الخسارة عظيمة في هذه الهاوية الخطيرة،

والتقارير العامة من منظمة الصحة العالمية تقول أن أعداد المدخنين تتناقص في أمريكا والدول الأوربية والدول المتحضرة، وأنها تتزايد في دول العالم الثالث! وأنه بحلول عام"ألفين وعشرين" 2020 يتوقع أن يكون سبعين في المئة من أسباب الوفيات راجعة إلى التدخين..

والتبغ كلف المجتمع الدولي عموما أحد عشر ألف وفاة يوميا.

وهناك ألف وفاة سنويا بأمراض سرطانية لها علاقة مباشرة بالتدخين، وتقول هذه الدراسة: "أن التدخين ينتشر في أربعين في المئة من المجتمع الرجالي وعشرة بالمئة في المجتمع النسائي وخمسة عشر في المئة من مجتمع صغار الشباب والمراهقين".

وتؤكد الدراسة : أن الفئة الأطباء والعاملين في القطاع الصحي وطلاب كليات الطب يمارسون التدخين بنسبة تصل إلى ثلث الشريحة.

وتقول الأرقام أن أعلى الدول في العالم تدخينا بنسبة عدد السكان هي تركيا - البلد الإسلامي - الذي يبلغ نسبة المدخنين فيه إلى نسبة عدد السكان سبعة وستين ونصف في المئة من إجمالي عدد السكان.

وعدد المدخنين في مصر يرتفع سنويا ما بين ثمانية إلى تسعة في المئة وهو معدل أعلى بكثير من معدل زيادة المواليد.

وتقدر الشركات المصنعة والمستوردة للتدخين أن في مصر حوالي عشرين مليون مدخن.

وتقول وزارة الصحة المصرية أن المصريين ينفقون نحو خمسة مليارات جنيه على التدخين أي نحو اثنين وعشرين بالمئة من متوسط الدخل القومي للفرد في مصر.

وهذه الأرقام كافية في أن تظهر لنا فداحة الأمر وخطورتة الشديدة الكبيرة.

والتدخين أشد خطرا وضررا من الخمر والمخدرات على المستوى العام، وتبين الآن أن في مادة التبغ أكثر من ٤٠٠ مكون كيميائي فيها بحد أدني، أربعين مكون منها سام قاتل على المدى البعيد وكل من يتجاوز في التدخين أربع سنوات، فإنه يكون معرضا للإصابة بالسرطان وتصلب الشرايين بنسبة تزيد على ثمانين في المئة والأرقام من حيث الاستهلاك والشيوع أكثر بكثير من بقية الأحوال الأخرى أقول بذلك بدء بالتدخين، لأنه خطير ولأن الحديث عنه والمواجه له من المفترض أن تكون أيسر وأسهل من غيره في جملة ما سيأتي ذكره من المهاوي الخطيرة.

قال ابن باز رحمه الله : " الدخان محرم لكونه خبيث، ومشتمل على أضرار كثيرة، والله عز وجل إنما أباح لعباده الطيبات من المطاعم والمشارب وحرم عليهم الخبائث، وقال الله تعالى "يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات"، وقال في حق وصف النبي صلى الله عليه وسلم : "يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"".

فكل ما هو خبيث محرم، ولا أظن مجنون وليس عاقلا في الدنيا يمكن أن يقول أن الدخان ليس خبيثا فضلا على أن يقول أنه طيب،

وقال:"وهكذا مع جمع المسكرات كلها من الخبائث الدخان لا يجوز شربه ولا بيعه ولا التجارة فيه، والواجب على كل من يشربه ويتجر فيه المبادرة في التوبة والإنابة".

= الهاوية الثانية : المسكرات والمخدرات

وهي درجة أعلى - وإن كنت قد أشرت أن التدخين في جملة أضراره أكثر ضررا في الجملة سواء على الفرد ولكنه على مستوى العام أكبر، لأن شريحة المتعاطين له والمتضررين منه أكثر بكثير من تلك الدائرة مرة أخرى الشباب هم الضحايا في مثل هذه الهاوية الخطيرة.

إن خمسة وسبعين في المئة75% من المدمنين هم من الشباب وعندما نقول من الشباب من السن الرابعة عشر بل ودون ذلك في بعض الأحيان إلى نحو الثلاثين،

الأوهام الخاطئة والأحلام القاتلة :

1- أول هذه الأوهام ما يروجه المروجون ويشيعه غيرهم كذلك من هذه المخدرات ليست محرمة، وأنها ليست كالخمر، لأن الخمر ورد فيها نص وأنها ليست هناك نصوص تدل على حرمتها، وبعض الناس إذا وقع في هذه الآفة، فإنه يستمرىء هذا القول ويحاول أن يقنع نفسه به.

2- وأمر ثاني آخر وهو: أن هذه المخدرات تنسي أصحابها الهموم وتفرج عنهم الغموم وتريحهم وتدخل شيء من السرور والسعادة إلى نفوسهم، والحقيقة المرة أن الأمر على خلاف ذلك تماما فإن الذين يدخلون في هذا الطريق ويسيرون فيه يصيبهم الشقاء المحتوم والنكد الدائم والهم المطبق وسوداوية الحياة كما سنذكر في بعض الصور.

3- ووهم ثالث أيضا نذكره بصراحة، وهو أن هذه المخدرات تعطي قوة ومتعة جنسية لمتعاطيها، وهذا أيضا مما يروجه الذين يسعون لنشر هذه المخدرات، وهذه الأوهام إنما ذكرتها، لأنها من

أكثر المصائد التي تصطاد الشباب وترغبهم أو تغريهم بهذه الآفة المهلكة المدمرة.

الحكم الشرعي :

وأما مسالة الحكم الشرعي ، فالأمر فيها على خلاف الوهم فكل مسكر حرام

كما ورد عن جابر بن عبد الله في سنن أبي داوود/3681 والترمذي /1865

قال النبي صلى الله عليه وسلم (وما أسكر قليله فكثيره حرام)

الآثار السيئة للإدمان :

1. ؛ وينتهي بهم المطاف ضعف العقل وقلة التركيز وعدم القدرة على الاستحضار لذلك يتخلف هؤلاء المتعاطون للمخدرات في دراساتهم ويرسبون جزما إلى ترك الدراسة وعدم القدرة على المواصلة،
2. الإصابة بالأمراض الخطيرة الفتاكة التي تصيب البدن من تلف الكبد،
3. الموت المفاجىء
4. انعدام القوة والقدرة الجنسية،
5. المآسي والمخاطر الأسرية التي انتهت ببعضهم أن يضرب زوجته وهي حامل فتسقط، وأن يهدد أبنائه بالقتل بالسكين ويفعل بعضهم ذلك، وصور كثيرة خطيرة في هذه الأمور، وأحسب أنها ليست مستغربة وليست منكرة، بمعنى أنها لا يقول الناس إنها نادرة، بل يعرفون أنها حقيقية وكثيرة، وهناك عقوق الآباء والأمهات والعدوان عليهم، وهناك انحراف الأبناء، وهناك السمعة السيئة
6. فقدان الوظيفة،

7. ضياع الدراسة
8. تشوه المواليد الذين يكونون من نسل المدمنين أو المدمنات
9. انتشار الدياثة والدعارة، فإن المدمن يرضى السوء والفاحشة، بل ويجبر زوجته على ذلك لقاء ما يحصل عليه من المخدرات، والمدمنة - والعياذ بالله - تبيع شرفها وعرضها لأجل هذه المخدرات، وهذا واقع ظاهر بين معروف مشهور، لا يحتاج إلى إقامة الأدلة.

1- انتشار الجريمة أيضا أثر اجتماعي خطير، فإن السرقات - وخاصة السرقات المسجلة

- وإن الاحتيال و البطش والقوة والقتل كله في كثير من الأحوال، وبنسبة مئوية مرصودة في الخارج - وليست عندنا - أنها تصل إلى بعض الأحيان ٨٠% منها لها ارتباط بالمخدرات والمسكرات، ومنها هو أيضا أثر اجتماعي خطير الحوادث المرورية القاتلة للذين يقودون وهم سكارى أو تحت تأثير المخدرات، وكم هم من تأتيهم حالات من الإغماء من أثر هذه المخدرات فيهلكون ويهلكون نسأل الله السلامة.

١١. المصروفات الصحية الهائلة، والإمكانات التي استدعت أن يكون هناك مستشفيات خاصة وعلاج طبي، وعلاج نفسي، وعلاج صحي، وعلاج ديني، وتستنفذ من الجهود والطاقات والأموال ما كان جديرا بأن ينفق في التعليم والبناء والتربية وغير ذلك من المصالح والتربية والمعالي العظيمة

= الهاوية الثالثة : الفضائيات التلفزيونية بكل أنواعها المختلفة

وهنا ومضات سريعة في هذا، لأن الأرقام موجودة والدراسات العلمية مكتوبة ومطبوعة ومقروءة:

أولا : الشابات أكثر مشاهدة وتأثرا بالفضائيات من الشباب، لماذا؟ لأن قدرتهن على الخروج والتحرك أقل، فهن في بيوتهن أوحجرهن يقضين من الوقت أكثره مع هذه الفضائيات.
نقطة ثانية: الشباب أكثر تجمعا ومشاهدة جماعية من الشابات لهذه الفضائيات.
ثالثا : الأسر تتأثر، وتبدأ تنحل عرى أخلاقها وآدابها شيئا فشيئا بإدمان المشاهدة المحافظة نسبيا كما يقولون.
رابعا : الشيوخ يتصابون، والعجائز يتشببن، فالتأثير ليس مقتصرا على الشباب! فكم من شيخ عجوز يفتن وينحرف ويصل إلى درجة من الانحراف لا يصدقها عقل، وعنده من الأبناء والبنات - بل وربما أحيانا الأحفاد والحفيدات - ما يجعل مثل فعله قبيحا في غاية القبح!
ومثل ذلك أيضا - وهو من الخطورة بمكان - الصغار الضحايا الأبرياء، الذين تتفتح عيونهم في هذه القنوات منذ بداية ونعومة أظفارهم، تنطمس بصائرهم، وتسود فطرهم، وتختل موازينهم، وتقبح كلماتهم، وتنحرف سلوكياتهم، شاء آبائهم وأمهاتهم أم لم يشاءوا، عرفوا أو لم يعرفوا.

وقفة ثانية : ماذا في هذه القنوات من الأمور الدينية المؤثرة ؟
لا أريد أن أذكر النسب، ولا أريد أن أذكر أوقات عرض هذه النسب، في قناة برامج دينية كم نسبتها قدروها متى تعرض ؟ عندما ينام الناس، ولا يكون هناك مشاهدين يبدأ بث هذه البرامج وإعادتها كرات ومرات، حتى من يشاهدها ويقصد مشاهدتها بعد فترة يصبح قد

حفظها وملّ منها، لكن أوقات الذروة - كما تسمى - التي فيها أكثر المشاهدين ماذا فيها ؟

أولا : باقات الأفلام التي يعلن عنها على صفحات الجرائد، وعلى شاشات التلفاز فيها محتويات معروفة بكل وضوح وسهولة أنها تخرب العقائد والأفكار والتصورات، وأنها تزيغ العقول والأفكار، وأنها تحرف السلوك وأنها تدعو وتحث وترغب وتسهل الجرائم.

نقطة ثانية : أن هذه الفضائيات تحطم الحدود، فليس هناك حدود جغرافية، ولا حدود أخلاقية، ولا مراعاة ثقافية، ولا خصوصية قومية أو وطنية فهي تتجاوز ذلك كله، بل إن الإعلانات - حتى في القنوات غير العربية - تقدم باللغة العربية وتكتب الأرقام، ويقال: من أراد أن يتحدث بالعربية فهذه الأرقام كذا وكذا، ومن أراد أن يتحدث بغيرها فله كذا وكذا، وتظهر على الشاشات الجمل باللغة العربية وهي جمل وتدعو وترغب، ثم أيضا ماذا من البدع المحدثة، تلك الأغاني الخليعة الماجنة التي لا يعرف الإنسان هل هو يستمع إلى غناء أم ينظر إلى فجور وفسق، وإن كنا نعلم حرمة ذلك كله !

كان الناس أو لا يستمعون إلى الغناء فالأثر فيه أقل، واليوم يرون فيه ما يرون.

وأمر ثالث أيضا وهو: البرامج المباشرة وما أدراك ما فيها من الأحاديث والمغازلات والمعاكسات !

وكنت أقول فيما سبق: يشتكي من بعض الناس من بعض المعاكسات على هاتف منزله، فيصدر الأمر بالمراقبة وتكون هناك عقوبات من الأمارة، أما اليوم فعلى صفحات الجرائد إذا أردت أن تهدي عبر الهواتف المحمولة أغنية أو تسجل رسالة أو تنقل صورة أو غير

ذلك.. أصبح الأمر في هذا شائعا متاحا، وأقول في الواقع كأنما هو مباح أيضا، وليس هذا من باب الإباحة الشرعية وأحسب أيضا أننا جميعا نقر بأن الشباب يقضون في هذا من الأوقات كثيرا مما يؤثر آثارا عظيمة، بل إنهم أصبحوا متخصصين في فنون البرمجة وفك التشفير و قلة التكلفة، وغير ذلك كما نشرت صحفنا تحقيقات وقاضيات وأن هناك بطاقات بقليل من الأموال يمكن أن تشاهد بها قنوات إباحية جنسية، ليست واحدة ولا اثنتين ولا خمسا ولا عشرا، وأن هذا أصبح مألوفا ومعروفا ثم بعد ذلك نشكو من أحوال الشباب، لعل ما ذكرناه من التدخين والمخدرات والمسكرات من أعظم أسبابه هذه القنوات ـ وكما قلت ـ القليل هو الذي نذكره.

الأسباب الموصلة للشباب إلى المهاوي :

أولا : قلة الوازع الديني.. غيابه وضعفه : فلابد من التزكية والعبادة والإقبال والصلة بالله عز وجل أمر أساسي ، متى فقد فإنه هو الذي تترتب عليه هذه المعضلة وغيرها أيضا من أمثالها.

الثاني : ضعف التربية الأسرية

ويتجلى ذالك في صور عديدة جدا منها: غياب الآباء والأمهات عن أحوال أبنائهم، ومعرفة مشكلاتهم، والجلوس إليهم، والحوار معهم، ومعرفة ما يجول بخواطرهم، وتلمس معاناتهم، فيبقى هؤلاء نهب حين إذن للفراغ أو للهم ويظنون انه سوف يزول بدخولهم أو بتعاطيهم لهذه المخدرات ويكون كذلك فريسة لفراغ قاتل يودي بهم إلى رفقة فاسقة ـ كما سنذكر ـ ومن الأسباب المتعلقة بهذا الجانب في التربية توفير الأموال وإعطاءها عند الطلب دون التنبه أو السؤال أو المتابعة لكيفية صرفها

أو مجالات الانتفاع بها، ولذلك نجد ـ وهذا مذكور في قصص واقعية في هذه المستشفيات بعضها مدون في كتب وبعضها مباشرة من بعض ما يلمسه الإنسان في مثل تلك الزيارات ـ أن بعض الآباء يعطون أبنائهم مصروفات في أيديهم ـ لا أقول تصل إلى المئات بل تصل إلى الآلاف ـ ثم أيضا يكون المال موجود في المنزل ولا يحرج على احد أن يا خد منه شيء أو لا يلتفت إذا اخذ منه شيء وهذا يكون له أثره الواضح.

الثالث : رفقة السوء وأصحاب الفساد

وبعض هؤلاء وهذا أيضا من اعترافاتهم وإقراراتهم بعضهم يحمل حقدا على الآخرين، لأنه وقد وقع في هذه الآفة رأى كل مستقبله ينهار وصحته تتهاوى، فإنه يريد أن يوقع الآخرين في مثل ما وقع فيه، ولذلك بعضهم يتفنن في أن يجعل غيره مدمن فرفقة السوء يصلون إلى إدخال الشاب في حظيرة الإدمان.. إذا كان يمتنع و يرفض يمكن أن يضعوا له تلك المخدرات في العصير أو في الشاي أو في غيرها من المشروبات حتى يدمن رغما عن أنفه وبغير معرفته، وقد وقع ذلك كثيرا وهو من أساليب المروجين، لأنهم يريدون أن ينفقوا بضاعتهم وأن يكسبوا الأموال المحرمة فيسعون إلى ذلك من الأسباب كذلك الأعلام والأفلام وما أدرك ما في هذا ! فإنه يعرض من فنون هذه الأمور ومن صورها ما يقولون أنه لبيان خطرها وحقيقته أنه يرغب فيها، فإنك لا ترى بطل في غالب الأحوال إلا وهو مدخن ! وتراه إذا أراد يستمتع يشرب المسكر ! وتراه إذا شرب المخدر وهو في حالة تبدي أنه في سرور أو غير ذلك !

إضافة إلى تعليم الطرق وتعليم الأساليب، وتعليم طرق التخفي ونحو ذلك من الأمور، فضلا عن أمور أخرى سيأتي ذكرها.

الرابع : السفر إلى الخارج

وقد ذكرت إحصائية أجريت على بعض المدمنين في السعودية أن اثنا وعشرون في المئة منهم تعاطوا المخدرات للمرة الأولى في خارج البلاد وهذا أيضا خطر واضح تمارسه الأسر دون أن تلتفت إلى مخاطره، فيقول لك هؤلاء الآباء أو أولئك الآباء والأمهات: دعه يتنزه أو يسرى عن نفسه ،أو يكتشف العالم ! لماذا نعقده ؟ لماذا نمنعه ؟.."، ويترك له الحبل على غاربة ثم ينتهي به الأمر أما في سجون الشرطة وإما في مستشفيات الإدمان، وإما في مقابر الموتى، وتلك الحالات أكثر في الشباب منها في الحالات الأولى.

الخامس : التفكك الأسري

بالطلاق وكثرته، وكثرت الشقاق والخصام، والنزاع بين الوالدين، ووجود أجواء الحرمان العاطفي والتربوي بين الأب والأم وانعكاسه على الأبناء، ولاشك - أيضا - أن السبب من وراء مع ذلك كله أيضا استهداف أعداء الإسلام والمسلمين عموما وأتباعهم لشباب الأمة، لأنهم إذا دمروا فقد جاء السبب الأكبر لتدمير الأمة، ولو ذكرنا الإحصاءات - أو تذكرنا الإحصاءات - التي قلناها في التدخين، فإن مثلها تماما يكاد يكون في المخدرات، وفي دراسة نشرتها مجلة الفرقان في عددها الأخير - وهي كويتية - ذكرت إحصاءات خليجية وذكرت أيضا إحصاءات سعودية كما قلت أشارت إلى نحو سبعين في

المائة من المتعاطين للمخدرات هم من فئة الشباب من الرابعة عشر إلى الثلاثين من العمر.

ما سبيل المعالجة من تلك المهاوي ؟ :

وسأذكر الآن إيجازا من القول ثلاثة عناصر أساسية نعدها جملة أو الجمل الجامعة للمعاجلة النافعة لهذه المشكلات وغيرها، وهي ثلاثة عناصر:

أولها : التزكية

وهي تربية الإيمانية العبادية التي يرتبط فيها الشاب أو المسلم بالله عز وجل، يستحضر عظمته، يستحي منه، يخاف عذابه، يرجو ثوابه، يبكي بين يديه ويتضرع إليه ويتوكل عليه، فحينئذ تكون حاله على غير الحال التي يمكن أن تصرعه هذه المشكلات وتلك المهاوي.

الثاني : التربية

ونعني بها تربية الوالدين، وتربية المعلمين، وتربية وسائل الإعلام. أن تكون محددة ومرغبة في الخير ومحذرة ومنفرة من الشر، وأن تأسس الشباب والأبناء على أسس سليمة لا تفسد فطرهم، ولا تحرف سلوكهم ولا تزيغ أهوائهم ولا تضل عقولهم كما تمارس أحيانا وسائل الإعلام أو كما يقع في معاهد العلم والتعليم أو غير ذلك مما نعلمه أو نشير إليه.

الجانب الثالث : التوعية والتنبيه : بمعرفة الأخطار وكشف الأضرار والتحذير من الوسائل والسبل بأسلوب علمي دقيق والتوعية بأن الأخلاق زينة، فإن التربية الخلقية وإن كانت جزءا من التربية الدينية إلا أنها صورة خاصة ومنطقة مهمة ينبغي العناية بها،

فخلق في الصدق والأمانة، وخلق في العفة والحياء، وخلق في الصبر والحلم، وخلق في جوانب التعامل من البشاشة والرفق واللين وغير ذلك.. عندما نحبذها ونرغب فيها الشباب ونشيعها بينهم ليس كما هو حالنا اليوم كثير من الشباب يمتهنون الكذب ويحترفونه ويعتبرون جودة الأساليب والمخادعة في الكذب نوعا من الشطارة وما يسمونها أو غير ذلك من الحذق والمهارة ونحو هذا.

الجانب الرابع: الجدية أخذ الأمور بجد.. استغلال للوقت، وحرص على التحصيل، وإتقان في العمل، غلب على الشباب تراخ وكسل وتفريط وتضييع من أثر تلك المهاوي التي أشرنا إليها "يا يحيى خذ الكتاب بقوة" ديننا دين قوة، دين جد، خوطب النبي عليه الصلاة والسلام في أول ما نزل عليه من القرآن في الآيات الأولى: "إنا سنلقي عليك قو لا ثقيلا"، وقال تعالى: (إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا) المزمل:7-6

وقال زيد بن ثابت لما كلفه أبو بكر بجمع القرآن: **"لو كلفني نقل جبل من مكانه لكان أهون** علي"كانوا يأخذون الأمور بجدية فتجدهم حينئذ وقد انتدبوا للمهمات وأدو الواجبات، وأتقنوا الصناعات وتفوقوا في العلوم وغير ذلك من الجوانب المهمة الجدية مفتاح أساسي في الشاب على وجه الخصوص وشخصية المسلم على وجه العموم.. مالنا نرى كثيرا من الشباب وهم رقعاء سفهاء متخنثون متشبهون بالنساء نرى نوعا من هذه الشخصية المهترئة التي شوهتها تلك المعاني والمهاوي التي أشرنا إليها.

الجانب الخامس : الاستقلالية ثبات ، فإن شخصية الشاب لابد أن تكون فيها استقلالية وفيها قدرة على أن يعبر عن رأيه وأن يخرج

مالديه من الاعتراضات أو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو الوقوف كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في سنن الترمذي/2007 وهو ضعيف: (لا يكن أحدكم إمعة يقول إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا) .

الشاب لا بد أن يكون مستق لا في شخصيته مع مراعاة الأدب ومع مراعاة حسن التوقير للكبير لكنه لا يغلب على نفسه ولا يسير مع التيار، بل له - كما قلنا - من إيمانه وخلقه وجديته ما يثبت به على معتقده وعلى رأيه في الحياة وعلى جده في الأمور والمبادرة عطاء كثر أيضا في شبابنا وشاباتنا أنهم ينتظرون غيرهم يبدأ وينتظرون الكبار أن يصنعوا ونحن نعرف أن الصغار كانوا في الزمان الأول كبارا ونحن اليوم نرى الكبار وهم في حقيقة أمرهم صغار ونحن نستصغر الشاب فنقول عنه في المتوسطة إنه صغير وإنه في الثانوية لم يكبر بعد، وإنه في الجامعة مازال في مقتبل شبابه ولا يعتمد عليه حتى يبلغ إلى الخامسة والعشرين أو إلى الثلاثين.. إذا متى سيكون هو ذلك الشاب الذي يثق في نفسه ويبادر لأن يتقدم وينتدب للمهمات

إذا القوم قالوا من فتى خلت ** أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

متى يجدد ما حصل بين رافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهما - وهما صغار في السن عندما تصارعا ليفوز أحدهما بشرف الالتحاق بجيش النبي عليه الصلاة والسلام لمحاربة كفار قريش في غزوة أحد ؟

أين المبادرة ؟ حتى رأينا الشباب يستبقون إلى الموت فض لا من أن يستبقوا إلى ميادين العلم أو الدعوة أو الجهاد وهم في سن نعدها اليوم

في سن صغيرة مابين قائد للجيوش في السابعة عشرة أو التاسعة عشر، وما بين مفت للأمة كالشافعي وهو ابن التاسعة عشرة وما بين وما بين من شباب كثيرون ملئت بهم صفحات تاريخنا.. واليوم يبلغ الرجل الأربعين والخمسين وهو لا زال لا يقدم شيئا ولا يؤخر شيئا.

وأخيرا : الهمة ارتقاء

هناك همم عالية طموحة ولن تثمر جدا ولن تنبت استقلا لا ولن تنشئ مبادرة فلا بد من تلك الهمم أن نشحذها في نفوس الشباب، وأن نذكي نارها في قلوبهم، وأن نجعلهم أصحاب طموح كما كان ربيعة بن كعب لما سئل عن مراده ومطلبه : (أسألك مرافقتك في الجنة)

وأخيرا : وقفة في المعالي

وهي أيضا على سبيل الإيجاز الشباب والتفوق الدراسي، ونحن اليوم نرى نسب الرسوب كثيرة والناجحون يقنعون بالمقبول، ونسأل الله القبول - كما يقولون - وقلة قليلة ممن تحقق نتائج متميزة وقلة من هؤلاء المتميزون يستمرون أو يبدعون أو يبتكرون، وتأتي أمتنا من بعد في ذيل القائمة المتخلفة تخلفا علميا وتقنيا، لأننا صرفنا الشباب عن هذا الميدان في التفوق الدراسي والعلمي والتقني، وانشغلوا - كما قلنا - بترهات الأمور وبمفسدات العقول وبمضلات الفتن نسأل الله عز وجل السلامة.

وهنا نقول: الكثير من الجوانب نجملها في أمرين اثنين في كل منهما نقاط يسيرة:

أولا : البواعث والعوامل لهذا التفوق أ- الثقة مبعث القدرة

فالثقة بالنفس مبدأ مهم حتى تستطيع أن تبدأ في خطوة الإنجاز الأولى، وكثير من الشباب بل كثير من قادة الرأي أحيانا يرون أنه لا

يمكن أن يكون عندنا متفوقون كالغربيين أو الشرقيين العبقرية والعلم والاختراع لم تخلق لنا خلقت في أناس ليسو من بيئتنا، وهنا نحطم شبابنا ويتحطم الشاب إذا لم يكن عنده ثقة في نفسه أنه يمكن أن يكون متفوقا، وأن يكون عالمَا ، وأن يكون مبدعا، وأن يكون مخترعا إلى غير ذلك. .

ب- التشجيع محفز الارتقاء

لا بد أن نشجع أولئك الأبناء على هذا التفوق تشجيعا تربويا متوازنا، ونجعله متكاملا، فوسائل الإعلام تشجع على اللهو والعبث وضياع الأوقات في جوانب معينة، ولا تقدم القدوات على أنهم - كما سبق أن قلت أصحاب – جرأة قلم، أو ركلة قدم، أو رنة نغم.. أو غير ذلك، بل تقدم النماذج التي تشجع حقيقة، وهي نماذج التفوق الدراسي والعلمي، فلابد أن يكون هذا التشجيع على كل المستويات، حتى نكون عام لا محفزا للارتقاء.

ج- الإنتباه قدرة على التركيز

وهذه من مهارات التعلم لابد أن يكون الطالب أو الشاب منتبها متيقظا مركزا حتى يستطيع باستمرار أن يحصل بسماعه سواء في محاضرة، أو في حصة وفصل، أو مجمع عام أن يكون دائم الانتباه والتركيز ليضيف إلى حصيلته من العلم ما يجعله متفوقا

د- الذكاء قدرة الاستنباط

ولابد من إعمار العقل وتقويته وشحذه، حتى يكون عنده المقارنات، ويكون عنده قدرة على الاستنباط والتحليل، والعقل بطبيعته كلما شغلته زادت قدرته، وكلما تركته - كما يقولون - في بعض النكت ورأيتها يمثلها بعض الشباب ليشيروا إلى بعض النقص أن هناك

عقول للبيع فيقول هذا عقل مستهلك ومستخدم كثيرا، ثم إذا جاء إلى العقل العربي يقول هذا عقل نظيف لم يستخدم أبدا تأخذه طازج، لأنه لا يشتغل أو لا يفكر، أو لا يعمل عقله يستحضر ذكاءه! وهذا أيضا من ما ينبغي تجنبه الذاكرة قدرة على الحفظ، والحفظ مهم في العلم مع الفهم، ويخطئ من يقول: إن الفهم يستقل وحده.

وأخيرا : الإرادة هي القدرة على التفوق بالعزيمة الماضية

أما الطريق المتدرج وهو النقطة الثانية فله خطوات: الإنصات طريق التعلم، والقراءة طريق التقدم، والكتابة طريق التمكن، والدراسة طريق التفنن والتعبير - أي التعبير عن هذا كله هو طريق التحسن والإبداع في آخر الأمر - هو طريق التألق، ولا بد من كل هذه المهارات، ونحن نريد لشبابنا أن يأخذوا بهذا، وأن يحرصوا عليه، وأن لا تكون هذه الحالة التي نعاني منها - ولا شك - أننا نشعر بضرورة التكامل بين الجوانب المختلفة السيئة - التي أسلفناها - والحسنة - التي أخرناها - فإن هذه لا تكون إلا بتجنب تلك، وإن وجود تلك سيفضي لنا إلى عدم تحقيق هذه ، نسأل الله - عز وجل - أن يحفظ شبابنا، وأن يحفظنا جميعا من مضلات الفتن ، ونزغات الهوى ووساوس الشيطان

(تم بحمد الله)

العملة النادرة

(القدوة)

نحن نعرف أن هذا العنوان هو أسلوب أو كلمة دارجة على الألسنة للشيء الذي يندر وجوده مع حسنه وكماله ، فإذا وجد الناس رجلا شهما كريما ، قال بعضهم في وصفه أنه " عملة نادرة "
وإذا رأوا بين الناس رصينا حليما يتنازل عن حقه ابتغاء مثوبة الله عز وجل ، قالوا إن مثل هذا التصرف عملة نادرة
وليس المقصود على كل حال العملة النادرة التي لا قيمة لها ولا يشترى بها ؛ لأن العملة القديمة وإن كانت قديمة قد تكون قيمتها في أثريتها - كما يقولون - فنريد أن نقف على المعنى ، وهو ما هي هذه العملة النادرة التي عز وجودها رغم أهميتها ، ورغم حاجتنا إليها ، ورغم امتلاء حياتنا بها ، ورغم آثارها الحسنة المرتقبة في أنفسنا وفي مجتمعاتنا ؛ لعل ما يدور في الأذهان الآن عدد كبير من الإجابات أو التصورات..
وأحسب أننا - ونحن في مثل هذه الأماكن الطيبة في بيوت الله عز وجل في هذه المنابر التي هي للوعظ والتذكير - ولطرح قضية الإسلام والمنهج الإسلامي لابد أن تنصرف أذهاننا إلى أن العملة النادرة هي من هذا الباب وفي هذا الميدان !
وأقول حتى لا يطول بنا الحديث : إنها القدوة الحسنة التي في الجملة قد عز وجودها مع كمالها ، والتي سنسلط الضوء عليها لا من وجه وصفها ، ولا من وجه طريقتها أو تحققها وإنما من وجه ندرتها وأسباب ذلك وما يتصل ..

فسيكون أول وقفة لنا عن القدوة المتوفرة :
نظرة إلى الوراء في تاريخنا الطويل الممتد الذي توافرت فيه القدرات في مجالات متعددة ، وبمراتب عالية وفي ذرى سابقة ؛ حتى كان تاريخ المسلمين صفحات مشرقة بالضياء والنور مسجل فيها مآثر العز والحضارة بمداد الذهب ، ولا يزال يشع نورها ، وما تزال تنتشر آثارها لمن رجع إليها واقتبس منها ، وتلمس الطريق إلى العزة من خلالها ؛ وحتى نعطي ومضات لهذه القدوة المتوفرة نقف وقفات ثلاث:

أولها : مع القدوة العظمى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله جلا وعلا قال لنا : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (الأحزاب/21)

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم القدوة في كل ميدان من الميادين ، وقد جمع الله عز وجل فيه ما تفرق من الكمالات في البشر كلهم ، فجعله الله سبحانه وتعالى أكمل الخلق ، وكان عليه الصلاة والسلام أحسن الخلق خلقا و خلقا ، وأكملهم روحا وعقلا ، وأسددهم مشورة ورأيا، وأخلصهم نية وقصدا ، وكان عليه الصلاة والسلام قدوة في كل الميادين ؛ فهو النبي الكريم والأب الرحيم والزوج الصالح ، والداعية الناجح ، والسياسي البارع ، والقائد المحنك ، والخطيب المفوه ، والمعلم المثالي ، والمربي الكامل ، والصديق الرفيق ، والأخ الشفيق .. كان عليه الصلاة والسلام حليما مع تواضعه ، مهيبا مع رحمته ، وفيا في علاقته ، عادلا في محاكمته ، محسنا في معاملته ، جميلا في خلقته ، حاز كمال البشرية كله ، وتربع على عرش العظمة في كل باب من الأبواب النفسية والعقلية والعملية ، وكان -

عليه الصلاة والسلام - شمس هداية أشعت على هذا الكون فأضأت جنباته ، وكان نور رحمة ورعاية أشرقت به قلوب أهل الإيمان ، وهديت به بصائر أهل الإسلام ، وكان هو - ولا زال عليه الصلاة والسلام - قدوتنا الأولى والمثلى .. ولئن فات أجيال الإسلام المتعاقبة أن تتشرف بشرف صحبته ومرافقته عليه الصلاة والسلام ، وشرف خدمته والعمل في دعوة الله عز وجل تحت إمرته ؛ فإن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واضحة جلية، لا يخفى منها شيء فإنه عليه الصلاة والسلام - كما قال أهل السير والتواريخ - ولد في ضوء الشمس نحن نعرف النبي صلى الله عليه وسلم وهو في أسرته وبيته ، ونحن نعرف النبي عليه الصلاة والسلام في يقظته ومنامه ، ونعرفه في شدته ولينه ، وفي حلمه وغضبه ، وفي سلمه وحربه ، ونعرفه عليه الصلاة والسلام مع أزواجه وأبنائه ، ونعرفه مع رفقائه وأصحابه ، ونعرفه مع خصومه وأعدائه ، نعرفه عليه الصلاة والسلام في كل أحواله تنطق بذلك سيرته العطرة التي سطرها أصحابه ، ورواها الرواة ، وأثبتها الكتاب والمؤلفون..

نعرف ذلك في شمائله العظيمة الجليلة وخصائصه النادرة العظيمة ..

كل ذلك بين أيدينا لمن أراد أن يقتبس من أنوار هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما تزال القدوات كلها مقتبسة منه وعلى أثره وهديه عليه الصلاة والسلام ، وليس هذا موضع حديثنا.

وقد أفاض بعض أهل الأدب ، وبعض أهل الإيمان فيما يتصف بوصف النبي صلى الله عليه وسلم في كمالاته ، فجاء بعبارات شائقة جميلة رائقة يمكن لمن قرأها وطالعها أن يخفق قلبه أكثر في مزيد

المحبة والتعظيم لرسولنا صلى الله عليه وسلم سيد الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين.

ثم نقلة ثانية في : آفاق الصحابة الأقمار

في فلك شمس الهدى ، الذين اقتبسوا من النبي صلى الله عليه وسلم وكان كثير منهم قد جمع الكثير من نواحي العظمة .. أما جيلهم فقد اجتمعت فيه كلهم نواحي العظمة جميعها متفرقة على أولئك النفر الذين اصطفاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ، لقد جمعوا علما وعم لا وتقوا وورعا وجهادا ودعوة وكثيرا من أبواب الخير ومع ذلك كما قلنا تفرق في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الكثير من جوانب العظمة تميزك لا منهم ميزة عرف بها، واشتهرت عنه ، رغم ما عنده من المزايا والأوصاف غير ذلك .. فنحن نعرف أو نقول ويدرج على ألسنتنا من أوصاف الصحابة ما يرسم صورة شائقة عظيمة للقدوة التي نتلمسها في مناحي الحياة .. فنحن نعرف رقة أبى بكر ، وعدل عمر ، وحياء عثمان ، وشجاعة علي ، وزهد أبي ذر ، وحنكة خالد بن الوليد ، وذكاء عمرو بن العاص ، وعلم ابن عباس، وقضاء ابن مسعود ، وحكمة أبي الدرداء ، وأمانة أبي عبيدة ، وشجاعة حمزة وتضحية صهيب ، وثبات خباب ، وصبر بلال .. إلى سلسلة طويلة عظيمة من الأقمار التي اقتبست نورها من شمس الهداية رسولنا صلى الله عليه وسلم فأضاء صفحات التاريخ ، وسجلوا من مآثر العظمة الحقيقية لا العظمة المزيفة التي تعنى بالظواهر دون البواطن.

ثم نقلة ثالثة : أعلام على طريق الهدى

فإن تاريخ الأمة الإسلامية لن ينقطع توافر القدوات فيه عبر العصور السابقة كلها حتى العصور التي نسلط الضوء عليها بعض المغرضين من أعداء الإسلام ، أو الذين تشوهت عندهم معالم الحق فيسلطون الضوء على بعض

الفترات التاريخية ؛ ليظهروا فيها أو من خلالها أن الإسلام لن يضرب أمثلة جيدة في مجال الحياة الإنسانية أو الحياة الحضارية حتى هذه الفترات الذي اعتراها بعض الخلل وشيء من التخلف ، أو مخالفة لشرع الله عز وجل لم يكن في عصر من العصور افتقار شديد للقدوات مثلما صارت إليها الأحوال في العصور المتأخرة في المسلمين ؛ فإن جيل التابعين أيضا توفرت فيهم أعداد هائلة ممن جمعوا علما غزيرا ، وورعا كثيرا، وجهادا دائما ، وبذلا متواصلا في سبيل نصرة الإسلام والمسلمين ، وهو أمر يضيق المقام عن حصره .. وكما قلت نعرف من ذلك كثيرا ، ونذكر جهاد ابن المبارك ، وزهد سفيان الثوري ، ووعظ الحسن البصري ، وقضاء شريح ، وربانية فضيل بن عياض .. وتمر أجيال وأجيال ، ويأتينا أعلام كالأئمة الأربعة ؛ فنرى فطنة أبي حنيفة ، وهيبة مالك ، وفصاحة الشافعي ، وثبات ابن حنبل .. وتمر بنا العصور التي لا يمكن بحال من الأحوال أن نقف ؛ حتى لا نذكر مجرد أسماء أولئك الأعلام حتى في الفترات العصيبة التي مرت بها ظروف رهيبة لأمة الإسلام حتى في وقت سقوط دولة الإسلام على أيدي التتار ، أو ما مر في فترات الضعف حتى في أواخر الدولة العثمانية أو نحو ذلك .. كان العلماء متوافرون والمجاهدون متكاثرون ، والزهاد والعباد يملئون الآفاق ،

وينتشرون في البلاد فلم تكن هناك ندرة ولم يكن هناك شح في أن يجد الناس أو أن يوجد في المجتمع أمثال هذه القدوات الكثيرة.

ثانيا : في عصرنا الحاضر ندرة القدوات

وهذا هو مدخل موضوعنا ، ونعني بالعصر الحاضر الفترة الأخيرة التي ربما إن أردنا أن نؤرخ لها نقول بأنها :

من بدايات القرن الهجري ، أو إذا قلنا أو أردنا نؤرخ في الأحداث من بعد سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية ، وتسلط الأعداء على الأمة الإسلامية في هذه الفترة نجد أن مجمل التاريخ المعاصر يعطينا مؤشرا لندرة القدوات ، وهي ندرة لا انعدام ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد اقتضت حكمته بقاء القدوة ، والثبات على الدين ، والقيام بالدعوة والجهاد في سبيل الله على مر تاريخ الأمة الإسلامية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : (الجهاد ماض إلى يوم القيامة منذ بعثني الله) رواه أبو داوود /2532 وهو ضعيف فهذا وعد وخبر من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام عن معاوية في البخاري/71ومسلم /1037وأحمد/ 16881 واللفظ له : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يبالون من خذلهما أ خالفهم حتى يأتي أمر الله عزوجل.)

أي في كل عصر وفي كل فترة من الفترات ، وفي كل ظرف من الظروف طائفة تتمسك بالحق ، وتتشبث به ، وتعلي راية الإسلام ، وتثبت أقدامها على طريق المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتضرب من أنفسها القدوة

كما أشار إلى ذلك الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عندما قال :

" الحمد الله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل

العلم ، يثبتون على الحق ، ويحيون بكتاب الله الموتى .. - إلى أن قال - فكم من قتيل لإبليس أحيوه ، وكم من ضال عن الهدى هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وما أقبح أثر الناس عليهم."

فأولئك الأعلام ، وتلك القدوات تنعدم ولكنها تقل وتندر ، كما ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه في صحيح مسلم/143

الذي جاء في آخره : حتى يقال في بني فلان رجل أمين) ورواه البخاري/7086 وابن ماجة/4053

يعني ترفع الأمانة ، وتنتقص وتقّلّ ؛ حتى يقال : في بني فلان رجل أمين ؛ حتى يكون في القوم أو القبيلة والعشيرة واحد منهم هو الذي يتصف بالأمانة ، أما غيره فلا فهذا الأمر يدلنا على مثل هذا ، ولكن القدوات ما تزال تتجدد - بحمد الله - من نعمة الله بأنه اقتضت حكمته بأن يكون هذا الدين هو الدين الخاتم ، وأن يكون المصطفى صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولذا قال النبي عليه الصلاة والسلام عن أبي هريرة: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها.) رواه أبو داوود/4291 واللفظ له وهو صحيح

فما تزال القيادات والقدوات الإسلامية تنبعث وتتجدد ، ثم - بإذن الله عز وجل - تتكاثر وتعظم لأن الوعد الإسلامي الرباني النبوي قائم بأن هذا الدين يعم وينتشر ؛ حتى ما يكون بيت وبر ولا مدر إلا ويدخله الإسلام في عز عزيز ، أو بذل ذليل .. عزا يعز الله فيه الإسلام المسلمين ، وذلا يذل به الشرك والمشركين .. كما ورد في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ننتقل ثالثا إلى : أسباب ندرة القدوات

وكما قلت لن أتحدث عن القدوة ولا عن وصول القدوة ولا على شروط رجل القدوة ؛ فإن هذا الموضوع مذكور منشور منثور بين الناس في كتب ، وفي أشرطة وفي أحاديث كثيرة ، ولكن نقف لنصور الظاهرة وآثارها أسباب ندرة القدوات منها:

أولا : انتقاص المنهج الإسلامي

ولا شك أن ما سأذكره أسباب كلية عامة لها أثارها المباشرة وغير المباشرة على انعدام كثرة القدوات أو ضعفها أو ندرتها ؛ ومن أولها - بلا شك - انتقاص المنهج الإسلامي ، وذلك في صور كثيرة مثل تغييب الحكم بالشريعة الإسلامية ، واستبدال القوانين الوضعية بها .. فنحن – وللأسف - نرى أن كثيرا من البلاد الإسلامية لم تعد تطبق الشريعة حكما بالقرآن والسنة ، بل غيرت وبدلت وشرعت أمورا ما أنزل الله عز وجل بها من سلطان ، وفي ظل هذا يكون وجود القدوة سببه مهيأ ، وظرفه غير موأت ، والمعين عليه غير متوفر ؛ لأن كيف نريد أن ننشئ قدوة إسلامية في ظل حكم يحكم الناس بغير شرع الله عز وجل ، ويقودهم على غير طريق الله - سبحانه وتعالى - ونشأ من ذلك العلمانية التي خلاصتها فصل الدين عن الدولة " مالِ قيصر لقيصر ومالِ الله الله "

جعلوا الدين في ركيعات محدودة ، وفي حج في العمر مرة ؛ حتى هذه العبادة انتقصوها وأضعفوها ، وجعلوا الدين يغيب عن الحياة ؛ وبالتالي لابد أن تتشوه الشخصية الإسلامية ، والأجيال الإسلامية في ظل هذا الانتقاص المجحف في المنهج الإسلامي ؛ بل إن هذا الأمر قد زاد عن هذا الحد فأصبح الأمر ليس مجرد ترك الحكم بالإسلام !

بل تغيير الأحكام الشرعية ، وسمن القوانين البشرية المعارضة والمناقضة لها ؛ فأصبح هناك تحليل للحرام وتحريم للحلال بصورة واضحة بينة في كثير من البلاد الإسلامية ، وما تشرعه من القوانين سمو ذلك حق التشريع ، وسمو سلطة تشريعية والقوانين التشريعية والتشريعات الدولية ونحو ذلك .. جعلوا فيها حق للبشر أن يش رعوا ، وأن يحللوا ويحرموا .. وتجد - كما نعرف - في بعض البلاد الإسلامية - للأسف - أن الزنى إذا كان بتراضي الطرفين لا يعد جريمة ولا يعاقب عليه القانون ولا يحق للإنسان أن يأمر أو أن ينهى أو يعترض ؛ فإنه يكون حينئذ متدخلا في قضية الشخصية بينما تنص القوانين في كثير من البلاد الإسلامية على حرمة وعدم مشروعية تعدد الزوجات ، ومن يتزوج ثانية يكون مخالفا معرضا للعقوبة وللقوانين التي تعاقبه على هذه الفعلة المحرمة المجرمة.
في مثل هذه التشريعات ، وفي ظل هذا الانتقاص - كما قلت - تغيب كثير من الأسباب التي تؤدي إلى وجود القدوات ؛ وبالتالي يكون هذا السبب من أسباب ندرة القدوات ، والحديث في مثل هذه الجوانب - وما سيأتي - في جوانب أخرى كثيرة ، وفيه تفريعات عديدة ربما أشير إلى موضوع سابق كان فيه بعض تفصيل لبعض هذه القضايا وما يقرب منها ، وهو درس " أين الخلل " الذي كان في حلقتين متتاليتين.

انتقاض البيئة الإسلامية :

نحن نعرف أن الأشياء لا تأتي ثمرتها إلا بالتكامل ؛ مثلا : الطالب الذي يدرس في المدرسة لكي يتفوق في الغالب يحتاج إلى أن يتوفر له المعلم الجيد ، والكتاب الواضح والأسرة التي ترعاه ، والأسباب

الأخرى التي لا تصرفه عن دراسته وتحصيله ، ولا تشغله بتوافه الأمور أو بأعمال أخرى بتكامل هذه الظروف ، يمكن أن يجتني الثمرة المرجوة كذلك القدوة الإسلامية لا يكون تمامها وكمالها إلا في ظل بيئة إسلامية ؛ أي أن الأوضاع كلها تكون إسلامية حتى يمكن للإنسان المسلم أن يمارس الحياة ويتعود عليها ، فإذا انتشر ذلك بين الناس ظهر منهم متفوقون بارزون يكونون قدوات في ميادين العبادة أو العلم أو العمل أو نحو ذلك .. أما عندما تنتقض البيئة الإسلامية ؛ فأنت إذا ربيت ابنك على الإسلام في البيت : هل يكفيك ذلك إذا كان في البيئة التعليمية لا يجد الإسلام أو يجد من يناقضه في البيئة الاجتماعية كذلك ، ولذلك نجد أن أوضاع كثير من بلاد المسلمين انتقضت فيها البيئة الإسلامية في جانب أو في جوانب بقليل أو بكثير ؛ فالأوضاع الاجتماعية تشهد كثيرا من النقض والاختلاف ، فتجد التبرج في النساء، والاختلاط في ميادين التعليم أو العمل ؛ وبالتالي تغيب العفة أو الحشمة ، ويغيب - أيضا- التسامي والخلق الراقي ، ويغيب - أيضا- ما يتعلق بكل المعاني الأخلاقية التي تضعف وتضمر عندما لا تكون هذه الأوضاع على المنهج الإسلامي أو على الصورة الإسلامية.

الأوضاع التعليمية أيضا :

كنا نرى فيما سبق قدوات في العلم نرى أن الشافعي تصدر للإفتاء وهو ابن تسعة عشر عاما ، ونرى من كان يحفظ القرآن وهو ابن خمس وسبع ومن كان يحفظ آلاف الأحاديث وهو لما يبلغ سن البلوغ ، ونرى من العلماء من كان بحر في العربية والشريعة والفقه والأصول ، وحتى أن بعض الناس كانوا يقولون : هذا غير معقول !

وهذه أمور مستحيلة ! كيف كانوا يحفظون ؟ كيف كان الواحد منهم عالما في كل هذه العلوم التي اليوم يتفرغ الواحد من الناس لعلم واحد ، ولا يحيط إلا بشيء قليل منه ؟

نقول : البيئة التعليمية أيضا لم تعد نفس البيئة ، التي كانت تنشئ هذه التنشئة ؛ فنحن نعرف تبعثر التعليم بتكثير مواده وتغير مضامينه - وكما أشرت - في مرة من المرات يدرس الطالب من كل بحر قطرة ، ويخرج بآخر الأمر بلا قطرة لا من هنا ولا من هناك ، يأخذ من كل شيء عنوان .. يعني يخرج المتخرج - كما أشرنا - مرة في حديث أو درس يتخرج من الثانوية ، أو درس الكيمياء ودرس الفيزياء ودرس اللغة العربية ، ودرس اللغة الإنجليزية ودرس كذا وكذا .. لكنه لا يعرف في الغالب من هذه إلا أسمائها ويكون جيدا إن كان يعرف ما هو مضمون .. هذه المادة العربية تتحدث عن القواعد والأدب ويمكن أن تتحدث عن الميكانيكا وعن إصلاح الأجهزة أو غير ذلك .. وهذا ليس على سبيل التندر ولكن هو جزء من الواقع!

ويمتد الزمن الطويل من غير تحصيل كثير، وبالتالي تجد – أيضا- في كثير من البلاد الإسلامية ضعف مناهج التعليم الإسلامي، يعني لا يدرسون شيء من الدين كما في مناهج مدارسنا ، وتجد بعض البلاد الإسلامية كل مادة الدين عندهم كتاب واحد ، يضعون فيه كل شيء أضف إلى ذلك وجود مناهج منحرفة تقدم الدين تقديما خاطئا ، وبالتالي - أيضا - هناك تخصصات فاسدة منحرفة ، تعلم وتد رس - كما يسمونها - الفنون الجميلة ونحو ذلك ..

هذا كله قطعا لوجود هذه البيئة ، لن يكون هناك قدوات مرجوة حتى الأوضاع الاقتصادية التي كان فيها الناس على نوع من الزهد والإنفاق في سبيل الله عز وجل ، وتحري الكسب الحلال.
أيضا انتقضت فشاع الربا وأصبح ظاهرا، وكثر الغش والاحتكار وزاد سعار الجشع والتعلق بالماديات ، وأصبح الناس - كما يقولون - أخلاقهم تجارية ، لا يعرفك إلا بالدرهم والدينار ، ولا يزنك إلا بالرصيد الذي لك في البنك .. ونحو ذلك!
هذا أيضا غير كثير من أوضاع البيئة التي يمكن أن ينشأ من خلالها القدوات.

ثالثا : الغزو العسكري وتدمير مقومات الأمة

الغزو العسكري الذي حصل في بدايات هذا القرن احتلال لأكثر البلاد الإسلامية ونهب ثرواتها وتدمير البنية النهضوية فهم الذين في كثير من البلاد وضعوا أسس التعليم بحيث لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة والاستقلال الحقيقي والنهضة القوية الفتية.
كذلك نعرف كثير من البلاد الإسلامية - وهي بلاد زراعية - لا تكفي نفسها وإنما تكفي كل العالم العربي أو الإسلامي أو أكثره ؛ ومع ذلك تجد أنها نتيجة لما بهر فيها أولئك المحتلون الغاصبون أصبحت اليوم تستجدي قوت يومها وتستجدي القمح الذي كانت تصدره ونحو ذلك مما نعلمه في كثير من أوضاع مجتمعاتنا وبلادنا الإسلامية.
ومن ذلك أيضا تقطيع الدولة الإسلامية إلى دول كثيرة ، وزرع أسباب الشقاق فيما بينها ؛ حتى لا يكون عندها وقت للبناء وللقوة والفتوة ؛ وإنما تنشغل بمثل هذه الصراعات إضافة إلى تكريس التبعية الكاملة للمحتل.

بعد الاستقلال تجد أن بعض البلاد غلبت عليها اللغة الفرنسية ؛ لأن المحتل كان فرنسيا أو إنجليزيا كذلك ، وكذلك الثقافة تتوجه بتوجهها ، وكذلك البعثات تتوجه في هذا التوجه ؛ وبالتالي كان لهذا أثره الكبير في ضعف هذه الأسباب.

رابعا : الغزو الفكري وتكريس الهزيمة النفسية

والغزو الفكري - لاشك - أنه أفتك وأكثر أثرا من الغزو العسكري ، الذي تتجسد هذا الغزو الفكري في صورة كثيرة - وهو موضوع مستقل طويل - لكن تتجسد في ربط التخلف بالدين ، وربط التقدم بترك الدين ، وهذا الذي كان خاصة في بدايات هذا القرن صاحبه انبهار بالحضارة الغربية ، والمدنية التقنية التي بدأت في بلاد الغرب، واستمرت - ولا زالت - تفتن كثير من القلوب ، وتختطف كثير من الأبصار.

ومن أكثر أمور الغزو الفكري خطورة : إضعاف اللغة العربية

وبعضضتها ، وتهديم بنيانها حتى إنك اليوم لا تكاد سمع أحد يتحدث اللغة العربية ، ولا يكاد أحد من أهل العمومة والإسلام يستطيع أن يقرأ لك - لا أقول كتابا ولا فصلا ولا صفحة - لكن فقرة واحدة يقيمها إقامة صحيحة ، ويقرأها قراءة جيدة ؛ فضلا على أن يكون ملما بقواعد اللغة أو بأساليب البلاغة أو بميادين الأدب .. ونحو ذلك .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

السلبية في حياتنا

مرض خطير وما اكثر الأمراض التي أصبنا بها. مرض نخر في أجسادنا فأهلكها، وفى قلوبنا فأوهنها، وفي أبداننا فأهرمها **إنه مرض السلبية في حياتنا** وإن شئت فقل : "مرض العجز والكسل"،أو ما يعبر عنه بـ" السلبية".

استشرى هذا المرض في الملتزمين كما هو موجود في المنفلتين والمتسكعين، العطالين البطالين ،الذين لا يشهدون الفجر في جماعة، ولا الضائعين المنغمسين في الشهوات ، فقد ظهرت علامات مرض السلبية في الشباب المستقيمين المظهرين لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، المتمسكين بالمنهج القويم، الذي يحسب على أهل الاستقامة ،

إن أعراض مرض "السلبية" : هي العجز وعدم الاهتمام بما يهم المسلمين، والشعور بالذل والهواننتيجة الامتهان الذي يلاقونه ولا يستطيعون رده. ومضاعفات المرض هي الشعور باليأس والإحباط وموت الشعور بالأنفة والعزة الإسلامية. فالسلبية مرض لا يسكت عليه ، وأمر لا يتغافل عنه ،

ولسنا أقل ولا أبخس حظا من تلك النملة التي شعرت بمسؤليتها، فحذرت قومها، وبينت لهم، فللهدرها من نملة، ذكرها الله عز وجل في كتابه، وخلد ذكرها الي يوم القيامة، وهي حشرة صغيرة ، قال تعالى :

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (18) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ

قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19) وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سبأ بنبأ يقين (22) (النمل: 22-18)

كم من المسلمين يرى الأمراض والأخطار تنهش في جسد هذه الأمة، فلا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر، ولا مشاركة في حلقات علم وتحفيظ القرآن، ولا حتى مشاركة في أبسط الأمور مع الجيران.

إنحمل مسئولية بسيطة تثاقلها، وإنك لف بشي يسير تذمر منها، وإن قيل له: شارك بكذاوكذا تنصَلَ منها، بل لا يصبر علي سماع كلمة في مسجد، فهو أول المنصرفين، وأول السرعان،وكأن لسان حاله يقول: لا حاجة لي بهذه الموعظة.

وهل أخَّر المسلمين عن الأمم، : إلا تفرقهم وكسلهم وجبنهم و خورهم ويأسهم من القيام بشؤونهم، حتى صاروا بذلك عالة على غيرهم؟ ألا ترى إى أثرياء العالم الكفار كيف يتنازلون عن جزء من ثرواتهم للفقراء ولا يطبق هذا أحد من أثريائنا؟ وقد حذرهم دينهم عن هذه الأمور أشد التحذير. وأمرهم أن يكونوا في مقدمة الخلق في القوة، والشجاعة، والصبر، والملازمة للسعي في كل أمر نافع، والعزم، والحزم، والرجاء، وحسن الثقة بالله في تحقيق مطالبهم. والدواعي لهم في ذلك متوفرة. فإن مجرد السعي في ذلك بحسب الإمكان من أفضل الأعمال المقربة إلى الله.

يا عجبا لمؤمن يرى أهل الباطل يجهدون ويألمون في نصر باطلهم، وهم لا غاية لهم شريفة يطلبونها، بينما هو متكاسل عن نصرة الحق الذي يترتب على نصره الخيرات العاجلة والآجلة، كذلك خوفا من المشقة، وزهدا في إعانة إخوانه المسلمين في ماله أو بدنه وقوله وفعله، بل زهدا في مصالح نفسه الحقيقية.

= أسباب السلبية في حياتنا :

١= عدم تعظيم ومعرفة الله عز وجل

إن تعظيم الله وإجلاله لا يتحقق إلا بإثبات الصفات له كما يليق به سبحانه، وروح العبادة هو الإجلالالله مع المحبة له، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت. وعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم الله تعظيما وإجلا لا.

قال تعالي: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (4) " (الأنفال٢ :-٤)

ويقول سبحانه : وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (34) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)" [الحج: ٣٤-٣٥].

والذي يعظم قدر الله في قلبه يكون عنده الإخلاص الله في القول والعمل

القلوب لا تطمئن إلا بالله، وغنى العبد بطاعة ربه والإقبال عليه، ودين الحق هو تحقيق العبودية الله،وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد تحقيق عبوديتها الله، وإخلاص الأعمال الله

أصلالدين، وبذلك أمر الله رسوله بالإخلاص في قوله:(قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي) الزمر: 14

وُأمر النبي أن يبين أن عبادته قائمة على الإخلاص فقال له (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ " [الزمر:١١]

وبذلك ُأمرت جميع الأمم قال جل وعلا : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة٥:].

وأحق الناس بشفاعة النبي يوم القيامة من كان أخلصهم لله, قال أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعدالناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) رواه البخاري/6570

والإخلاص مانع بإذن الله من تسلط الشيطان على العبد, قال سبحانه عن إبليس : قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) (ص:82:83)

والمخلص محفوظ بحفظ الله من العصيان والمكاره، قال سبحانه عن يوسف عليه السلام :

(كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) [يوسف:٢٤].

في الإخلاص طمأنينة القلب وشعور بالسعادة وراحة من ذل الخلق،

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله : "من عرف الناس استراح"

أي: أنهم لا ينفعونه ولا يضرونه.

وكل عمل لم يقصد به وجه الله طاقة مهدرة وسراب يضمحل،

وصاحبه لا للدنيا جمع ولا للآخرة ارتفع، يقول النبي عن أبي أمامة الباهلي: (إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه) رواه النسائي/3140 وهو صحيح

والذي يعظم قدر الله في قلبه يكثر الدعاء والابتهال والافتقار إلى الله
إذا أرت الإعانة من الله تعالي في دعوتك وعملك للاسلام والمسلمين
فعليك بالدعاء ولالتجاء إلى الله فهوالمعين وهوالمسدد وهوالمدبر
والله يقول في كتابه "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم (غافر:60)
وقال تعالى : "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع
إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون" [البقرة:١٨٦]،
وقال صلى الله عليه وسلم : فيما رواه أبو داوود/1479 وهو صحيح : (
الدعاء هو العبادة) ثم قرأ : "وقال ربكم ادعوني أستجب لكم" [
غافر:60].
وقال النبي عن سلمان : (إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي
من عبده إذا رفع يداه إليه أن يردهما صفرا خائبين) ابن ماجة/3865
والترمذي/1488
وقال : (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر)
الترمذي/2139
وقال عن أبي سعيد : (ما من مسلم يدعوالله بدعوة ليس فيها إثم ولا
قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته،
وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها،
قالوا: إذا نكثر الدعاء، قال صلى الله عليه وسلم: الله أكثر) رواه
أحمد/11133
وقال : (إنه من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه) حسنه
الترمذي/3373
وكان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في البخاري/2893 ومسلم/2706
والنسائي/5448: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن
والهرم ، واعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات".

٢= عدم طلب العلم والاستزادة منه :

يحض الإسلام على العلم :

قال تعالى: "قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر:9

وقال : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" المجادلة :11

والعلم بالأحكام الشرعية يؤدي إلى معرفة ما هو ضار من تصرفات الآخرين وما هو نافع، وبالتالييستحث ذلك الأفراد إلى مقاومة التصرفات الضارة وتأييد التصرفات النافعة، مما يكون عوناعلى نفي السلبية من حياتنا.

٣= قصور مفهوم العبادة عند البعض وتدني مستوى الإيمان لدى الكثيرين :

إن مفهوم "العبادة" يقتصر في ذهن كثير من الشباب على إقامة الشعائر التعبدية: الصلاة والزكاة والصوم والحج وهو مفهوم قاصر، حيث جعل العبادة التي خلق الإنسان ووهب الحياة من أجلها-

"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" [الذريات :٥٦]

- جعلها قاصرة على لحظات قليلة في الحياة.

وكان لهذا المفهوم القاصر أثره في عجز وسلبية كثير من الناس. فقد انغمس البعض في شعائر العبادة وكرس حياته لها وأهمل باقي فروع الحياة . والبعض الآخر- على النقيض- اعتبر أنه قد أدي واجب العبودية بهذه الشعائر، وانطلق في باقي حياته على غير هدى الإسلام!

قال تعالي : " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام:١٦٢-١٦٣)

إن حقيقة مفهوم العبادة هو الإقرار بالعبودية الكاملة الله، وهذا الإقرار لا يتأتى فى الـشعائر التعبديـة وحدها، وإنما يلزم أن يكون في كل منحى من مناحي الحياة. وقد فصل الله ورسوله لنا طريقة حياتنا تفصيلا كاملا في نظام شامل. فإقرارنا بالعبودية الله تعالى لا يتم إلا بخضوعنا واتباعنا لهـذا النظـام الشامل بكل تفاصيله ودقائقه، والذي لا تمثل الشعائر التعبدية إلا جزءا منه.

وفى الحديث القدسي قال الرسول صلي الله عليه وسلم عن أب هريرة : "إن الله تعالى قال: ... ومـا يـزال عبـدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويـده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألني أعطيته، وإن استعاذني لأعيذنه" [البخارى/6502].

ولابد من اشغال للسان با التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والرجاء.. ومـن مطلوباتـه أن يكون انعكاسا لما يشعر به القلب.

وكان أسوتنا الحسنة- صلي الله عليه وسلم- ذاكرا الله فى كل أحواله.. كان يقرن كل حركاته وكـل أعماله بذكر الله بلسانه تعبيرا عما فى قلبه، وهو ماُأثر عنه باسم "الأذكار"..

فمثلا، كان يذكر الله عند استيقاظه من منامه.. وعند ارتدائه ثوبه.. وإذا أرتدى ثوبا أو نعلا جديـدا..

وإذا خلع ثوبه.. وعند خروجه من البيت.. وعند دخوله البيت.. وإذا استيقظ من الليل وخرج من بيتهإلي الخلاء (مكان قضـاء الحاجة).. وإذا أراد دخول الخلاء.. وعند خروجه من الخـلاء.. وعنـدمايصب ماء الوضوء على يديه.. وعلى وضوئه.. وعلى اغتساله.. وعلى تيممه..

وإذا توجه إلى المسجد.. وعند دخوله المسجد وخروجه منه.. وهو فى المسجد.. وعند سماعه الآذان والإقامة.. وبعد الآذا ن.. وعندما يقوم للصلاة.. وعندما يقف فى الصف للصلاة.. وعند الصباح
وعندالمساء.. وصباح يوم الجمعة..وإذا طلعت الشمس.. وإذا ارتفعت الشمس.. وبعد زوال الشمس إلى العصر.. وبعد العصر إلى غروب الشمس.. وإذا سمع أذان المغرب.. وإذا أراد النوم.. وإذا استيقظ فى الليل.. وإذا قلق فى فراشه ولم ينم.. وإذا فزع فى منامه.. وإذا رأى فى منامه ما يحب أو يكره..
وإذا هاجت الريح.. وإذا رأى نجما يهوى.. وإذا سمع الرعد.. وإذا نزل المطر.. وبعد نزول المطر.. وإذا خيف الضرر من المطر..
وإذا رأى الهلال.. وعند تقديم الطعام له.. وعند الأكل والشرب..
وإذا فرغ من الطعام.. وإذا خاف قوما.. وإذا خاف سلطانا.. وإذا نظر إلى عدوه.. وإذا غلبه أمر... وإذا استصعب عليه أمر. أي ذكر الله فى كل الأحوال.

ومن هذا القبيل: الإهمال في تلاوة القرآن وتدبره
فقد جعل القرآن ليقرأ.. لذا سمى قرآنا. لذلك يحض الله تعالى على قراءته فيقول: "ورتل القرآن ترتيلا" [المزمل:٤]
ويقول: "فاقرؤوا ما تيسر من القرآن (المزمل/20)
والقراءة لا تحقق هدفها إلا مع التدبر- "كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوالألباب" (ص/29)
ولهذا يخص القرآن بالذكر أوقاتا معينة هى أكثر ما يكون فيها الإنسان صافى النفس مستعداللتلقى والتأثر، فيقول : "وقرآن الفجر، إن قرآن الفجر كان مشهودا" [الإسراء: ٧٨]

ويقول: "واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا" [الإنسان:٢٥]
أى أول النهار وآخره..
ويقول: "ومن الليل فتهجد به" [الإسراء: ٧٩]..
ويقول عن قراءة الليل : "إن ناشئة الليل هى أشد وطـًأوأقوم قيلا" [المزمل:٦]
أى أن ساعات الليل أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها.
ولا يجب أن تقف صعوبة تلاوة القرآن لدى البعض حاجزا يصدهم عن المداومة على التلاوة حتى لايضيع عليهم الأجر.. قال صلي الله عليه وسلم: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ،والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران "رواه البخاري/4937 ومسلم798 والترمذي/2904واللفظ له

٤= الانغماس في الدنيا وملذاتها :

لقد اصبح معيار النجاح عند بعض الشباب في الحياة هو الثروة المالية، والمركز الوظيفي، والمركز الاجتماعي، والشهرة! لقد أصبح تنافسنا في الحياة في هذه المجالات، وليس في مجال العمل للفوز بثواب الجنة، كما أرشدنا الله تعالى في قوله: "وفى ذلك فليتنافس المتنافسون" [المطففين:٢٦].
غلبت على قلوبنا المعايير الدنيوية الجاهلية السائدة في الحياة من حولنا.
ولقد حذرنا الله من الدنيا اشد التحذير، قال تعالى: " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا

وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (الحديد:٢٠-٢١).

أما أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي رغبت في الزهد في الدنيا والتقلل منها والعزوف عنها فهي كثيرة منها :

قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمر رضي الله عنهما : [كن في الدنيا كأنك غريب أو عابرسبيل] رواه البخاري/6416 كتاب الرقاق وزاد الترمذي في روايته/2333 أبواب الزهد : [وعد نفسك من أصحاب القبور].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: [الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر] مسلم/2956

وقال صلى الله عليه وسلم مبينا حقارة الدنيا: [والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فياليم، فلينظر بم يرجع؟ رواه مسلم/2858 والترمذي/2323

وقال صلى الله عليه وسلم عن ابن مسعود : [مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال - أي نام - في ظل شجرة، في يوم صائف، ثم راح وتركها] رواه الترمذي/2377 وأحمد/3709 وهو صحيح

وقال صلى الله عليه وسلم عن سهل بن سعد : [ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس] رواه ابن ماجه/4102 وصححه الألباني

وقال صلى الله عليه وسلم : [اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلا حرصا، ولا يزدادون من الله إلا بعدا] رواه الحاكم وحسنه الألباني].

٥= عدم تعود الدعوة الى الله وممارستها

ونحن نسير فى هذا الطريق السابق ذكره- طريق ترسيخ العقيدة فى قلوبنا والارتفاع بمستوى إيماننا- فإن علينا أن ندعو غيرنا ليسيروا معنا فى نفس الطريق.

إن الدعوة واجب على كل مسلم- فقد قال تعالى لرسوله- صلي الله عليه وسلم: "وأدع إلى ربك" (القصص :78)

وقال أيضا: "قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى" [يوسف :١٠٨]

فهكذا كل متبع لمحمد- صلي الله عليه وسلم- مكلف أن يدعو بدعوته، وأن يتبع سبيله ومنهجه فى الدعوة.

ومن ثم فإن دعوتنا- كما أمر القرآن وفعل الرسول- تكون للأقرب فالأقرب.. فتكون فى البيت أولا.. ثم فى الحلقة القريبة من الأقرباء والأصدقاء.. ثم تتسع الحلقة، وهلم جرا.

ولأن البيت هوالخلية في المجتمع المسلم لذا نال اهتماما خاصا في القرآن حيث يقول: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" [التحريم٦:].

ولعل كثيرا منا ينفذون هذا الأمر بطريقة خاطئة- وهى طريقة العنف والأمر الفظ- فيكون رد الفعل العكسى هو الرفض والعناد. وقد نبهنا الله تعالى إلى نتيجة الفظاظة فى المعاملة فى قوله لرسوله: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك" [آل عمران:١٥٩].

لقد كان سبيل الرسول- صلي الله عليه وسلم- فى الدعوة هو اللين والحلم والأناة.. وكانت هذه وسيلته فى تأليف القلوب حوله.

وكان يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة كأمر ربه: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" [النحل:١٢٥].

وهذا الجانب من الحكمة من الأهمية بمكان لنا فى دعوتنا، لأنه يغلب علينا تجاهله أحيانا! إن بعضنا يجهل ظروف ونفسيات وقدرات من يدعوهم- خاصة النساء والأولاد- فيعرضلهم الدين فى صورة تبدو لهم وكأنه لا يعدو مجموعة من القيود والأغلال!! وبعضنا يدعو بترديد كلام قديم محفوظ لا علاقة له بالحاضر، فيبدو للسامعين وكأنه منعزل عن الواقع ولا يفهمه، فينفر منه المدعون !!

علينا ألا يغيب عن بالنا أن الدعوة تهدف إلى تغيير ما فى نفوس الناس.. وهذا يقتضى الوصول إلىما بداخلهم والتعامل معه- وهذا ما كان يفعله رسولنا الكريم!

وكان صلي الله عليه وسلم قدوة لما يدعو اليه.. وكذلك كان المسلمون الأوائل.. وكان هذا هو أهم سلاح، بل والسلاح الأوحد الذى انتشرت به الدعوة.

هذه هى سبيل الرسول- صلي الله عليه وسلم- التى نتأسى بها فنجعلها سبيلنا!

وقد رغب الرسول- صلي الله عليه وسلم- فى الدعوة فقال عن أبي هريرة- ضمن حديث له-: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا" رواه مسلم/2674 كتاب العلم

وقال أيضا- ضمن حديث آخر-: "فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النّعم" رواه البخاري/3009 ومسلم/2406 وأحمد/22821

ومن باب الدعوة إلى الهدى التناصح فى الخير- وهو واجب بين المسلمين-.. وفى هذا قال الرسول- صلي الله عليه وسلم- : "الدين النصيحة فلما سئل لمن؟ قال: " الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " رواه مسلم/ 55كتاب الإيمان

وقال الصحابى جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- : بايعت رسول الله- صلي الله عليه وسلم- على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم " رواه البخاري/58 ومسلم/56 والترمذي/1925 والنسائي/4177 وأحمد/19152

فعلينا أن ندعو وأن ننصح! وإذا قام كل منا بواجبه فى هذا المضمار فسنرى عدد رواد المساجد وحلقات الدرس يزيد، وستنمو جذور المجتمع المسلم.

وعدم أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر والحرص على هدايتهم ومحبة الخير لهم وعدم أشعارهم بأنهم لاشيء واشعارهم كذلك بمحبتهم ومحبت الخير لهم ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

ولابد كذلك من المعايشة التي تعنى العيش مجتمعين على الألفة والمودة. ومعايشة المؤمنين وتجنب الفاسقين واجب أمر به الله تعالى.. قال: "فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا " [النجم :٢٩].

وكما ورد في حديث نبوي، فإن أول ما دخل النقص على بنى إسرائيل أنهم كانوا يتعايشون مع الفاسقين منهم ولا يقاطعونهم.

إن معايشة الفاسق قد تعدى فسقا.. بينما أن معايشة المؤمن لا تثمر إلا خيرا.!! وقد شبه الرسول-صلي الله عليه وسلم- هذا الموقف فقال: "إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ

الكير - فحامل المسك إما أن يحذيك (يعطيك) وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبا.. ونـافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا منتنة " رواه البخاري/2101 ومسلم/2628

ولكن لابد من معرفة العوامـل التي تساعد على تقارب المسلمين هوالتعامل طبقا لتعاليم الإسلام.. فقد نسيها المسلمون!! نـسوا أن تعاليم الإسلام في التعامل بينهم تدعوهم إلى المحبة والتواد والعفو وكظم الغيظ والتعـاون والتـآزر،وغفلوا عن تحذير الله: "إن الشيطان ينزغ بينهم" (الإسراء:٥٣)

وأطلقوا لأنفسهم العنان فى التنـازعوالتخاصم والتدابر والتباغض والتحـاسد.

علينا ألا ننسى أننا بشر، كل منا له نواقصه وعيوبه، فلا نتوقع المثالية فى تعاملنا مع بعضنا!..

علينا نعامل المخطئ على أنه أخ، فلا نـهجره وإنما نقف بجانبه لنساعده على تصحيح خطئه!..

علينا أن ندفع الإساءة بالإحسان كما قال لنا القرآن : " ادفع بالتى هى أحسن السيئة فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (فصلت:34)

علينا أن نصفح كتوجيه القرآن : "فاصفح الـصفح الجميـل "[الحجر: ٨٥]..

وأيضا: "وليعفوا وليصفحوا. ألا تحبون أن يغفر الله لكم؟!" [النور:٢٢]

علينا أن نكظم الغيظ ونعفو لنكون من المحسنين الذين قال فيهم القرآن "والكاظمين الغيظ والعافينعن الناس. والله يحب المحسنين" [آل عمران:١٣٤].

علينا أن نتجمل بالصبر على الإساءة كما قال لنا القرآن: "ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور" [الشورى:٤]
ولنتأمل معا هذه الرواية التى رواها أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: إن رجلا شتم أبا بكر-رضي الله عنه- والنبي- صلي الله عليه وسلم-جالس فجعل النبي- صلي الله عليه وسلم- يعجب و يبتسم.. فلما أكثر رد عليه بعض قوله.. فغضب النبي- صلي الله عليه وسلم- وقا م.. فلحقه أبوبكر- رضي الله عنه- فقال يا رسول الله، إنه كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددت بعض عليه قوله غضبت وقمت! قال: "إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان،فلم أكن لأقعد مع الشيطان" رواه أحمد/7206 ومسلم/2588
لعله من النادر أن نرى أحدنا يتصرف كتوجيهات القرآن والرسول! إننا في أغلب الأحوال تأخذناالعزة، ونعتبر أن عدم الرد عجز وضعف وذلة!! لقد قال لنا القرآن في وصف المؤمنين الذين يحبهما الله: "أذلة علي المؤمنين أعزة على الكافرين" (المائدة:٥٤].
فهذا هو توجيه القرآن- أن نذل لبعضناالبعض بالصبر على النواقص والعيوب، وبالصفح والمغفرة، وبالسماحة والتواضع، وبالود والتراحم !
علينا أن نقتدي بالمسلمين الأوائل الذين قال فيهم القرآن: "محمد رسول الله والذين معه أشداء علـى الكفار رحماء بينهم" [الفتح:٢٩]
وقد قال لنا رسول الله- صلي الله عليه وسلم- : " من لا يرحم لايرحم" رواه البخاري/7376 ومسلم/2319
وقال : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " رواه مسلم/2319 كتاب الفضائل

ومن صفات التراحم ستر عيوب وأخطاء الآخرين. قال- صلي الله عليه وسلم- : " لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة " رواه مسلم/2590 كتاب البر

جاء رجل يوما إلى عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه- ظانا أنه يحمل إليه بشرى، فيقول: يا أمير المؤمنين، رأيت فلانا وفلانة يتعانقان وراء النخيل.. فيمسك عمر بتلابيبه (ثيابه) ويعلوه بمخفقته (عصا صغيرة كان يحملها دائما) ويقول له بعد أن يوسعه ضربا: "هلا سترت عليه ورجوت له التوبة؟! فإن رسول الله- صلي الله عليه وسلم- قا ل : "من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة" مسلم/2700

فهلا نتواد ونتراحم ونكون كالمثل الذي ضربه الرسول- صلي الله عليه وسلم- في حديثه : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" البخاري/6011 ومسلم/2586

تم بحمد الله تعالي

الختان .. يا قلفاء اختتني

(رؤية شرعية لقضية الختان)

= **أهم مبررات الكلام عن الختان هي :**

١ _ أن مسألة الختان أصبحت من المسائل الدولية والتي يعقد من اجلها الإجتماعات والمؤتمرات والناس إنقسموا بين مؤيد ومعارض

٢ _ أن بعض الناس تعدى حدود الله وزعم أن الختان ليس مشروعا أصلا

٣ _ أن الذي يملا القلب حزنا أن منهم من يشتغل بالصنعة الحديثية وزعم أنه لا يوجد حديث صحيح صريح في إستحبابه للنساء

= **صفة ختان الرجل والمرأة :**

ختان الرجل : هو قطع الجلدة التي تحت الحشفة

ختان الاناث : هو قطع بعض البظر مع الشفرين الصغيرين أو بعضهما، وهنا وقفات:

١ _ البظر هو عضو يقابل عضو الرجل من الجهة التكوينية فهو حساس وينتصب لوجود نسيج انتصابى اسفنجى به وطوله قد يكون ثلاثة سنتيمترات أو أكثر

٢ _ ـ أننا ننادى بقطع بعض البظر والشفرين إن كان بهما طول

٣ _ أن ختان الا ناث يتم على موضعين البظر والشفرين الصغيرين

ختان الذكور :

ختان الذكور أمر معروف في جميع الكتب والصحف السماوية :

قال صلى الله عليه وسلم " اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنه بالقدوم " رواه البخاري/6298 ومسلم/2370 وأحمد /8281

وأمرنا النبي صلى الله علية وسلم بأن نتأسى بالانبياء من قبله :
بل وفى كتب أهل الكتاب : كما فى سفر أرميا (٩/٢٥_٦٢) " اختتنة للرب واترعوا غرل قاوبكم "
وفى إنجيل برنابا "النفس التى لا تختن جسدها إياها أبدا من بين شعبى إلى الأبد
بل وعند القدماء المصريين : قال المؤرخ اليونانى " هيرودوت " إن المصريين القدماء كانوا يختتنون وأن شعوبا كثيرة نقلت عنهم فكرة الختان
قلت :_ والذى يؤكد ما قاله المؤرخ اليونانى أن الأثار والنقوش التى على جدران سقارة تفيد ذلك
٢_ أن القدماء المصريين كانوا يعتبرون الختان من الضروريات الصحية بل لا يتولى المناصب الهامه عندهم إلا مختون
= ولكن ما حكم ختان الذكور ؟؟
ختان الذكور من أعظم الواجبات والأدلة على ذالك كثيرة نذكر بعضها
١_: ما رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علي وسلم " خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وقص الشارب وتقليم الأظافر " رواه البخاري/5891 ومسلم/257 والترمذي/2756 ومالك/2667
ووجه الإستدلال فى هذا الحديث "أن المحافظه على الفطرة من أوجب الواجبات "، فإما أن يقال أن المذكورات أجزاء من الفطرة وحيث أن أجزاء الواجب واجب إذا الختان واجب وإما أن يقال أن المذكورات وسائل وحيث أن الوسائل تأخذ أحكام المقاصد، فإن الختان واجب ، والأمر الذي ليس له دليل يصرفه فهو واجب

٢_: ما رواه الامام أحمد عن ابن عباس أنه قال " الأقلف لا تحل له صلاة ولا تؤكل ذبيحته ولا يجوز له شهادة "،
وجه الاستدلال "أن الصلاة واجبه وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب "إذا الختان واجب "
٣_: روى الطبراني فى الكبير عن قتادة الرهاوي قال "كان يأمر النبي صلى الله عليه وسلم من أسلم أن يختن" ، وجه الاستدلال : لفظ يأمر وهو من صيغ الامر التى تقتضى الوجوب
٤_: ما رواه الشيخان عن طا ووس عن بن عباس قال : "مر رسول الله صلى الله علية وسلم على قبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أما هذا فكان لا يستنزه من بوله وأما هذا فإنه كان يمشى بالنميمة " رواه البخاري/216 ومسلم/292
وجه الاستدلال : إن كان عدم الإستنزاه من البول ترتب عليه عذاب وعقاب فما بالنا بمن إحتجز فى جلدته بعض البول فإنه أولى بالحكم ، وما لا يتم ترك الحرام إلابتركه فتركه واجب

= فوائد ختان الرجل :

١_: إمتثال أمر الله سبحانه وتعالى وأمر نبيه صلى الله علية وسلم
٢_: أن عضو التذكير في الرجل وظيفته التبول والتناسل وعليه فالختان يمنع إحتباس البول وخاصة فى الاطفال حديث الولادة وأيضا يمنع من تجمع نقط بوليه والتى تسبب التهابات فى التذكير الذى يسبب ما يسمى بسرطان القضيب
٣_: الختان من تمام الطهارة
٤_: الختان يحسن الإحساس في عضو التذكير
٥_: أن الختان يقلل إستعمال العادة السرية

٦_ : أن الدكتور صبرى القبانى قال فى كتاب حياتنا الجنسية
" ويبدو أن للختان تأثيرا غير مباشر على القوة الجنسية "
٧_ : مخالفة المشركين من اليهود والنصاري لأنهم لا يختتنون الآن !!

= ولكن ما وقت ختان الذكور ؟

الوقت المناسب لطهارة الذكر في الإسبوع الاول من الولادة
فإن مر الاسبوع ولم يختن فإنه لايختن قبل الأربعين يوما والسبب فى ذلك أن فيتامين "k" بعد إسبوع يفقده المولود من أمه والمسؤل عن إفرازه الكبد والكبد لا يعمل قبل شهر إلى أربعين يوما وعليه فإن الوقت المناسب بعد مرور الاسبوع الاول بعد الاربعين إلى نهاية الثلاثة أشهر الاولى وذلك لأن الإحساس والإدراك يبدءان في النمو بعد هذة المدة ويكتملان بعد سنة من الولادة ولا يفهم من كلامى أنها لاتفعل بعد الثلاثة أشهر الأولى بل تفعل ولكن تكون أكثر إيلاما

= أما حكم ختان الإناث ؟

ختان الإناث : هو قطع بعض البظر إن كان طويلا مع قطع الشفرين الصغيرين إن كان بهما طولا أيضا وهنا حالتان :
١_ليس فى البظر طولا ولا الشفرين الصغيرين ففي هذه الحالة لا يحل التعرض للبظر ولا الشفرين أي لاتحتاج إلى ختان أصلا
٢_فى البظر طولا وفى الشفرين الصغيرين أو فى أحدهما ففي هذه الحالة يجب إزالة هذه الزيادة

= الادلة على الوجوب :

١_:: ما رواه أحمد/26195 وهو صحيح عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما النساء شقائق الرجال " ، ومعنى الحديث أن حكم النساء هو حكم الرجال في كل مسألة شرعية مالم يأت نص بالتخصيص لأحدهما

٢_:: روى مسلم/350 والترمذي/108 وابن ماجة/608 عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا إلتقى الختانان فقد وجب الغسل "، وجه الاستدلال أن كلاهما مختونان

٣_:: روى أبو داوودعن أم عطية : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها "اخفضي ولا تنهكي فإنه أنضر للوجه وأحظى عند الزوج"، وجه الاستدلال قوله اخفضي وهذا فعل أمر وهو يقتضى الوجوب، فإن قيل الحديث ضعيف قلت الحديث حسن بشاهدين من حديث أنس ومن حديث أم أيمن، ومن حديث الضحاك بن قيس عند البيهقي، ويستدل به هنا إستأناسا لا استدلالا.

= ولكن ما وقت ختان الإناث ؟

الانثى غير الذكر فى هذا الباب لأن أعضاء الختان عندها لم تكتمل نموا لذلك فالوقت المناسب للانثي سويه هو إبتداء من ثمان سنوات وإن كانت نموها غير مألوف فقد يكون دون هذا السن

من التي تختن وتمارس المهنة ؟؟

يجب منع الجاهلات من ممارسة هذه المهنة ويجب أن توضع فى يد الطبيبات الماهرات والحكميات المتمرسات ويجب أن يكون ذلك فى غرف العمليات وبالالات المعقمة وكل الإحتياطات كما في باقية العمليات

= فوائد ختان المرأة :

١ _ أن البظر إن ترك طويلا فإنه يجلب الإشتهاء للمرأة وذلك بمجرد إحتكاكه بالملابس خاصة في هذه الأيام مع الملابس الضيقة والإسلام يمنع ذلك

٢ _ أن طول البظر لا يمكن الرجل من الجماع الصحيح

٣ _ أن الختان يمنع الافرازات الدهنية من التجمع بين الشفرين والتى ينتج بتجمعها رائحة كريهة

٤ ـ الختان يقوم بتعديل شهوة المرأة لا كما يزعم البعض بنسفها

٥ _ الختان يطيل اللذة الجنسية عند الإناث وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم " فإن ذلك أحظى للمرأة "

٦ _ الختان يطيل اللذة الجنسية عند الرجل وهذا تحقيقا لقوله صلى الله علية وسام " وأحب إلى البعل ""

٧ _ الختان عاملا من عوامل تقليل الإنحراف ولذلك الإناث فى الدول الإسلامية تنتشر فيهن العفة والطهارة مع كل هذة التحديات أما الدول الأوربية (الكفر) تنتشر الدعارة وقلة الحياء

٨ _ الختان زينة لأن أخذ الزوائد زينة

٩ _ الختان يتمشي مع الحالة الإقتصادية فى عامة البلاد الإسلامة حيث يكثر الفقر فلا قدرة على الزواج

١٠ _ الختان يقضى على السحاق أو يحد منه بين النساء.

11- يمنع من سرطان عنق الرحم

والله أعلم ... تم بحمد الله تعالي

المحن والمنح

(بعد العسر يسر)

الحياة الدنيا مليئة بالمحن والمتاعب والبلايا والشدائد والنكبات ، إن صفت يوماً كَدَّرتْ أياماً ، وإن أضحكت ساعة أبكت أياماً ، لا تدوم على حال

فقر وغنى ، عافية وبلاء ، صحة ومرض ، عز وذل ، فهذا مصاب بالعلل والأسقام ، في نفسه أو زوجه أو ولده ، وذاك مصاب بعقوق الأبناء ،

وآخر مصاب بسوء خلق زوجته وسوء عشرتها

وأخرى مصابة بزوج سيء الأخلاق ، غليظ الطباع ، سيء العشرة ،

وآخر مصاب بكساد تجارته ، وآخر مبتلى بسوء صحبه الجيران

وهكذا إلى نهاية سلسلة الآلام التي لا تقف عند حد، ولا يحصيها عد

قال تعالى : (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) آل عمران: ١٤٠

المحن لابد منها في دار الدنيا ، فهي دار الابتلاء ، فالدنيا طافحة بالأنكاد والأكدار، مطبوعة على المشاق والأهوال ، والعوارُضُ والمحُنُ فيها هي كالحر والبرد لا بد للعبد منها ، ويتبين بالمحن الصادق من الكاذب ، والنفس لا تزكو إلا بالتمحيص ، والبلايا تُظهر الرجال :

1 - قال تعالى : الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3) العنكبوت: ١ - ٣

2 - قال تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) الأعراف: ١٦٨

3 - قال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) البقرة: ١٥٥.

4 - قال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) محمد: 31

5 - آدم عليه السلام سجدت له الملائكة، ثم بعد بُرهة يُخرج من الجنة (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)" البقرة: 34-37

6 - **قال ابن الجوزي : (من أ راد أن تدوم له السلامة والعافية من غير بلاء فما عرف التكليف ولا أدرك التسليم)**

ولا بد من حصول الألم لكل نفس ، سواء آمنت أم كفرت، والحياة مبنية على المشاق وركوب الأخطار ، ولا يطمع أحد أن يخلص من المحنة والألم ، والمرء يتقلب في زمانه في تحول من النعم واستقبال للمحن . وما الابتلاء إلا عكس المقاصد وخلاف الأماني، والكل حتم يتجرّع مرارته ولكن ما بين مقِلٍّ ومستكثر، يُبتلى المؤمن ليهذَّب لا ليعذَّب ، فتن في السراء، ومحن في الضراء.

ولا يزيل هذه الآلام، ويكشف هذه الكروب إلا الله علام الغيوب ، الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، والمسلم حاله في البأساء الصبر والإنابة إلى الله ، يتوسل بالأسباب الموصلة إلى كشف المكروه ، لا يستكين للحادثات ، ولا يضعف أمام الملمات، يحاول التخلص منها في حزم الأقوياء وعزيمة الأصفياء

والفرج لا يأتي إلينا بقدميه ، بل نسعى نحن إليه بُكُلِّ طاقتنا ، ونتقدم نحوه خطوة ، فيأتي إلينا. وكما أن صعود الجبل وبلوغ القمة يبدأ بالخطوة الأولى ، ثم يتحقق الهدف في واحة رائعة ؛ كذلك الفرج ، فمن يضع قدمه على الطريق لابد أن يصل يوما ما وإن طال الطريق. ولابد أن يجد الرائحة والفرج بعد التعب والعناء والشدة. الخطوة الأولى نحو السعادة والراحة في عدم اليأس ، فلا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس. ولابد من الإيحاء الذاتي ولابد من اليقين بأن كل هم يزول وكل بلاء ينقضي. وكل شدة لابد أن تتلاشى. وكل مصيبة تبدأ كبيرة ثم تبدء في الضعف والتلاشي حتى تنتهي.

بالابتلاء ُيُرفع شأن الأخيار ويعظم أجرهم ، وتكفر سيئاتهم :

1 - روى الترمذي/2398 واللفظ له وهو حسن صحيح وابن ماجة/4034 عن سعد بن أبي وقاص قال : [قُلْتُ : يَا رَسُوَلَ اللَّهِ ، أيُّ النّاس أشَدُّ بَلَاًءً ؟ قَاَلَ الْأَنْبِيَاُءُ

ثمَّ الصَّالِحُوَنَ ، ثمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ مِنْ النَّاسِ ، يُبْتَلَى الرَّ جُلُ عَلى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَاَنَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ فِي بَلَائِهِ ، وأِنْ كَاَنَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ ، وَمَا يَزال الْبَلَاُءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيهِ خَطِيئَةٌ].

2 - روى البخاري في صحيحه/5645 كتاب المرضي عن أبي هُرَيْرة قال :
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم : [مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيرا يُصِبْ مِنهُ].

محنة التكذيب لنوح ومحنة ركوبه هو والذين آمنوا معه في السفينة خلال الطوفان أعقبتها منحة السيادة على الأرض

قال تعالى : "(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظالمون " [العنكبوت:١٤]
أخبر تعالى أن نوحاً بقي في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين سنة تسعة قرون ونصف قرن، ومع هذا يقول الله : "وَمَا ءامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيْلٌ" [هود:٤٠]

محنة خليل الرحمن إبراهيم :

أولاً : محنة إبراهيم في تكذيب قومه له وإلقائه في النار : (وَلَقَدْ آَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآَبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (57) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (63) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (64) ثُمَّ

نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (65) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (66) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (67) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (68) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) سورة الأنبياء: 69-51

محنة أيوب عليه السلام : يقول الله تعالي " وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (41) سورة ص / 41

وقال تعالي " وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (84) سورة الأنبياء/83:84

1 - وقد كان أيوب رجلاً كثير المال من سائر صنوفه : من الأنعام والعبيد والمواشي والأرضي المتسعة ، وكان له أولاد وأهلون ، فسلب منه ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع البلاء من الأمراض، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عز وجل في ليله ونهاره في صباحه ومسائه ، وظل في بلائه ثلاثة عشر سنة كما ورد في الحديث الصحيح !!

2 – ولكن سرعان ما تزول المحنة بالصبر والدعاء

3 - أخرج ابْنُ أبِي حَاتِم وَصَححه وابْنُ حِبان وَالْحَاكِمُ وصححه علي شرط الشيخين والبزار عَنْ أَنَسٍ قال : (إنَّ أيوب عَلَيْهِ السلام اُبْتُلِيَ فَلَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَة، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ ، فَكَانَا يغدوان إِلَيْهِ وَيرُوحَانِ ، فَقَالَ أحَدُهُمَا لِلْآخَرِ : لَقَد للآخر لقد أذنب أيوب ذنبا عظيم وإلا قد كشف عنه هذا البلاء فذكره الآخر لأيوب فحزن فحينئذ دعا الله فخرج لحاجته

وأمسك امرأته بيده ، فلما فرغ أبطأت عليه ، فأوحي الله إليه أن اركض برجلك فضرب رجله الأرض ، فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحا فجاءت امراته فلم تعرفه فسألته عن أيوب فقال إني أنا هو)

محنة يونس كانت بإلقائه في الحوت، ومنحته بعدها كانت أن أرسل إلى مائة ألف أو يزيدون :

1- فقد بعث الله يونس صلى الله عليه وسلم إلى أهل قرية من أرض الموصل بالعراق ، فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم ، فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الأمهات وأولادها ثم تضرعوا إلى الله عز وجل وجأروا الله ورغت الإبل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وسخالها ، فرفع الله عنهم العذاب ، وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلججت بهم ، فخافوا أن يغرقوا، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه ، فوقعت القرعة على يونس عليه السلام فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه ثلاث مرات ، فقام يونس عليه السلام يجر ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الأخضر حوتاً يشق البحار حتى جاء فألتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة ، فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لاتأكل له لحماً ولاتهشم له عظماً ، فإن يونس ليس لك رزقاً ، وإنما بطنك تكون له سجناً ، فانتهى به الحوت إلى أسفل البحر فسمع يونس حساً فقال : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه : إن

هذا تسبيح دواب البحر، فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته بطن الحوت في البحر، قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟ قال : نعم قال : فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت فقذفه في الساحل فنبذ بالعراء وهو سقيم

2- قال النبي صلى الله عليه وسلم : [دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له] الترمذي/3505 كتاب الدعوات وأحمد/1462

3- **قال السعدي في تفسيره ج١/ص٥٢٩** : (واذكر عبدنا ورسولنا يونس صاحب النون وهي الحوت ، اذكرهبالذكر الجميل ، والثناء الحسن ، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه فدعاهم ، فلم يؤمنوا فوعدهم بنزول العذاب بأمدٍ سماه لهم ، فخرج يونس من القرية بلا استئذان لربه لما جاءهم العذاب ، فلما أروه عيانا عجوا إلى الله وضجوا وتابوا ، فرفع الله عنهم العذاب كما قال تعالى : "فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين" (يونس :98)

4- فلما لم ير نزول العذاب بهم ذهب مغاضبا ، وأبق عن ربه ، لذنب من الذنوب التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها قال تعالى :" إذ أبق إلى الفلك المشحون أي فاعل ما يلام عليه، وظن أن الله لا يقدر عليه وهذا الظن للكل من الخلق على وجه لا يستقر ولا يستمر عليه ، فركب في السفينة مع أناس

فاقترعوا من يلقون منهم في البحر لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم ، فأصابت القرعة يونس فالتقمه الحوت وذهب فيه إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" الأنبياء/87

5- فأقر الله تعالى بكمال الألوهية ونزهه عن كل نقص وعيب وآفة واعترف بظلم نفسه وجنايته قال الله تعالى : "فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون" الصافات /144

6- ومنحته وفرجه قال الله فيها : " وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذ أَبقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ . فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلاَ أنه كَانَ مِنَ الْمُسَبحين. لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوم يُبْعَثُون. فَنَبَذْنَاهُ بِالْعراء وَهوَ سَقِيمٌ
وَأنبتْنَا عَلَهِ شَجَرةً ّمن يَقْطِينٍ . وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِاْئَةِ أَلفٍ أَوْ يَزِيدُوَنَ . فَآمَنُوْاْ فَمتعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " الصافات /139:148

وهذه الأمة العظيمة الذين آمنوا بدعوة يونس من أكبر فضائله ، عليه الصلاة والسلام.

محن الرسول صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر " الأحزاب/21

١= **عام الحزن :** في أقل من أربعة أشهر كادت تعصف بالدعوة في مهدها وكانت في نظر المرجفين ، ومحدودي الرؤية ، أحداث مؤذنة بنهاية دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتصار معسكر قريش على معسكر الإيمان ، وبسببها سمي ذلك العام عام الحزن :

١/١ مات أبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي كان له عضداً وحرزا في أمره، ومنعة وناصرا على قومه. فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر التراب على رأسه

قال ابن كثير رحمه الله : (وعندي أن غالب ما روي من طرحهم سلا الجزور بين كتفيه وهو يصلي- وكذلك ما أخبر به عبد الله بن عمرو بن العاص من خنقهم له عليه السلام خنقاً شديداً حتى حال دونه أبو بكر الصديق، وكذلك عزم أبي جهل لعنه الله على أن يطأ على عنقه وهو يصلي فحيل بينه وبين ذلك مما أشبه ذلك - كان بعد وفاة أبي طالب. نعم لقد فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم عضده وحاميه من قريش فتجرأت عليه، وزادت في ايذائه حتى روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : [ما نالت قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب]

١/٢ وفقد صلى الله عليه وسلم سلوته وملاذه وأم أولاده خديجة بنت خويلد قال عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري/3818 وأحمد/ 24864 واللفظ له عنها : [لقد آمنت بي حين كفر بي الناس ، وصدقتني حين كذبني الناس، وأشركتني في مالها حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها وحرمني أولاد النساء]

قال ابن اسحاق : وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه، وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها ، إذا رجع إليها ، تثبته وتخفف عليه، وتصدقه ، وتهون عليه أمر الناس

رحمها الله تعالى رحمة واسعة. فعلاً : إنها أحداث تهز الكيان البشري، وتزلزل الأرض من تحت أقدام الضعفاء أما من قوي إيمانه بالله ، ويقينه بوعده ونصره ، فلا تزيده هذه الأحداث إلا تصميماً وعزماً على مواصلة الطريق .

٢= الخروج إلى الطائف : لدعوتهم إلى الإسلام :وإلى أن يكونوا أنصاره وحماته، وكان ذلك بعد وفاة خديجة بقليل فماذا كان جوابهم ؟ لقد قابلوا الرسول صلى الله عليه وسلم أسوأ مقابلة، و ردوا عليه أقبح رد ، وعاملوه بما لم تعامله به قريش لقد رفضوا الداعي والدعوة ورجع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مكة، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، حتى إنه لم يدخل مكة إلا بجوار المطعم بن عدي. إذاً ما العمل ؟

محنة أوائل الذين أسلموا في مكة أعقبتها منحة رتبة المهاجرين

روى البخاري/3612 عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : [شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد برداً له في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلنا : ألا تستغفر لنا ، ألا تدعو لنا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل ، فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون)

محنة الإمام البُوْيطي أعقبتها منحة الشهادة التي طلبها لنفسه ، ولولا ذلك لكان في علياء القوم حياً :

هو يوسف بن يحيى المصري البويطي ، سيد الفقهاء ، صاحب الإمام الشافعي، كان إماماً في العلم قدوة في العمل زاهدا ربانياً متهجداً ، دائم الذكر، عندما كانت مشكلة الأمة في وقته وفتنة القول بخلق القرآن ، سعى بعض المرتزقة ، فكتبوا فيه تقريرا رفعوه إلى والي مصر ، فامتحنه بالقول بخلق القرآن ، فلم يجبه إلى ما يريد . فقال له الوالي : قل فيما بيني وبينك. فقال البويطي : إنه يقتدي بي مائة ألف ، ولا يدرون المعنى. فأمر به أن يحمل إلى بغداد .

قال الربيع بن سليمان : أريته على بغل في عنقه غل ، وفي رجليه قيد ، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنةٌ وزنها أربعون رطلاً. وهو يقول : إنما خلق الله الخلق بكن، فإذا كانت مخلوقة فكأنما مخلوقاً خُلق بمخلوق. ولئن دخلت عليه لأصدقنه – يقصد الواثق –، ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم

وتوفي رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق سنة ٢٣١هـ

محنة الإمام نُعيم بن حماد، أعقبتها منحة الشهادة التي طلبها لنفسه، ولولا ذلك لكان في علياء القوم حياً :

= قصة الإمام نُعيم بن حماد، صاحب التصانيف، فقد تحمل المشاق في نفس القضية حماية للأمة من التلبيس. قال ابن يونس: حُمل على القول بفرية القول بخلق القرآن ، فامتنع أن يجيب فسجن ومات في سجنه سنة ٢٢٩هـ ، وجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن ،

ولم يصلى عليه. وأوصى هذا الإمام أن يدفن في قيوده ، وقال : إني مخاصم." (أي سأطلب حقي من خصومي يوم القيامة)!

الخطبة الثانية

واجب المسلم في المحنة لتحصل له المنحة :

أولاً : تقوى الله عز وجل :

قال تعالى : "وَمَن يَتَّقِ ٱللهَ يَجْعَل له مَخرجا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكل عَلَى ٱللهِ فهوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللهَ بَالغ أمْره قد جَعَلَ ٱللهُ لكُلّ شَىْء قدرا" [الطلاق:٢-٣]

ثانياً : لزوم الاستغفار :

فيونس عليه السلام لما ذكر الله تعالى في بطن الحوت نجاه الله تعالى منه

قال الله تعالي : "فَلَوْلاَ أنه كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوِمِ يُبْعَثُونَ " [الصافات: ١٤٣-١٤٤]

وعليك بالاستغفار فإنه سبب لتفريج الكروب وإزالة الغموم

قال تعالى: "فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبوْا إِلَيْهِ إِنَّ رَّبى قَرِيبٌ مجيب " [هود: ٦١]

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس: [من لزم الاستغفار – أو أكثر من الاستغفار – جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب] أبو داوود/1518 وابن ماجة/3819 وهو ضعيف

ثالثاً : كثرة الدعاء

الإكثار من قراءة القرآن وذكر الله مما يسبب تعلق القلب بالله وكثرة دعائه ومناجاته والضراعة بين يديه ، ومن ذلك :

1 - قال تعالى :" وَأيوب إِذ نَادَىٰ رَبه أَّن مَسني ٱلضرُ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلراحمين . فٱسْتجَبْنَا لهُ فكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُّرّ وَءاتَيْنَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعهم رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وِذكْرَىٰ لِلْعَبِدِين [الأنبياء:٨٣-٨٤]

2 - ومن ذلك خبر الصحيحين عن قوله صلى الله عليه وسلم عند الكرب: [لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم]

3 - ومن ذلك خبر أحمد/1462 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [دعوة ذي النون عليه السلام إذ هو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فلم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له]

4 - ومن ذلك خبر البخاري/6346 ومسلم/2730 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : [لا إله إلا الله العظيم الحلي م، لا اله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش الكريم]

5 - ومن ذلك خبر أحمد في المسند/20430 أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : [دعوات الكروب : اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله ، لا إله إلا أنت]

٦ - ويتذكر العبد أن الله عز وجل يبتلي العبد وهو يحبه، وقد يطيل الله عليه البلاء ليسمع الله تضرعه
وإلحاحه وزيادة طلبه من ربه، ليستخرج الله منه حقيقة العبودية ، وهي الذل والإنكسار وإظهار المسكنة والضعف بين يدي الله والإدبار عن المخلوقين بيحث لايسألهم ولا يرجوهم

اربعاً : الإقلاع عن المعاصي والتوبة عنها :

والتفتيش في الأموال ربما يكون فيها ما يغضب الله تعالى ، فالمسلم يتهم نفسه دائماً بالتقصير والتفريط ، ويعلم أنه ما أصابه إنما كان من قبل نفسه

قال تعالي : "وَمَا أَصَـٰبَكُمْ مِّن مصيبة فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ " (الشورى : ٣٠)

قال تعالى:" أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يّذّكرون" (التوبة / 126)

خامساً : الرضا بقضاء الله وقدره وعدم الجزع والتسخط :

فليتذكر العبد الفقير المحتاج الغريب المصاب أنه ربما كانت النعمة والصحة والأنس سبب لنسيان الله وسبب للفسوق والعصيان والأشر والبطر والمحن وتأديب من الله والأدب لا يدوم ، فطوبى لمن صبر على التأدب ، وليتذكر المصاب بأن فرج الله قريب وإنها سحابة عما قريب ، تزول ، وما بعد الشدة والضيقة إلا الفرج القريب

قال ابن القيم في ازد المعاد ج٤/ص ١٩٠ : (قال تعالى : "ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن

نبرأها إن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) الحديد/21:23

ومن علاجه أن ينظر إلى ما أصيب به فيجد ربه قد أبقى عليه مثله أو أفضل منه وادخر له إن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة وأنه لو شاء لجعلها أعظم مما هي. ومن علاجه أن يطفيء نار مصيبته ببرد التأسي بأهل المصائب وليعلم أنه في كل واد بنو سعد ولينظر يمنه فهل يرى إلا محنة ثم ليعطف يسره فهل يرى إلا حسرة وأنه لو فتش العالم لم ير فيهم إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصوله مكروه وأن شرور الدنيا أحلام نوم أو كظل زائل إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا وإن سرت يوما ساءت دهرا وإن متعت قليلا منعت طويلا وما ملأت دار خيرة إلا ملأتها عبرة ولا سرته بيوم سروره إلا خبأت له يوم شرور

قال ابن مسعود رضى الله عنه لكل فرحة ترحة وما ملىء بيت فرحا إلا ملىء ترحا (حزنا)

وقال ابن سرين : (ما كان ضحك قط إلا كان من بعده بكاء)

سادساً : الثقة في نصر الله ويسره وكشفه الضر وعدم اليأس

1- **قال الله تعالى :** "ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك. ورفعنا لك ذكرك. فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا
فإذا فرغت فإنصب. والى ربك فإرغب" [الشرح ١- ٨].

2- روى ابن جرير الطبري في تفسيره عن الحسن البصري قال : خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوماً مسرورا فرحاً وهو يضحك

ويقول : [لن يغلب عسر يسرين ، لن يغلب عسر يسرين ، فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا]

3- قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : لو دخل العسر في جحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه ؛ لأن الله تعالى يقول : "إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسرا" [الشرح:٦]

4- قال الله تعالى : "سيجعل الله بعد عسر يسرا" [الطلاق: ٧].

5- قال الله تعالى : "أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مئة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشاربك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير"

فأخبر الله تعالى أن الذي مر على القرية إستبعد أن يكشف الله عنها وعن أهلها البلاء بقوله: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه) إلى آخر القصة. فلا شدة أشد من الموت والخراب، ولا فرج أفرج من الحياة أو العمارة ، فأعلمه الله تعالى بما فعله بأنه لا يحب أن يستبعد فرجا من الله وصنعا كما عمل به. وأنه قادر على أن يحيي القرية وأهلها كما أحياه الله تعالى فأراه بذلك آياته ومواضع صنعه

6- قال الله تعالى : (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) [يونس: 12]

7- قال الله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) [البقرة: ١٨٦].

8- روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن إسحاق قال : [جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : أسر ابني عوف ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسل إليه أن رسول الله يأمرك بأن تكثر من قول : "لا حول ولا قوة إلا بالله". وكانوا قد شدوه بالقد ، فسقط القد عنه، فخرج فإذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل ، فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم ، فأتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا ينادي بالباب، فقال أبوه: عوف ورب الكعبة. فقالت أمه : اسوأتاه ، وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد ؟ فأستبق مالك وخادمه الباب فإذا هو بعوف قد ملأ الفناء إبلاً، فقص على أبيه أمره وأمر الأبل ، فقال أبوه : حتى آتي رسول الله فأسأله عنها فأتى رسول الله ، فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعاً بمالك ، ونزل قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً (الطلاق/ 3)

9- وروى ابن عساكر عن رجل اسمه أبو بكر محمد بن داود قال هذا الرجل: [كنت أكاري على بغل ليمن دمشق إلى بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق فقال لي : خذ هذه الطريق فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لي فيها. فقال : بل هي أقرب ، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر،وواد عميق ، وفيه قتلى كثير ، فقال لي : أمسك رأس

البغل حتى أنزل، فنزل وشمر وجمع ثيابه وسل سكيناً معه ، وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله، وقلت : خذ البغل بما عليه. فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك ، فخوفته الله والعقوبة ، وقلت : إن أريت إن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال وعجل. فقمت أصلي فارتج علي القرآن ، فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفاً متحيرا وهو يقول : هيه أفرغ ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى : "أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء" ، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وفي يده حربة، فرمى بها الرجل فما أخطأت قلبه، فخر صريعاً ، فتعلقت بالفارس وقلت : بالله من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء]

سابعاً : الإحسان إلى الناس وقضاء حوائجهم ورحمة صغيرهم وكبيرهم :

فإن من أحسن إلى الناس أحسن الله إليه ، ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومنه حديث [صنائع المعروف تقي مصارع السوء] رواه الترمذي في أبواب البر والصلة وهو ضعيف

ثامناً : ومن واجبات المسلم في المحن والمصائب : الإسترجاع :

في المسند/26723 واللفظ له ومسلم/918 ومالك/635 أنه صلى الله عليه وسلم قال : [ما من أحد يصاب بمصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف علي بخير منها إلا فعل به ذلك)

قال ابن القيم في زاد المعاد ج٤/ص١٨٩ : (وهذه الكلمة من ابلغ علاج المصاب وأنفعه له في عاجلته وآجلته فإنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتها تسلى عن مصيبته : أحدهما أن العبد وأهله وماله ملك الله عز وجل حقيقة وقد جعله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير وأيضا فإنه محفوف بعدمين عدم قبله وعدم بعده وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير وأيضا فإنه ليس الذي أوجده عن عدمه حتى يكون ملكه حقيقة ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ولا يبقى عليه وجوده فليس له تأثير ولا ملك حقيقي وأيضا فإنه متصرف فيه بالإمر تصرف العبد المأمور والمنهي لا تصرف الملاك ولهذا لا يباح له من التصرفات فيه إلا ما وافق أمر مالكه الحقيقي. والثاني أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولا بد أن يخلف الدنيا وراءه ظهره ويجيء ربه كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فإذا كانت هذه بداية العبد وما حوله ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسي على مفقود ففكره في مبدئه ومعاده من اعظم علاج هذا الداء)

عباد الله :

وطّنوا أ نفسكم على المصائب قبل وقوعها ، ليهن عليك وقعها، ولا تجزع بالمصائب، فللبلايا أمد محدود عند الله ، ولا تسخط بالمقال ، فرب كلمة جرى بها اللسان هلك بها الإنسان ، والمؤمن الحازم يثبت للعظائم ، ولا يتغير فؤاده ولا ينطق بالشكوى لسانه ، وخفف المصاب على نفسك بوعد الأجر وتسهيل الأمر، لتذهب

المحـن بلا شكوى ، وما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصاب لئلا يتحملوا مع النوائب شماتة الأعداء ، والمصيبة إن بدت لعدّوّ سُرَّ واستبشر بها، وكتمان المصائب والأوجاع من شيم النبلاء ، فصابر هجير البلاء ، فما أسرع زواله ، وغاية الأمر صبر أيام قلائل ، وما هلك الهالكون إلا من نفاد الجَلَد، والصابرون مجزيون بخير الثواب ،

قال تعالى : "وَلَنَجْزِينَّ ٱلذين صَبَرُوْا أجْرُهُمْ بِأَحْسنِ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ" [النحل:٩٦]

وأجور الصابرين مضاعفة : قال تعالى : "أُوْلَئِكَ يُؤْتُوْنَ أجرهم مَّرتين بِمَا صَبَرُوْا" [القصص :٥٤]

بل وبغير حساب، والله معهم ، والنصر والفرج معلق بصبرهم، وما منعك ربك أيها المبتلى إلا لتعطى ، ولا ابتلاك إلا لتعافى ، ولا امتحنك إلا لتَصفي يبتلي بالنعم ، وينعم بالبلاء ، فلا تضيّع زمانك بهمّك بما ضمن لـك من الـرزق ، فما دام الأجل باقياً كان الرزق آتيـا

قـال تعـالى : "وَمَـا مِـن دَابّة فِـي ٱلأرْضِ إلاَّ عَلَـى ٱلله رِزْقُهَـا" [هـود:٦]

وإذا أغلق عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه.

والمكـروه قـد يـأتي بـالمحبوب ، والمرغـوب قـد يـأتي بالمكروه ، فـلا تـأمن أن توافيـك المضـرة مـن جانـب المسرة ، ولا تيأس أن تأتيك المسرة من جانب المضرة ، قال عز وجل : "وَعَسَى أَن تكْرهوْا شَيْئًا وَهوَ خَيْرٌ لّكم وَعَسَى أَن تُحبوا شَيْئًا وَهُوَ شرٌ لكم وَٱلله يَعْلَمُ وَأنتُمْ لاَ تَعْلَمُوْنَ" [البقرة:٢١٦]

محن اليوم ومنح الله تعالى لنا :

1 - محن انتشار القنوات الفضائية أعقبها منحة ظهور القنوات الفضائية الإسلامية وانتشار محاضارت الدعاة والأئمة الذين كانوا ممنوعين من الظهر أمام الناس في المساجد، فاليوم يعرفهم القاصي والداني ،وقد دخل الإسلام بيوت علية القوم، وزراء وساسة وكبار رجال الدولة.

2 - محنة الرسوم الدانمركية والفيلم الهولندي "فتنة" أعقبها منحة طباعة ملايين النسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم وترجمة كتب الشمائل المحمدية، كلها مترجمة للغات الأوروبية، يقبل عليها الأوروبيون بشارهة للتعرف على دين الإسلام وعلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وينتج عن ذلك دخول العديد من الأوروبيين في الإسلام.

3 - تسلط الأعداء في فلسطين والعراق مع ارتفاع نفقات الحرب على ميزانياتهم ، مع ظاهرة ارتفاع الأسعار في العالم كله، كل ذلك يعقبه انهيار الاقتصاد الغربي الداعم لدولة اليهود (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111) ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) سورة آل عمران/111-112

انتهى، ولله الحمد والمنة والفضل

الكوابيس والأحلام

لقد تعلقت النفوس بالكوابيس والرؤى والمنامات وأصبحت شغل الناس الشاغل عبر المجالس والمنتديات والمجامع، بل أصبحت سوقا رائجة لها زبائن كيثرة في القنوات الفضائية، فأجلبت الفضائيات بخيلها في ذلك، وعقدت مجالس للرؤى والمنامات لما رأيت تهافت الناس السريع لذلك . وأصبحت ترى اليوم إن كان السائل عن الأمور الشرعية واحدا فالسائل عن الرؤى والمنام عشرة ورأيت مهمومين مغمومين يكلمك أحدهم أنه لم ينم ليالي عددا، لماذا ؟ لرؤيا مقلقة رآها وقد يكون عبرها له جاهل بسوء ، وأصبحت ترى فرحين سعداء، لكأنهم يترقبون بيوتهم تنقلب بساتين وقصورا ، أو وسائدهم تنقلب ذهبا ، بسبب رؤيا رأوها.

تمهيد عن الكابوس :

الكوابيس تجربة مخيفة، وهي تجربة إنسانية عالمية، فكلنا يستيقظ بدءا من الطفل الصغير إلى الكهل المسن، ونحن نرتجف من عالم تعلّق فيه كافة القوانين الطبيعية، ويفقد فيه المنطق والتوقع الذي يواسي أيامنا كافة معانيه

وتجربة الكابوس والحلم المزعج تجربة قديمة قدم الإنسان :

1- ففي ملحمة "جلجامش" الآشورية التي كتبت في بابل (في العراق حاليا) قبل أكثر من ٤٠٠٠ عام، والتي تعتبر أحد أقدم النصوص البشرية، هناك الكثير من الأحلام والكوابيس.

1- وفي الأساطير البابلبية في بلاد ما بين الرافدين ،كان هناك اعتقاد بوجود مخلوق ليلي مصاص للدماء يدعى "ليليث". وكان يعتقد أن هذا المخلوق يسكن البراري ، ولاسيما خلال الجو العاصف ويشكل خطورة لاسيما على الأطفال، واسم "ليليث" أصله من اللغات السامية، من جذر يعني "ليل"، وهو الوقت المفضل لظهور المخلوق ونشاطه. وصورت الأساطير القديمة الكابوس على أنه وحش يجثم على صدر النائم : يخنقه ويمتص قوته ،ويدعه هزيلا ضعيفا مشلولا حال نومه[1]، وفي "لسان العرب لابن منظو ر أن الكابوس هو :

(الجثام والجاثوم الذي يجثم على الإنسان وهو نائم)، ويعرف أيضا باسم "الضاغوط

وتعرفه بعض قواميس اللغة الإنجليزية على أنه حالة ضيق صدر وسواسي، تأتي حال النوملاسيما في الليل، يشبه ضغط وثقل على الصدر.

2- و"ليليث" كانت معروفة في بلاد "سومر" القديمة (العراق حاليا)

3- وكانت معروفة لدى أحبار اليهود، ففي القرن الثاني للميلاد يقول الحاخام "حانينا بن دوسا" :

(لا يمكن للمرء النوم وحيدا في منزل، لأن من ينام وحده في منزل تنال منه ليليث).

4- والطبيب الإغريقي "جالينوس" الذي عاش بين ١٣٠- ٢٠٠ ق.م لم ينسب الحلم إلى اللاوعي، بل تبنى وجهة النظر السحرية ونسبها إلى الآلهة.

[1] وهذا بالفعل ما كانت تمثله هذه اللوحة للفنان السويسري الأصل البريطاني الجنسية "يوهان هنريخ فوسيلي" (١٧٤١-١٨٢٥) التي تحمل عنوان "الكابوس"، وهي أبرز ما يتصدر معرض خاص عن فن "الرعب القوطي" في العصر الرومنسي وما بعده ، يقام فيمعرض "تيت بريتين" في العاصمة البريطانية.

6- وسبق أفلاطون فرويد بمدة تصل إلى ٢٣٠٠ سنة في رؤيته لتفسير الأحلام حين أورد فيكتابه "الجمهورية" قوله : (حتى مع وجود الرجال الطيبين، فهناك جانب منحط وحيواني متوحش يطل برأسه أثناء النوم)

7- وعند الرومان كان الاعتقاد أن سبب الكابوس يعود إلى كائن أو عفريت كان يزعج النـاس خلال النوم متخذا شكلا ذكريا يسمى "إنكوبي" أو "إنكوبيس" يزعج النائمات من النساء ، أويتخذ شكلا أنثويا يسمى "سكوبي" أو "سكوبيس" يزعج الرجال النيام ، وربما كان المخلوقان كائنا واحدا قادرا على التجسد حسب الجنس الذي يريد، وكانت مصدر رعب في رومااالقديمة.

8- وفي القرن الثاني قبل الميلاد كان هناك ٣٢٠ معبدا في بلاد اليونان وحوض البحر الأبيض المتوسط مكرسة للأحلام ولعبادة الإله "أسكيولابيوس" إله الشفاء من "سكوبي".

9- وهذه العفريتة "سكوبي" استحوذت على اهتمام أكبر في بداية المسيحية، وحتى القرون الوسطى، عندما كان الاعتقاد السائد أنها تتسلط على الرهبان كي تلهيهم عما نذروا إليهاأنفسهم في خدمة الكنيسة[1]

10- وكلمة "كابوس" بالعربية قال عنها مختار الصحاح ص٢٣٤ : (الكابوس ما يقع علــى انسان بالليل ، ويقال هو مقدمة الصرع)

ونقل ابن منظور في لسان العرب ج٦:ص١٩٢ عن بعض ا للغويين قوله : (ولا أحسبه عربيا)، وبالفعل، يعتقد أن أصلها إغريقي من كلمـة إنكوبيس

11- أما كلمة كابوس بالإنكليزية فهي Nightmare، ويرجع أصلها إلى "مخلوق ليلي من الأساطير الجرمانية والإسكندنافية، كان يعرف باسم "مارا" Mara، وكان النـاس يخشون حضوره أثناء النوم ، لأنه كان ذو قدرة على امتصاص الطاقة من الجسم، وتشويش العقل بشكل كبير. ويبدو أن "مارا" هذا أقدم في النشأة من حضارة الجرمان ، فقد ظهر اسم "مـار ا" في الأساطير البوذية كاسم عفريتة حاولت إغواء "بوذا" (٥٦٣-٤٨٣ ق.م) باتخاذها هيئـة امرأة جميلة ، لكن بوذا قاوم إغراءها.

12- ومما يثير الأهتمام والدهشة أن كلمة "كابوس" في ثقافـات معظـم شـعوب الأرض ولغاتها لها تقريبا نفس الدلالة والمعنى: (كائن أو روح شريرة أو عفريـت يـزعج النـائم ويمتص قواه الجسدية بأنواعها، لاسيما القوة الجنسية)

والخلاصة أن سبب الكابوس عند الحضارات المختلفة أحد شيئين :

أولا : الكابوس سببه عفريت :

كان الاعتقاد الشائع منذ مئات السنين وحتى أواخر القرن ١٨ م أن الكابوس سببه هجوم شيطا ن أو عفريت يجثم على صدر النائم"،

و"سكوبي" وفق الرؤية المسيحية في القرون الوسطى كانت تأتي من الخطيئة[٢]. وعند بعض علماء المسلمين ممن يعالجون بما يسمى ب ـ" الرقى الشرعية

ثانيا : الكابوس سببه كبت نفسي أو شهوات مكبوتة :

ففي عام ١٩٢٠ قال "سيغموند فرويد " في نظريته الخاصة بـ"تحقيق الرغبة" في أول طبعة منكتابه "تفسير الأحلا م" : (إن الكوابيس تمثل الرغبات بالتعرض للعقاب والنابعة من الأنـا الأعلـى)، وفي عام ١٩٢٥ عاد "فرويد" ليقول : (الكوابس هي تعبير عن دوافع غير أخلاقية شـريرة وملتويـة تتعلق بزنـا المحارم أو بشهوات إجرامية وسادية)، وبعدها بدا أن "فرويد" غيـر راض عن هـذاالتعريف وفق نظريته، فعاد ليقزول : (إنها ميل بدائي ورجعي لإعادة معايشة تجارب مريرة)

لكن كما علة الأحلام عموما عند فرويد ، فقد نحى هذا العالم إلى عزو حدوث الكابوس إلـى كبـت نفسي ، حيث تنتج العناصر السلبية للتجربة عن محاولة كبت الشهوات الجنسية. ويحدث هذا الكبـت عبر آلية إسقاط الشهوات الجنسية على عنصر خارجي أو عفريت

ويرى "كارل يونغ" أن الكوابيس مثل الأحلام (تؤدي وظيفة تعويضية، فإذا اتخذ النـاس موقفا شـديد السطحية أو أبدو قدرا كبيرا من عدم الاكتراث في موقف واع، عندها يمكن للحلم أن يعزز الموقف ويعوض عن حالة اليقظة تلك بطريقة تنتج الكابوس)

مفهوم الكابوس في الطب النفسي :-

مصطلح الكابوس يشير إلى نمطين من الأحلام المزعجة :

1- الكابوس الفعلي أو" الشلل النومي"
2- نوبات الرعب النومي.

وكلاهما يتفق في أشياء ويختلف في أشياء

فيتفقان في :

1- أن الكابوس حلم مزعج جدا
2- يستمر " الرعب النومي" بين ٥-٢٠ دقيقة
3- سرعة ضربات القلب
4- التنفس السريع
5- اختفاء النشاط العصبي

ويختلفان في :

أ-الكابوس الفعلي أو " الشلل النومي" يمتاز بأنه :

1- طويل
2- فيه صور واضحة للحالم في حالة خطر
3- يشعر خلاله النائم بتأثير سلبي قوي (كـ قلق ، خطر ، ذنب ، غضب ، حزن ، إحباط ، خوف)
4- يتذكرها النائم بعد استيقاظه ويكون مدركا لكل ما يحلم به، وتنتهي باستيقاظ الحالم، وتكونأشبه بفيلم رعب نومي طويل.

أما "نوبات الرعب النومي" فتمتاز بـ :

5- إحساس المرء فيها بالتشويش وفقدان الاتجاه والدوار عند الاستيقاظ
6- لا توجد فيها صور واضحة

7- تقع عادة في مرحلة النوم العميق (المرحلة ٣-٤ ساعة) في الساعات الأولى من النوم

8- عادة لا يتذكر الحالم شيئا عند الاستيقاظ

أسباب الكابوس طبيا : -

يرى الأطباء أن الكابوس له أسباب متعددة :

1- بطء في نقل الكهرباء العصبية ، أو عرقلتها
2- النوم على الظهر
3- النوم في أوقات غير منتظمة
4- إطالة نوم القيلولة
5- الحرمان من النوم
6- الشعور بالضغط الزائد
7- التغير المفاجئ في المحيط أو نمط الحياة.
8- القلق والتوتر
9- المرض مع الحمى
10- موت شخص عزيز
11- رد فعل حاد أو عارض جانبي لتناول دواء أو التوقف عنه مثل أقراص النوم
12- تناول الكحول أو الخمور أو التوقف الفجائي عن تناولها
13- اضطرابات التنفس أثناء النوم
14- تناول طعام قبل الذهاب للنوم مباشرة[1]

الرؤي والاحلام والكوابيس في الإسلام : -

اهتم العلماء العرب المسلمون بالأحلام وتفسيرها وبات ذلك علما بحد ذاته[٢]،

والكابوس في المفهوم الإسلامي سببه الشيطان ، وما يراه النائم ثلاثة أنواع وضحها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

1 تعليل صلة الطعام بحصول الحلم هو استنتاج توصل إليه الطبيب العربي "علاء الدين ابن النفيس الدمشقي" (المولود عام ٦٠٧ هـ) (مكتشف الدورة الدموية الصغرى) فقرر في كتابه "الشامل" أن الأحلام تنشأ بسبب الأطعمة التي يتناولها الإنسان ، ويرجع ذلك إلى أبخرتها التي تتصاعد إلى الرأس أثناء النوم فتؤثر على الفص الأمامي للمخ وتسبب ظهور الصور والخيالات المختلفة خلال النوم

2 اهتم العلماء بما يراه النائم ، مثل "محمد بن سيرين (المتوفى عام ١١٠ للهجرة) ، و"محي الدين بن عربي" المولود في الأندلس (المتوفى ٦٣٧هـ) في كتابيه " فصوص الحكم" و"الفتوحات المكية "، و"ابن خلدون في مقدمته ، ومعظم العلماء تعرض للرؤى فيإطار اهتمامهم بالتفريق بين الحلم الذي مصدره الوحي (الرؤيا الصالحة) والحلم الكاذب (أضغاث الأحلام) وسبق المفكرون المسلمون الغرب إلى تفسير الأحلام وتحليلها وتقسيم أنواعها ومعرفة أسبابها ومصادرها ، وخلاصة حقيقة الأحلام والرؤى عندهم :

١ـ قال ابن خلدون في مقدمته : (أما أضغاث الأحلام فصور خيالية يخزنها الإدراك في الباطن ويجول فيها الفكر بعد المغيبةعن الحس. الفرق بين الرؤيا الصالحة وأضغاث الأحلام الكاذبة فإنها كلها صور في الخيال في حالة النوم)

روى ابن ماجه/3907 في سننه وصححه الألباني عن عوف بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال : [إن الرؤيا ثلاث : منها أهاويل من الشيطان ليحزن ابن آدم ومنها ما يهم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة واربعين جزء من النبوة]

يقول البغو ي : (في هذا الحديث بيان أنه ليس كل ما يراه الإنسان في منامه يكون صحيحا ويجوز تعبيره، إنما الصحيح منها ما كان من الله عز وجل، وما سوى ذلك أضغاث أحلام لا تأويل لها)

النوع الاول مما يراه النائم : الكابوس

وهي الرؤيا السيئة التي من الشيطان

روى مسلم في صحيحه/2261 أن أبا سلمة قال : [كنت أرى الرؤيا أُعرى منها ، غير أني لا أزمل ، حتى لقيت أبا قتادة فذكرت ذلك له فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من شرها، فإنها لن تضره]

وفي رواية عند مسلم أيضا قال أبو سلمة : [إن كنت لأرى الرؤيا أثقل علي من جبل، فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث، فما أباليها]

وفي صحيح مسلم/2268 عن جابر [أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقا ل : يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأس يضرب فتدحرج فاشتدد ت على أثره !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي : لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك]

فأما موقف المرء من هذا النوع من الرؤى وهو الغالب على حال الكثيرين فإنه قد جاء في السنة آداب خاصة به في أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما، وهي :

1- التعوذ بالله من شر هذه الرؤيا ومن شر الشيطان
2- أن يتفل الرائي حين يقوم من نومه ثلاثا عن يساره
3- أن لا يذكرها لأحد أصلا
4- أن يصلي ما كتب له
5- أن يتحول من جنبه الذي كان عليه
6- زاد بعض أهل العلم قراءة آية الكرسي لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأها لا يقربه شيطان
7- ألا يحدث الناس بها

وهذا النوع من الرؤى إنما هو من الشيطان، يقول النووي رحمه الله: (وينبغي أن يجمع الرائي بين هذه الآداب كلها ويعمل بجميع ما تضمنته الروايات، فإن اقتصر على بعضها اجزاه في دفع ضررها بإذن الله كما صرحت بذلك الأحاديث)

وقال المازري : (والصحيح ما عليه أهل السنة أن الله يخلق في قلب النائم اعتقادات، كما يخلقها في قلب اليقظان ، وهوسبحانه يفعل ما يشاء ، لا يمنعه نوم ولا يقظة ، فإذا خلق هذه الاعتقادات فكأنه جعلها علما على أمور يخلقها في ثاني الحالأو كان قد خلقها)

وقال ابن القيم رحمه الله : (إنها أمثال مضروبة يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له منالمثل على نظيره ويعبر منه إلى شبهه)

ومن الكتب الإسلامية المشهورة التي تناولت الأحلام "تعطير الأنام في تعبير المنام" لعالم الدين والأدب والشاعر والمتصوف عبدالعزيز النابلسي (المتوفى ١١٤٢هـ -) و"التعبير المنيف

والتأويل الشريف "لـ"محمد بن قطب الدين الأزنيقي" (المتوفى سنة ٨٨٥ للهجرة) وغيرها.

النوع الثاني : مما يراه النائم

ما يحدث به المرء نفسه في يقظته، كمن يكون مشغو لا بسفر أو تجارة أو نحو ذلك، فينام فيرى فيمنامه ما كان يفكر فيه في يقظته، وهذا من أضغاث الأحلام التي لا تعبير لها.

النوع الثالث : الرؤيا الصادقة الصالحة التي تكون من الله

-1 قال صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري/7045 عن أبي سعيد : [إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها وليحدث بها] وفي رواية : [ولا يخبر بها إلا من يحب]

قال تعالى في كتابه الكريم : أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) يونس:62 -64

قال عدد من المفسرين : أن "البشري في الحياة الدنيا هي الرؤيـاالصـالحة يراها الرجل المسلم ، أو ترى له ، والتبشير هنا يحتمل التبشير بـالخير والتبـشير بالشر كما قال الله تعالى عن الكفار : "فبشرهم بعذاب أليم" [آل عمران : ٢١]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة] رواه البخاري/6990 ومالك/2748 وأحمد /8313

روى ابن ماجة/3896 والدارمي/2184 عن أم كرز الكعبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : [ذهبت النبوة وبقيت المبشرات ، قيل : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له]

وقال صلى الله عليه وسلم : [إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة] البخاري/6988 ومسلم/2263 والترمذي/2270

ومن علامات أضغاث الأحلام أو الرؤى الفاسدة :

1- أن النائم يرى في منامه مناظر متناقضة ومتداخلة ، لا يعرف أولها من آخرها
2- أن بعض الناس يمرض فيرى في منامه ما يوافق مرضه
3- أن يرى مستحيلات لا يمكن أن تقع
4- أن يرى ما تحدث به نفسه في اليقظة

ومن علامات الرؤيا الصادقة :

1- انتفاء جميع ما تقدم من علامات الرؤيا الفاسدة
2- أن يكون الرائي معروفا بالصدق في كلامه، كما قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم/2263 : [أصدقكم رؤيـاأصدقكم حديثا]
3- وهذا في الغالب، وإلا فقد يرى غير الصادق رؤيا صادقة إيقاظا لغفلته أن يعرف أولها وآخرها ، فلا تكون متقطعة لا ترابط بينها
4- أن تكون تبشيرا بالثواب على الطاعة أو تحذيرا من المعصية.

من أراد الرؤيا الصالحة أو عدم الإتيان بكابوس فعليه بأمور :

أو لا : عليه بالصدق في أقواله وأفعاله[1]

ثانيا : قيام الليل والإكثار من الطاعات

ثالثا : أن يلتزم السنة في النوم

رابعا : الإتيان بالأذكار الشرعية المتنوعة

خامسا : أن يضع يده تحت خده الأيمن

[1] **قال ابن القيم :** (ومن أراد أن تصدق رؤياه فلابد أن يتحري الصدق وأكل الحلال والمحافظة على الأوامر والنواهي، ولينم على طهارةكاملة، مستقبل القبلة، ويذكر الله حتى تغلبه عينه، فإن رؤياه لا تكذب البتة، وأصدق الرؤيا ما كان بالأسحار فإنه وقت النزول الإلهي ، واقتراب الرحمة والمغفرة، وسكون الشياطين، وعكسه رؤيا العتمة (وقت صلاة العشاء) عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية)

سادسا : قراءة آية الكرسي

سابعا : قراءة سورة الكافرون

أحكام تتعلق بالرؤي والأحلام

الحكم الاول :

أن هذه الرؤى والأحلام لا يترتب عليها أية اعتقادات دينية ، لأن العلم والقول والاعتقاد توقيفي مبني علي الوحي الشريف من كلام الله تعالى القرآن وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الصحيحة فقط .

كما أنه لايبني على تلك الرؤى أحكاما شرعية، وأحوالا مصيرية

وقد ضل بعض الناس في هذا الأمر فجعلوا الرؤى مصدر تشريع ، وقد أنكر عليهم العلماء ذلك، قال الشاطبي : (فلربما قال بعضهم : رأيت النبي في النوم ، فقال لي كذا وكذا ، فيعمل بها معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال، إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحلام الشرعية ، فإن سوغتها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا)

وقد ذكر الشاطبي رحمه الله في كتابة الاعتصام أن الخليفة المهدي أراد قتل شريك بن عبد الله القاضي فقال له شريك: وِلِم ذلك يا أمير المؤمنين ودمي حرام عليك ؟! قال : لأني رأيت في المنام كأني مقبل عليك أكلمك ، وأنت تكلمني من قفاك ، فأرسلت إلى من يعبر فسألته عنها فقال : هذا رجل يطأ بساطك، وهو يسر خلافك ، فقال شريك : يا أمير المؤمنين، إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بن يعقوب ، وإن دماء المسلمين لا تسفك بالأحلام ، فنكّس المهدي رأسه وأشار إليه بيده أن اخرج ،فانصرف

وذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق أن بعضهم رأى في المنام الشافعي رحمه الله فقال له: كذب علي يونس بن عبد الأعلى في حديث، ما هذا من حديثي ولا حدثت به، فقال الحافظ ابن كثير رحمه الله معلقا على هذا الكلام : "يونس بن عبد الأعلى من الثقات ، لايطعن فيه بمجرد منام".

ونقل الذهبي رحمه الله عن المروزي قال : أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله أحمد بن حنبل وكان رجلا صالحا فقال: إن أمي

رأت لك مناما هو كذا وكذا، وذكرت الجنة ، فقال: (يا أخي ،إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء ، الرؤيا تسر المؤمن، ولاتغره)

وتنتشر بين الفينة والأخرى ورقة مذكور فيها رؤيا للرجل الصالح أحمد خادم الحجرة النبوية، وفيها بعض الوصايا، وكذلك ورقة أخرى أن فتاة رأت في المنام أم المؤمنين زينب أو بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة تأمرها بأن تقرأ **"قل هو اللهُ أَحد"** (الإخلاص:1)

كذا مرة وسيحصل لها كذا وكذا ، وكل هذه خزعبلات وأكاذيب لا تنتشر إلا عند الجهلاء ، وقد نبه عليها العلماء ، ألا فليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات إلا والدين قد كمل ، وأن أي مدع يدعي أنه اكتشف سنة عبر منام فهو كاذب ، فليس هناك سنة إلا وقد بينها صلى الله عليه وسلم ، وانتهى التشريع بموته

الحكم الثاني :

أنه ينبغي على المسلم العاقل ولا سيما أخواتنا من النساء أن يحذروا كل الحذر من مدعي التعبير من المتعالمين والجهال وأهل الكذب والشعوذة والخرافة والكهانة الذين يدعون علم الغيب ، ويروجون على الناس بدعوى تعبير المنامات.

فقد انساق بعض الناس إلى التطلع إلى معرفة الغيب عن طريق : السحرة والكهان، والعرافين ، والرمالين ، والمنجمين ، وقراءة الفنجان ، ومتابعة الأبراج وغيرها ، فضلوا وَأَضلوا بما أقدموا عليه من أمر محرم

روى أحمد/23222 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بمايقول فقد كفر بما أنزل على محمد]

وروى مسلم في صحيحه /2230عن بعض أزواج النبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه، لم تقبل له صلاة أربعين يوما)

هذا مع أن هؤلاء السحرة والكهان لا يعلمون الغيب بنص كتاب الله عز وجل ولكنهم يزينون للناس الباطل. والغيب لا يعلمه إلا الله :

قوله تعالي (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله) [النمل:٥٦]

-1 وقال الله تعالى: "عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه أحد إلا من ارتضي من رسول .... " [الجن:٢٧،٢٦]

الحكم الثالث :

أن لا يعرض المسلم ما يشد الحاجة إلى تعبيره من منامه إلا على أهل العلم والصدق والخبرة والديانة فقط، ويحذر من سواهم أشد الحذر ، سلامة لعرضه، وبراءة وصيانة لعقيدته ودينه. فالرؤيا الصادقة الصالحة قد تكون واضحة ظاهرة لا تحتاج إلى تأويل كما رأى إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه في المنام ، وقد تكون خافية برموز تحتاج فيها إلى عابر يعبرها كرؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه السلام

والدليل :

-1 قال صلوات الله وسلامه عليه عن أبي هريرة : [لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح] رواه البخاري/110 ومسلم/2266 والترمذي/2270

2- وسئل الإمام مالك رحمه الله : أيعبر ا لرؤيا كل أحد ؟ فقال مالك : أبالنبوة يلعب ؟! والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : [إذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحا أو عالما]
أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي

3- وقال القرطبي عند قوله تعالى : "قَالَ يابني لا تقصص علي إخوتك" [يوسف :٥]
هذه الآية أصل في ألا تقص الرؤيا على غير شقيق ، ولا ناصح ، ولا على من لا يحسن تأويلها.

ومن شروط العابر :

1- أن يكون عالما بهذا العلم العظيم
2- أن يدرك المصالح والمفاسد في هذا الميدان
3- أن لا ينصب نفسه للفتيا في الرؤى ويتطلع إليها ، لا سيما عبر الشاشات وفي المجامع الكبيرة. فتعبير الرؤى قرين الفتيا وقد قال الملك : " يَأيها الملأ َأَفتونى فى رؤْيىِإن كنتم لِلرؤْيا تعبرون" [يوسف:٤٣]
4- يقول ابن القيم رحمه الله : "المفتي والمعبر والطبيب يطلعون من أسرار الناس وعوراتهم على ما لا يطلع عليه غيرهم، فعليهم استعمال الستر فيما لا يحسن إظهاره "
5- أن لا يتسرع في التعبير
6- أن لا يجزم بما يعبر
7- أن يعلموا خطورة هذا الجانب وما يوصله إليه من الافتتان والإعجاب بالنفس وتعظيم شأنه فوق شأن المفتين وأهل العلم ، وقد نقل ابن عبد البر أيضا عن هشام بن حسان انه قال :

كان ابن سيرين يسأل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشيء، إلا أنه يقول : اتق الله وأحسن في اليقظة ، فإنه لا يضرك ما رأيت في النوم، وكان يجيب في خلال ذلك ويقول : إنما أجيبب الظن ، والظن يخطئ ويصيب. فإذا كان هذا هو قول إمام المعبرين في زمانه وما بعده من الأزمان فما الظن بمن جاء بعده ، إننا لنسمع بالمعبر يسأل عن ألف رؤيا لا تسمع مرة يقول : لا أدري، أو يقول : هذه أضغاث أحلام، أو يقول : هذه حديث نفس ، إلا من رحم ربك

فعلى العابرين أن يدركوا خطورة تعبير الرؤى من خلال الشاشات التي يراها الملايين من الناس،وكذا المجامع الممتلئة بالحشود ، وذلك للأمور التالية :

1- أن الانفتاح المطلق بالتعبير نوع فتنة من أجل حديثه في أمور الغيب ، لا سيما أن أحدا لايستطيع أن يجزم بصحة ما يقول العابر من عدمه ، إلا من رأى ذلك في واقعه ، وهذا شبه متعسر عبر الشاشات

2- تعذر معرفة حال الرائي عبر الشاشات والمجامع من حيث الاستقامة من عدمها، وهذا له صلة وثيقة بتعبير الرؤيا ، فابن سيرين سأله رجلان كل منهما رأى أنه يؤذِّن، فعبرها للصالح منهما بالحج لقوله تعالى : "وَأَذن في الناس بالحج يأتوك رجالا " [الحج:٢٧]

3- وعبرها للآخر بأنه يسرق لقوله تعالى: "ثم أَذن مؤذن بينهم أيتها العير إنكم لسارقون " [يوسف:٧٠]

4- والشاطبي رحمه الله يقول في مثل هذه الحالة: "فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها، وتترك غير الصالحة ؟!"

5- عدم إدراك عقول الناس لطريقة بعض العابرين للرؤيا لا سيما عبر الشاشات والمجامع بحيث يكون تعبيرهم بصورة تجعل المستمع الجاهل لأول وهله يقول: هذا تكهن أو تخمين أو عرافة، ونحن قد أمرنا بمخاطبة الناس على قدر عقولهم ، فقد أخرج البخاري في صحيحه/127 قول علي رضي الله عنه [حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله ؟]

6- وروي مسلم/5 عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : [ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلاكان لبعضهم فتنة]

7- أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، فالمفسدة من خلال التعبير عبر الشاشات أشد منمصلحته، لأمور لا تخفى على متتبعها ، لا سيما أنها في أمور غيبية وأنها كالفتوى ، والسلف الصالح كانوا يتدافعون الفتوى ما استطاعوا، ناهيكم عن بعض الفساد المتحقق من خلال مايشاهد ويسمع من تعبير رؤيا لفتاة مثلا بأنها ستفشل في نكاحها أو لامرأة تعبر لها بأنزوجها تزوج عليها سرا بامرأة أخرى. فما ظنكم بحال الأولى والأخرى، فهذه تترقب الفشل في كل حين مع ضيق نفسها وانشغال بالها ، وتلك باهتزاز كيانها والشك في زوجها المرة تلو الأخرى ، ناهيكم عمن يرين مثل هذه الرؤى، فيكتفين بما سمعنه من تعبير لغيرهم فيقسن عليه دون الرجوع إلى عابر عالم اكتفاء بما سمعنه أو شاهدنه ، فتكون الطامة حينئذ ، وقولوا مثل ذلك فيما يراه الرجال والشباب.

وأما ما يحتج به بعض الناس من أن مسلما روى في صحيحه /2269أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يسأل أصحابه بعد الفجر فيقول : [من رأى منكم رؤيا؟] فالجواب على هذا من وجوه :

1- أن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتعبيره حق لا يشوبه شائبة.

2- أن تعبيره كان في مسجد يحضره عدد ليس كالأعداد التي تعد بالملايين حينما تشاهد التعبير عبر الشاشات ، وما ظنكم بحضور عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة العقلاء الفضلاء مقارنة بحضور عند غيره صلى الله عليه وسلم ؟! فأين الثرى من الثريا ؟!

3- أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة كالخلفاء الأربعة ولا من بعدهم من التابعين أنه كان يفعل في المسجد كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، لا سيما أبو بكر رضي الله عنه ، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عارف بتعبير الرؤى ، وهو من كبار المعبرين.

من الأخطاء في الرؤيا خطورة الكذب فيها، ففيه إثم عظيم أخرج البخاري في صحيحه/2225 عن ابن عباس أن النبـي صلى الله عليه وسلم قال: [من تحلم بحلم لم يره كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل]

قال الإمام الطبري رحمه الله : (الكذب في المنام كذب على الله أنه أراه ما لم يره)

انتهى، والحمد الله أولا وآخرا

وقفات شرعية
مع الهجرة غير الشرعية

عباد الله :

ظلت قضية الهجرة غير الشرعية ومحاولة العديد من الشباب المصري الكادح السفر بطرق غير رسمية إلي أوروبا بحثا عن حياة أفضل هي الشغل الشاغل والصداع الأكبر في أرس المجتمع وذلك علي خلفية نزيف الأرواح الذي شهدته مياه البحر المتوسط للعديد من الشباب المصري قليل الخبرة والحيلة.

وأشارت تقارير وزارة الداخلية أنه تم ضبط ٦٣٠ قضية هجرة غير شرعية خلال ٢٠٠٨، كما تم الكشف خلال هذا العام عما يزيد علي خمسين تشكيلا عصابيا يقومون بتسهيل قيام الشباب بهذه المغامرة الخطيرة غير المحسوبة النتائج.

وأكدت الإدارة العامة لمباحث الأموال العامة أنه في عام ٢٠٠١ تم رصد ٦٤٩ شابا، وفي عام ٢٠٠٢ وصل العدد إلي ١١٦٥، ثم في عام ٢٠٠٣ كان ١٧٤٩، حتي وصل في عام ٢٠٠٤ إلي ٦٢٦٣ من الشباب الذين تم ترحيلهم، ويؤكد التقرير أن هذه أعداد المرحلين من دول المقصد، وليست هي الأعداد الواقعية للمهاجرين هجرة غير شرعية، وكشف التقرير كذلك أن هناك هجرة غير شرعية عبر المنافذ الشرعية

ولنا مع هذه الظاهرة غير الشرعية هذه الوقفات الشرعية :

الوقفة الأولى : حكم السفر والإقامة في ديار الكفر

دار الكفر هي التي يحكمها الكفار ، وتجرى فيها أحكام الكفر، ويكون النفوذ فيها للكفار، وتكون أحكام الكفر فيها ظاهرة غالبة .

وهي نوعان :

1- بلاد كفار حربيين ، بينهم وبين المسلمين حالة حرب. وهذه البلاد لا يجوز السفر إليها قولاً واحداً

2- بلاد كفار مهادنين ، بينهم وبين المسلمين حالة صلح وهدنة ، وهذه البلاد يجوز السفر إليها بالشروط التالية :

أولاً : اشترط أهل العلم فيمن يسافر أو يقيم في ديار الكفر شروط :

الشرط الأول : أن يكِون عنده علم يدفع به الشِبهات: لأن الكفار يوردون على المسلمين شبهات في دينهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]

وذلك حتى يصير المسلم شاكًا متذبذًبًا في دينه كما قال قائلهم : (لا تحاولوا أن تخرجوا المسلم من دينه إلى دين النصارى، ولكن يكفي أن تشككوه في دينه، لأنكم إذا شككتموه في دينه سلبتموه الدين وهذا كاف)

الشرط الثاني : أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات : فإذا انعدم دينه ، سقط في بحر الرذائل الذي تموج فيه تلك البلاد ، من شرب للخمر ، وتعامل بالربا، والزنى بالنساء ، والعياذ بالله

الشرط الثالث : ألا تكون في إقامته هناك ذلة أو مهانة

فالمهاجرون هجرة غير شرعية يظلون مختبئين ، مذلولين، مقهورين ، وهذه وضعية لا تجوز، لما فيها من تسبب المسلم في إذلال نفسه ، ومن المخاطر التي تترتب عليها

والدليل على ذلك :

1- عَنْ حُذَيْفَةَ أن النبي َصَلَّى الله عَلَيه وَسَلَّمَ قال : [لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَ ن يذِلَّ نَفْسَهُ. قالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ ؟ قَالَ : يترض مِنْ الْبَلَاءِ لِمَا َلَا يُطِيقُ][1]. رواه الترمذي/2254 وابن ماجة/4016 وأحمد/23444

2- روى الطبراني عن أبي ذر الغفاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا]

الشرط الرابع : ألا يكون في ذلك ما يعرض حياة المسلم للخطر. ولا يبرر هذا النوع من الهجرة أن أصحابه فقراء ، فقد يتعرضون للضياع في البحر أو في الصحراء وقد يهلكون أو يعتقلون

والدليل على ذلك :

1- يقول الله تعالى: "ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلى التّهْلُكَةِ" البقرة:195

2- ويقول تعالى: "وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" النساء: 29

3- روى أحمد/17812 وأبو داود/334 عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : [احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوة ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَشْفَقت إن اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلَكَ ، فَتَيَمَّمْتُمُّ َصليت بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ ،

1- صححه الألباني.

فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ َصلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا عَمْرُو، َصلَيْتَ بِأصْحَابِ وَأنْتَ جُنُبٌ ؟ فأخْبَرْتهُ بِالَّذي منعني مِنْ الِاغْتِسَالِ ، وَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ : "وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ َصلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلم وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا)

الشرط الخامس : أن يكون الغرض من السفر غرضاً مشروعاً

وقد قسم أهل العلم السفر والإقامة بين الكفار إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : أن يكون السفر مأموراً به شرعًا :

كأن يكون سفره بأمر حاكم المسلمين : أو أن يكون صاحبه مجاهداً في سبيل الله حتى يرجع ، كأن يكون الذهاب إلى الكفار بقصد الدعوة إلى الله ، أو تعلم ما هو وسيلة إلى مرضاة الله وخذلان أعدائه

والدليل على ذلك :

1- سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف يعرض الإسلام عليهم، وكانت كلها دار كفر في ذلك الوقت

2- بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسل إلى ملوك أهل الأرض ومن حولهم وهم كفار :

- فقد بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس
- وبعث دحية الكلبي إلى قيصر- وهو هرقل- ملك الروم
- وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر
- وبعث شجاع بن وهب بن أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب النصارى
- وبعث سليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي

- وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة

القسم الثاني : أن يكون السفر مباًحًا

وهو كمن كان سفره لحاجة دنيوية كطلب رزق أو تجارة أو علاج أو طلب العلم الدنيوي النافع للمسلمين ، بشرط أن يتوافر فيه الشرطان السابقان ، فيكون عارًفا لدينه بأدلته آمًنًا من الفتنة مظهرا لدينه وذلك بعداوة الكفار والبراءة منهم ، قادراً على التأثير في الكفار دون التأثر بهم

الدليل على ذلك :

1- **سفر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام في تجارة يدل على جوازه**. ولا ُيُعترض على هذا الدليل : بأن سفره صلى الله عليه وسلم للتجارة كان قبل النبوة فليس فيه حجة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتدنس قبل النبوة بحرام ولا اعتذر عن ذلك حين بُعث

2- **أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع أحدًا من الصحابة في حياته من السفر لبلاد الكفر لغرض مباح** ولا منع ذلك أحد من خلفائه بعد وفاته، فقد كانوا يسافرون في عهده في التجارات إلى بلاد الشام وهي تحت حكم الرومان ، وكانوا يسافرون في فك الأسرى ، وفي حمل الرسائل إلى ملوك أهل الأرض ، كما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة - وهم في حالة حرب للإسلام والمسلمين

فدل ذلك على أن السفر لبلاد الكفر لغرض مباح يكون مباًحا ، ولغرض مستحب يكون مستحًبا.

القسم الثالث : أن يكون سفره حراما وكبيرة من كبائر الذنوب :
كمن كان غير قادر على إظهار دينه ، وتأدية شعائر الإسلام علانية ، وبحرية تامة، ِمِنْ فعِلٍ للواجبات ، وترِكٍ للمحرمات ، وإظهار البغض والعداوة للكفار، والبراءة منهم ، ويجب أن يعلم المسلم أن المراد بإظهار الدين ليس معناه أن ُيُترك الإنسان يصلي ، ولا يقال له اعبد الأوثان ، فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم ، ولا يكرهون الناس على أن يعبدوا الأوثان- غالًبا-، بل المقصود هو التصريح للكفار بالعداوة والبراءة من دينهم :

1. **كما قال تعالى حاكًيا عن إبراهيم عليه السلام ومن معه :**
" قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآَءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) الممتحنة : 4
2. وقال تعالى : وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآَخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ
(البقرة:١٣٠]

الدليل على ذلك :

1- قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)

إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا) سورة النساء97:99

2- روى أبو داود والترمذي في سننهما عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأُسْرِعَ فيهم القتلُ ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بنصف العقل ، وقال : أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله، لم ؟ قال : لا تراءي نارهما)

3- روى أبو داود في سننه/2787 وهو صحيح عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)

والحديث محمول على من لم يستطع إظهار دينه

القسم الرابع : أن يكون السفر كفراً، وردةً ، وخروجًا عن الإسلام :

كمن سافر إليهم بزعم التعرض للاضطهاد الديني ، وما يعرف بقانون الأقليات الدينية ، وهذا ينطبق أيضاً على مَنْ رضي كفر الكافرين ، وأظهر الموافقة لهم ، ومدح ما هم عليه من كفر ، واستحسن ذلك منهم، فوالاهم موالاة المحب لمحبوبه وركن إليهم، وأنس بقربه منهم ، ولم يتميز عنهم بتحريم الحارم ، وتحليل الحلال فهو منهم

والدليل على ذلك :

وجه الدلالة : أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل سرية إلى قبيلة خثعم وكان بالقبيلة مسلمون يخفون إسلامهم عن قومهم

المشـركين فخـافوا أن يقـتلهم المسـلمون ظَنًّـا منهم أنهم من المشركين فاعتصموا بالسجود ، فظن المسلمون أنهم سجدوا لغير الله فقتلوهم ، فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بنصـف الديـة لأن هلاكهم كـان لجنايـة أنفسهم بمقـامهم بـين أحضان الكفـار ، فلـم يعـرفهم إخـوانهم المسـلمون، وبجنايـة المسـلمين عليـهم ثـم قـال صـلى الله عليـه وسـلم : (أنـا بـريء مـن كـل مسلم يقيم بـين أظهـر المشركين)

قال الله تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (سورة المائدة :51)

قال الله تعالي : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" [الممتحنة:١]

الوقفة الثانية : توصيف حال المهاجرين في دول الكفر

بالنظر إلى رحلة الهجرة غير الشرعية نجد الآتي :

1- المبالغ الطائلة للسفر : يـدفع أحـدهم مبلغـاً طـائلاً للهجـرة غيـر المشـروعة قد يصـل إلـى خمسـة عشر ألف جنيه مصري، قد يبيع لأجله قيراط أرض زارعية ، أو يستدين المبلغ ، وهذا المبلغ الكبير لو استثمره في بلده لكان أفضل في العائد التجاري ، ولما احتاج للسفر إلى بلاد الكفر.

2- **المعاناة في السفر :** فهو يتنقل بين عدة دول للوصول إلى البلدان الأوروبية ، فيسافر من مصر إلى لبنان أو الأردن ، ومنها إلى سوريا، ومنها إلى تركيا ، ومنها إلى اليونان ، أو يسافر إلى ليبيا ، ومنها بالبحر إلى إيطاليا أو فرنسا أو أسبانيا

3- **التعرض للوفاة أو الاغتيال :** فإما أن يموت غرقاً في البحر ،أو يقتله المهربون إذا خشوا افتضاح أمرهم ،أو يموت اختناقاً في شاحنة، أو جوعاً ومرضاً في البرد القارس في قمم جبال الأناضول.

4- **البهدلة والتنصير :** الإلقاء في ميدان عام أو حديقة عامة أو خرابة داخل الدولة الأوروبية ، بلا طعام ولا شراب ولا مأوى ، مع التعرض للتنصير ، مين نصراني علشان نأتيه بالطعام والشراب والملابس ؟

5- **التعرض للفتنة بالمعاصي الكبائر :** فالخمر في بلاد الكفر أرخص من ماء الشرب ، والزنا بالكافرات أسهل من الهرش في القفا .!!

6- **الكذب والتزوير والغش :** فهو يُلْقي بأوارقه الرسمية في البحر حتى إذا ما تم اعتقاله هناك على أنه مهاجر غير شرعي يدعي أنه من العارق أو أفغانستان أو الصومال ، طمعاً في الحصول على حق اللجوء السياسي، أو حق اللجوء الديني بادعاء الاضطهاد الديني في مصر، بزعم أنه مسلم يريد التحول للمسيحية وأن المسلمين يضايقونه ويمنعونه من ذلك. والبعض منهم يقوم بالتزوير للحصول على تأشيرة دخول بلاد الكفر أو الالتحاق بعمل في ديار

الكفر[1]. وقد ينتحل الفرد المسلم رأي يجيز سرقة وخداع الكفار بحجة جواز استباحة مال الكافر وأنها دول محاربة ، وقد يحمل مثل هذا الشخص جنسية هذا البلد الكافر وقد يتمتع هو وأولاده بكامل حقوق المواطنة من تعليم وصحة وغير ذلك وقد يتعلل أمثاله بقصة رجل مسلم أخذ حمار كافر في زمن الصحابة، ومحاولة استيلاء المسلمين علي قافلة أبي سفيان لاستباحة أموالهم[١].

7- الاستغلال من العصابات الإجارمية : كالاستغلال في تجارة المخدرات والدعارة والتهريب.

8- الاستغلال من أرباب العمل : فإذا كان العامل الموفق أوضاعه يحصل على أجر ٥٠ يورو في اليوم فالمهاجر غير الشرعي يحصل على خمسة ،وإذا كان عاجبك.

9- العمل في أنشطة تجارية محرمة ، كالعمل في محلات سوبر ماركت تبيع ضمن ما تبيعه الخمور والمجلات والأفلام الإباحية ، وكإلزام سائقي سيارات الأجرة - وهو عمل مفضل للشباب المسلم المهاجر لكثرة عائده – أن يوصلوا من يركب معهم إلى الكنائس ، ومحلات الخنا، والخمارات ، ونحوه. وهذا لا يجوز .فإن ما هو محرم في بلاد الإسلام هو كذلك محرم في بلاد غير الإسلام[٢].

10- تناول الأطعمة المحرمة : فقد لا يوجد هناك ذبح إسلامي ، فجميع الذبائح المتداولة في أسواقهم

---

1 وهذ لا يجوز، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: (من غش فليس مني) رواه مسلم.

مذبوحة على غير الشريعة الإسلامية ، ورغم ذلك تجد أن كل المهاجرين المسلمين يأكلون لحمة ، من أين ؟ وكيف؟

11- الزواج بكافرة من أهل تلك البلاد : وهذا الزواج يكون على أحد صورتين: إما زواج صوري مقابل مال، وهو باطل ،وإما زواج حقيقي ينتج عنه إنجاب ذرية ، وعند أي اختلاف بين الزوجين يحصل الطلاق ، وتضم المرأة الكافرة الأطفال إليها بقوة القانون الذي يرتب أهمية الأشخاص على الترتيب التالي : المرأة ثم الطفل ثم الكلب ثم الزوج ، وعند حدوث الطلاق تبدأ الزوجة الكافرة في تنشئة الأطفال على الكفر ،وإذا هي كرهت زوجها المسلم تتعمد تنشئة الطفل على اليهودية ، نكالاً في أبيهم.

12-البعد عن الزوجة والأولاد والأهل سنين طوال : فالمهاجر إذا خرج من البلد الأوروبي
قبل توفيق أوضاعه لن يرجع إليها مرة أخرى ، وهو لن يستطيع توفيق أوضاعه بالإقامة المشروعة أو الجنسية إلا بعد خمسة عشر سنة على الأقل

والحكم : أن هذا لا يجوز قطعاً فقد قال الله تعالى : "وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا " (الإسراء :٣٤)

ولا خلاف بين علماء المسلمين أن سرقة أموال الكفار المعاهدين أو المستأمنين حرام، ولم نقف على ما يتعللون به

من قصة سرقة الحمار ، وأما استدلالهم بمحاولة استيلاء المسلمين على قافلة أبي سفيان فهو استدلال غير صحيح ، لأن الله أحل للمسلمين ما يغنمون من أموال الكفار في حالة القتال، فأين هذا من عدم الوفاء بالعهد والإخلال بالشرط المتمثل في شروط الإقامة في البلد الأجنبي ؟

[1] - يقول الإمام الشافعي في كتاب الأم : إن الحلال في دار الإسلام حلال في بلاد الكفر، والحرام في بلاد الإسلام حرام في بلاد الكفر .

- وقال أبو يوسف : لا يجوز للمسلم في دار الحرب إلا ما يجوز له في دار الإسلام من بدائع الصنائع

- ويقول الإمام النووي : فما كان حراما في دار الإسلام كان حراما في دار الحرب، سواء جرى بين مسلمين أو مسلم وحربي ، سواء دخلها المسلم بأمان أم بغيره ، هذا مذهبنا وبه قال مالك وأحمد وأبو يوسف والجمهور. أهـ .

وعليه.. فلا تحل المتاجرة في المحرمات أثناء الإقامة بديار الكفر.

13- **ترك الصلاة في المساجد، وترك صلاة الجمعة :**

فصلاة الجمعة عندهم لا تصلى إلا في الساعة الثالثة عصرا ، لأن الجميع يعملون حتى الساعة الثالثة عصرا وطبعا مفيش صلاة جماعة في الفرائض[1] .

14- **قلة المساجد والعلماء وحلقات التعليم الشرعي :** فلا يوجد هناك أئمة وعلماء على حق، إلا ما رحم ربك ، وقليل ما هم ، فالعلماء المعارين إلى هناك يخرجون في تلك الإعارات بالرشوة والتطبيط فكيف يتوقع أن يكون هذا

العالم داعية إلي الله هناك ؟ كما أن الإنفاق علي المؤسسات الإسلامية في بلاد الكفر ضعيف : وتعرضه للكثير من الصعوبات القانونية ، كالتعرض لتهمة تمويل الإرهاب ، وكم بذلته السعودية من أموال طائلة لتسمح لهم السلطات الإيطالية في بناء مجمع الملك فهد بروما.

15- معاناة المهاجر من الاكتئاب النفسي والفراغ العاطفي والديني، وبالتالي يغرق أكثر وأكثر في الضياع والانحلال

الحصول على جنسية الدولة الكافرة: وهذه لها مخاطر عديدة[٢].

الوقفة الثالثة : حكم الغرقى منهم

ثار جدال واسع حول حكم هؤلاء الغرقى ؛ فكان هناك إفراط وتفريط، فمنهم من وصمهم بالطمع وبأنهم ليسوا بشهداء ، ومنهم من حكم لهم بالشهادة مستدلاً بأحاديث :

- بقوله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة : (والغريق شهيد) رواه مسلم/1914

فالصلاة فواجبة على المسلم أينما كان سواء كان في دار الكفر أو دار الإسلام ،

وإذا وجد مسجد في ديار الكفر فالمطلوب من المسلم أن يصلي فيه مع إخوانه المسلمين ليحوز زيادة الأجر والثواب ، فالصلاة في المسجد خير من الصلاة في البيت بالنسبة للرجل

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) رواه البخاري/645 ومسلم/650

وروى أحمد/21266 وأبو داود/554 والنسائي/843 وهو حسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ،وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى)

ومن أهل العلم من ذهب إلى أن صلاة الجماعة في المسجد واجبة على الرجال، إلا من عذر ، ومنهم من ذهب إلى أنها شرط في صحة الصلاة فلا ينبغي التساهل في حضور الجماعة في المسجد لقوله صلى الله عليه وسلم : (من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر) رواه ابن ماجه/793 ، وأبو داوود/551 وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

فمن المخاطر المترتبة على التجنس بجنسية الدول الكافرة :

1- إجبار المتجنسين للدخول في الجيش ، وعلى التجنيد الإجباري، ومن ثم أن يخوضوا كل الحروب التي تخوضها البلاد المتجنسين بجنسيتها ولو كانت ضد الدول الإسلامية ، كما حدث الآن في العراق وأفغانستان

2- تعلق الأبناء والبنات بالعيش هناك ، ومعاناتهم من الأمية الشرعية وقلة الوازع الدين. ومثال عليه : أبناء الشيخ/ سيد الدرش، رحمه الله

3- مشاركة الكفار في أعيادهم ومناسباتهم

4- تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

5- ألفة الممارسات الشركية والمعاصي

6- احتمال أن تتزوج البنت بكافر أومشرك إن شاءت، وقد حدث للعديد منهن، وهذا هو الزنا بعينه

- وبقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا : (الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله) رواه البخاري/720 ومسلم/1915

والصحيح في المسألة أن نذكر الضوابط التالية :

الأول : لكي يحكم لشخص بالشهادة فلابد من أمرين :

1- الاتصاف بالإسلام قولاً وفعلاً : فلا يحكم لكافر بالشهادة إذا غرق ، حيث إن الشهيد تجب له الجنة والكافر محروم منها، فلا شهادة لكافر، قال تعالى حاكيًا عن فرعون :

2- حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) يونس:92-90

3- أن يكون سفره سفر طاعة : فلا يحكم لمن مات متلبِّسًا بالمعصية وقد تحقق فيه سبب من أسباب الشهادة كالغريق مثلاً بالشهادة، فإذا صحب رجل امرأة ليزني بها فسقطت سيارته في البحر فمات الاثنان فلا يقال عنهما شهداء لقوله صلى الله عليه وسلم : (يُبعث كل عبد على ما مات عليه) رواه مسلم/ 2878

الوقفة الرابعة : العوامل المساعدة على الهجرة غير المشروعة :

1- قلة علم هؤلاء بحكم الشرع في مسألة السفر إلى ديار الكفر والإقامة بها

2- الانبهار بحياة المدنية الغربية: فالانبهار بما عند الغرب من وسائل التقدم جعلت قلوب كثير من الشباب تهفوا إلى إيثار ديار الكفر على ديار الإسلام في العمل واكتساب الرزق مع ما تتمتع به دول إسلامية كثيرة من مصادر للرزق جعلت الغربيين والآسيويين يتطلعون للعمل بها. وهذا من آثار الإعلام المرئي، فالثورة الإعلامية التي يعرفها العالم جعلت السكان حتى الفق اراء منهم يستطيعون اقتناء الهوائيات التي تمكنهم من العيش عبر مئات القنوات في عالم سحري يزرع فيهم الرغبة في الهجرة.

3- تقصير الآباء في تربية أبنائهم وتنشئتهم النشأة الإسلامية الصحيحة وتفقدهم في حياتهم ، فقد قال والد أحد الضحايا : (لم أعلم بسفر ابني إلا حينما علمت بوفاته غرقًا) !!

4- ضعف الإيمان في نفوس كثير من الناس وخاصة إيمانهم بأن الله هو الرازق، فاعتقدوا أن مكثهم في ديارهم لن يأتيهم بالرزق مع أن كثيراً من الشباب لم يغادروا بلادهم ومكثوا فيها ورزقهم الله عز وجل الرزق الوفير، ولم يتوفر لهم من الأموال ما لهؤلاء الفارين من ديارهم، فقد دفع الواحد منهم أكثر من ثلاثين ألفا من الجنيهات ثمَنًا لفراره من بلده وسفره إلى ديار الكفر، ولو قاموا باستثمار هذا المبلغ في بلدهم وتوكلوا التوكل على الله لكفاهم الله عز وجل حيث يقول

(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)" [الطلاق:٢،٣].

5- مخالفة ولي الأمر : فيجب طاعة ولي الأمر فيما ليس بمعصية، وحيث وضع ولي الأمر قواعد لتنظيم خط السير في الطرق برا وبحرا وجوًا ، فيجب على الجميع احترامها ، وهذا ما لم يحدث من أصحاب المراكب التي لا يرخص لها بالإبحار في أعالي البحار لعدم صلاحيتها لذلك، وكذا لقيامهم بتحميلها أكثر من سعتها ولاستخدامها في غير الغرض المرخص لها به- وهو صيد الأسماك- وقد طاوعهم الشباب في ذلك مع علمهم بخطورة وسيلة المواصلات هذه على أرواحهم مما جعلهم مقصرين في الحفاظ على أنفسهم مخالفين قوله تعالى: "وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ " [البقرة: ١٩٥].

6- التقصير في مراقبة المتاجرين بآمال الشباب ومحاسبتهم وردعهم: فلولي الأمر تعزيرهم على فعلهم وإلزامهم الدية لقتلهم هؤلاء الشباب ، أو إيقاع القصاص بهم إذا ثبت تعمد إلقائهم في البحر خوفًا من إلقاء سلطات خفر السواحل بالدول الكافرة القبض عليهم.

7- عدم إحياء بيت مال المسلمين ومساعدة الشباب بتوفير سبل الحياة الكريمة لهم في بلادهم بدلاً من البحث عنها في ديار الكفر.
فمما لا شك فيه أن من الأسباب الأساسية للهجرة غير الشرعية الدوافع الاقتصادية والتي في مقدمتها البطالة وعدم توافر فرص عمل للشباب وكذلك انخفاض الأجور التي لا تتناسب وتكاليف المعيشة في الوقت الحاضر لشرائح كثيرة في المجتمع.

8- هناك عوامل قانونية تسببت في هذه المشكلة: ك ضعف عقوبة تزوير جواز السفر، وما يلحق به من تأشيرات، وأختام

مزورة، واعتبارها جنحة، عقوبتها الحبس، أو الغرامة بنص المواد ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨ من قانون العقوبات. وكـ ضعف عقوبة مغادرة الأ ارضي المصرية بدون المستندات القانونية من المنافذ الشرعية بنص المادة ١٤من القانون ٩٧ لسنة ١٩٥٩، وهو الحبس مدة لا تزيد علي ثلاثة أشهر، وغرامة لا تزيد علي مائتي جنيه، أو بإحدي هاتين العقوبتين.

9- صورة النجاح الاجتماعي الذي يظهره المهاجر عند عودته إلى بلده لقضاء العطلة، حيث يتفانى في إبراز مظاهر الغنى، كسيارة ، وهدايا ، واستثمار في العقا رات، والزيجات المكلفة، وما إلى ذلك ،وكلها مظاهر تغذيها وسائل الإعلام المرئية.

ونقول: إن حالات النجاح وإن كانت موجودة بالفعل فهي بالمقارنة مع حالات الفشل لا تمثل أي نسبة قابلة للمقارنة ، فيفشل المئات وينجح عشرة.

وختاماً :

نسأل الله عز وجل أن يرزق شباب المسلمين العلم النافع والعمل الصالح، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين لما يحب ويرضى ، والله الموفق

بناء النفس

عباد الله :

يقول الله تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10) الشمس:7-10

- **أهمية الموضوع :**
- معنى بناء النفس
- مكونات بناء النفس
- العوامل المساعدة في بناء النفس
- معوقات بناء النفس
- آثار عدم بناء النفس
- نماذج من البناة

تتضح أهمية موضوع بناء النفس في عدة أمور .. منها ؟

1- التقصير الملحوظ من قبل المسلمين في هذا الموضوع.
2- كثرة الفتن والشهوات والشبهات
3- أن ما تعود عليه الإنسان في صغره هو ما يستمر معه في الكبر.
4- أن المسلم ينبغي أن يكون داعية يعمل على بناء الآخرين ، فبناء نفسه من باب أولى.
5- الآثار الإيجابية المترتبة على بناء النفس.
6- الآثار السلبية المترتبة على ترك بناء النفس

معنى بناء النفس هو .. تربية النفس على القيام بأعمال تقرب إلى الله مع ترك الأعمال التي يخاف من تأثيرها السلبي على النفس والدين

ومن مكونات بناء النفس .. وهي الأشياء التي يبني عليها المسلم نفسه

١ـ طلب العلم الشرعي ..

فهو أفضل ما طلب .. وأشرف ما رغب ...

وتدل على أهمية العلم آيات كثيرة ... { قل هل يستوي الذين لا يعلمون والذين لا يعلمون } الزمر/9

ومن الأحاديث التي جاءت في مدح العلم وأهله قوله صلى الله عليه وسلم : { من يرد الله به خيرا يفقه في الدين } رواه البخاري/3116 ومسلم/1037

كما أن هناك مسائل لا يجوز الجهل بها ... وهي مسائل الدين المترتبة على العبادات اليومية والفروض .. كالصلاة والوضوء ...

ومن طلب العلم ...

حفظ القرآن الكريم .. وحضور الدروس العلمية الحضور الصحيح .. بالتحضير والتعليق والسؤال

والمراجعة بعد الدرس ... كما يندرج تحت طلب العلم .. الاستماع للأشرطة العلمية .. والاستزادة

بالقراءة الصحيحة .. وزيارة العلماء .. ومحاولة تلخيص ما تعلمت .. وعمل البحوث .. وإلقاء

الدروس على من هم دونك في العلم .. وعرض الدروس على العلماء. . ومناقشة المسائل العلمية مع الزملاء في اللقاءات الشخصية..

٢ـ العبادة ..

فهي الغرض من خلق الثقلين .. وهي الغرض من إرسال الرسل .. أمر بها حتى الموت .. وهي

الصلة الروحية بين العبد وربه .. وهي الوسيلة لغفران الذنوب ....
هي السبب الموصل إلى رضوان الله والجنة بعد ذلك ..
فعلينا بناء أنفسنا على العبادة الخالصة المستمرة ..
نبدأ بالفرائض .. ونكمل بالنوافل...
ومن العبادات التي يجب علينا بناء النفس عليها..

* **الصلاة :**

فهي أهم الفرائض .. نبني أنفسنا على التبكير إليها .. وعلى الخشوع فيها.. وعلى أداء سننها
وعلى التمهل فيها .. وعلى أداء السنن الرواتب..

* **قيام الليل :**

فيجب على الشاب الملتزم أن يبني نفسه ويعودها على قيام الليل .. ولو جزءا يسيرا في البداية..

* **صيام النافلة :**

فيجب على الشاب المستقيم أن يعود نفسه على صيام النافلة .. كصيام الاثنين والخميس .. وثلاث أيام من كل شهر.. والأيام العادية..

* **قراءة القرآن :**

عود نفسك على قراءة القرآن اليومية .. وليكن أقل ما يقرأ جزء..

* **الأذكار :**

في كل مكان .. عود نفسك على ذكر الله فالذكر للقلب مثل الماء للسمك

3- الدعوة إلى الله ..

فقد أمر الله بها.. ومدح من اتصف بها { ولتكن منكم امة يدعون إلي الخير) آل عمران/104

وقول الرسول لعلي بن أبي طالب في صحيح البخاري/2942
ومسلم/2406 { لأَنْ يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم }

وتارك الدعوة بلا عذر معاقب يوم القيامة { منْ كَتَم عِلمًا يعلمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار } رواه أحمد/10487 والترمذي/2649 وابن ماجة/266

والدعوة ليست محصورة في جانب واحد .. أو طائفة معينة ...
وقد تكون الدعوة بإلقاء كلمة في مسجد .. أو توزيع شريط نافع .. أو كتابة في أي مجال .. أو كتابة رسالة خاصة ترسل لمن تريد دعوته.. أو مشاركة الدعاة .. أو الأعمال المساندة كتصوير الإعلانات للمحاضرات .... وغيرها من الأمور الدعوية ..

4- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

والمعروف : هو اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى من طاعته والإحسان إلى عباده..

والمنكر : هو اسم جامع لكل ما عرف في الشرع والعقل قبحه . من معصية الله تعالى وظلم عباده

فالمقياس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الشرع وليس عرف الناس ..

{ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر } آل عمران/110

كما أن العذاب للأمم لا يكون إلا إذا عمل المنكر جهارا
فلا داعي لإلقاء المسؤولية في إنكار المنكر على الغير .. بالكلمة الهادفة أو النصيحة الحسنة وغيرها من الوسائل ..

5- ترك المعاصي ..

فهي بريد الكفر والمعصية هي كل عمل خالف فيه المكلف ربه بترك ما هو واجب الفعل .. أو فعل ما هو واجب الترك .. مع علمه بذلك دون جهل و نسيان

وللمعاصي ثلاثة أصول :

- تعلق القلب بغير الله .. وأقصاه الشرك
- طاعة القوة الغضبية .. وأقصاه القتل
- طاعة القوة الشهوانية .. وأقصاه الزنا

فالمعاصي سبب للضلال والعقوبة .. ولا تنظر لصغر المعصية ..
ولكن انظر لعظم من عصيت ..
وإياك ومحقرات الذنوب .. فمتى يأخذ بها الشاب أهلكته
واحذر أن تأسرك معصية ولو كانت صغيرة.. فبذلك تستمر معك المعصية حتى كبرك..

6- حسن الخلق ..

فلحسن الخلق مكانة رفيعة في الإسلام .. **{ وإنك لعلي خلق عظيم }** القلم/ 4

وقول الرسول الكريم (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) رواه أحمد/8952

كما أن حسن الخلق يدخل الجنة ..!!

ومن حسن الخلق .. الصدق .. والوقار .. ولين الكلام .. والأمانة .. والحياء .. والحلم .. والتواضع ..
والصبر .. والكرم .. وغيرها من الأخلاق الحميدة..

7- ترك التوسع في المباحات ..

فالتوسع في المباحات يجر الشاب المستقيم إلى المحرمات.. وليست المطالبة بترك المحرمات كلها لأننا بشر لسنا معصومين من الخطأ ولكن ناخذ من طيببات وزينة الارض في حدود المباحات كما أنه صلى الله عليه وسلم وهو أعبد الناس

.. كان يحب الطيب والنساء .. ونهي من أراد ترك المباحات كليا..

فالضابط في المباحات هو ..

إذا كان المباح وسيلة إلى أمر مأمور به .. فهو مطلوب فعله

وإذا كان وسيلة إلى منهي عنه .. أخذ حكم من الحرمة ..

وإذا لم يكن وسيلة إلى محرم أو مباح .. فلا يكثر منه.. فالإكثار منه إضاعة للوقت فيما لا فائدة فيه

والمباح لا يترك إلا لأحد الأسباب التالية :

* أن يكون هذا المباح مانعا من عبادات .. وحائلا دون خيرات.
* إذا رأيت هذا المباح مسببا لتغير في النفس .. فابتعد عنه
* إذا وجدت أن في هذا المباح شبهة .. فتورع عنه
* إذا كان فيها إسرافا فاجتنبه
* إذا لم يكن لديك رغبة شخصية لهذا المباح .. فلا تلزم بها

ومن العوامل المساعدة في بناء النفس ..

1 - الصبر والمجاهدة :

فبناء النفس يحتاج إلى جهد .. فلا بد من الصبر والمجاهدة .. على طاعة الله .. وعن معصية الله **{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا }** العنكبوت/69

٢- المحاسبة :

فمحاسبة النفس طريقة لإصلاحها .. حاسب نفسك قبل العمل .. هل هو مشروع أو لا ؟؟؟ .. وأثناء
العمل .. هل أديته على الوجه المطلوب أو لا ؟؟؟ .. وبعد العمل .. هل أخلصت فيه أم لا ؟؟؟

٣ـ المراقبة :

مراقبة الله في الحركات والسكنات والأقوال والأفعال .. فبذلك يترك المحرم .. ويفعل الواجب والمستحب ..

4- معرفة طبيعة النفس :

إذا عرفت أن النفس ميالة للراحة والهوي .. تهيأت للمجاهدة

5- معرفة وظيفتك في الحياة :

وأنك لم تخلق هملا .. وأن سبب خلقك هو العبادة .. فبذلك لن تنشغل بالوسيلة وتترك الغاية.

6- البيئة الصالحة :

سواء في المنزل أو الزملاء أو الحي .. فهؤلاء إن رأوا منك تقصيرا نبهوك وإن رأوا إقبالا شدوك

7- معرفة الأجر المترتب على العمل :

فإذا عرفت ما في العمل من خير .. شجعك ذلك على العمل به

8- قراءة سير السلف الصالح :

وعلى رأسهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. ومن تبعه من الصحابة والسلف.

.. فبمعرفة سيرهم تتحمس نفسك للعمل كما عملوا من قبلك ..

9- التأهب للقاء الله عز وجل :

وتذكر الموت .. وما بعده وأنه يأتي فجأة فبذلك يحرص الشاب على بناء نفسه

10- الممارسة العملية :

فكل ما ذكر نظري.. حتى يطبق على أرض الواقع .. فالممارسة تفيد من ناحية أنك أشعرت نفسك
أن العمل مقدور عليه .. والإحساس باللذة والحلاوة .. وكسر حاجز عدم الجرأة..

11- تطهير القلب من الأدران المشغلة

كالحسد والرياء والعجب وغيرها .. فبانشغال القلب بها.. لن يقوم بعمل الأشياء المذكورة..

12- إشعار النفس بالتقصير

فبذلك تقود نفسك للاجتهاد.

13- علو الهمة

فلن تستفيد من الأشياء المذكورة إلا بعلو الهمة ..

14- تدبر القرآن الكريم

فبتدبره تجد كل العوامل السابقة ..

15- الدعاء

بأن يوفقك لما يحب ويرضى .. وتدعو بأن يوفقك الله للحصول على العوامل السابقة..

ومن معوقات بناء النفس :

١ ـ التربية الخاطئة منذ الصغر.

كالتربية على الدلال والترفه .. فهذا يشق عليه أن يربي نفسه على الأمور المذكورة..

٢ـالوسط السيئ

فبالوسط السيئ .. لن تجد العون منه على بناء النفس..

٣ـ الانفراد.

فهو كما الوسط السيئ

٤ـ الإخلاد إلى الشهوات المباحة.

كالزوجة والمال والولد ..

٥ـ التسويف.

فالمسوف لن يعمل شيئا ما دامت (سوف) ملازمة له

٦ـ الوقوع في المعاصي.

فالمعصية تجر أختها .. والإنسان إذا عصى يحرم الطاعة..

٧ـ قلة ذكر الموت والدار الآخرة.

فالإنسان بتذكر الموت يستيقظ من غفلته

٨ـ التهاون مع النفس.

فهي لن ترشدك إلى الأعمال الجادة .. لأنها ميالة للكسل والراحة..

٩ـ الخجل المزيف المذموم.

فقد يترك الشاب طاعة بسبب خجله .. والخجل عادة يزول بالممارسة..

١٠ـ الاستعجال.

فبالعجلة يترك المرء العمل .. لأنه يستعجل قطف الثمرة .. كالدعوة وطلب العلم...

١١ـ إشغال النفس بما لا فائدة منه

١٢ـ الجهل بآثار ترك بناء النفس
لأن الشخص لو لم يعرف الهدف من بناء النفس لن يبني نفسه
١٣ـ دنو الهمة والرضا عن الواقع السيئ ..

ومن آثار عدم بناء النفس :

1- الاستهانة بالذنوب .. وارتكاب الصغائر ..
2- قسوة القلب .. وربما موته ..
3- إتباع الهوي .. فباتباع الهوي يضعف الإيمان .. لأن الهوي يلعب فيه كيف شاء ؟؟ ومتى شاء
4- الالتزام الأجوف ..
5- الانهيار وقت المحن والشدائد .. لأنها تحتاج إلى إيمان صلب راسخ..
6- المساءلة بين يدي الله غدا ..

نماذج من البناة :

.. في طلب العلم ..

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم لنسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهم اليوم كثير
.. فقال لي الرجل : وا عجبا
منك يا ابن العباس أترى الناس يحتاجون إليك وفيهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من

ترى ؟؟ .. فتركت الرجل وأقبلت في المسألة ... فإذا بلغني عن الحديث عند الرجل فآتيه وهو قائل (في قيلولته) فأتوسد عند باب بيته.. فيخرج فيجدني .. فيقول : يا ابن عم رسول الله هل أخبرتنا فنأتيك ؟؟ .. فأقول : العلم يؤتى ولا يأتي !!

فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي .. فقال : هذا الفتى أعقل مني) !!!

.. **في الدعوة إلى الله عز وجل ..**

كان فتيان من بني سلمة يأتون إلى صنم لعمرو بن الجموح رضي الله عنه فإذا تغافلوا عمرو بن الجموح .. أخذوا الصنم ووضعوه في مكان القاذورات .. فإذا وجده عمرو بن الجموح .. غضب

ونظفه.. وتوعد من يفعل ذلك ...

فلما حصل ذلك عدة مرات ..

أخذ ابن الجموح رضي الله عنه سيفا .. ووضعه للصنم .. وقال : يا مناف والله لو كنت تملك ضرا أو نفعا لنفعت نفسك ..

هؤلاء الفتيان لم يعملوا هذا العمل إلا لبيان أن هذا الصنم لا يضر ولا ينفع لعمرو بن الجموح ..

وفعلا .. أسلم عمرو بن الجموح..

والأمثلة على هذا الشيء كثيرة .. ومن استزاد يجد الكثير

الحمد لله الذ بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات

بلاد الأفراح

عباد الله :

جاء حديث أبي هريرة -رضي الله تبارك وتعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "قال الله -عز وجل-: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومصداق ذلك في كتاب الله (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة:17) رواه البخاري/4779 ومسلم/2824 والترمذي/3197 وأحمد/8143

عباد الله : إن الحديث عن النعيم المقيم ، والإيمان الراسخ بالنُزُل الكريم من الغفور الرحيم ، هو سلوة الأحزان ، وحياة القلوب ، وحادي النفوس ومهيجها إلى ابتغاء القرب من ربها ومولاها.

الحديث عن الجنة والرضوان لا يسأمه الجليس ، ولا يمله الأنيس

فلنتأمل قليلاً في هذا الحديث العظيم " : (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر) رواه البخاري/4779 وغيره

وليسرح الفكر في شيء من نعيم الجنة من خلال كلام ربنا، وكلام رسولنا -صلى الله عليه وسلم-، راجياً من الله -جل وتعالى- أن يكون محفزاً للمزيد من العمل والإخلاص.

كما أسأله -سبحانه وتعالى- أن نكون من أهل الجنة بفضله وكرمه، لا بأعمالنا وعباداتنا القاصرة الضعيفة، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله -تعالى :-(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا) (الكهف : 107)

وقال تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ) (الرحمن:46)

عباد الله : اعلموا بأن للجنة ثمانية أبواب، كل باب منها مخصص لصنف من المؤمنين يُدْعون للدخول فيه

روى البخاري في صحيحه/3666 من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال" : من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبو بكر -رضي الله عنه- بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم" .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى :-

أبوابها حقٌ ثمانيةٌ أتت *** في النص وهي لصاحب الإحسان
باب الجهاد وذاك أعلاها وبابُ *** الصوم، يدعى الباب بالريان
ولكل سعيٍ صالحٍ بابٌ وربُ *** السعي منه داخلٌ بأمان
ولسوف يدعى المرء من أبوابها *** جمعاً إذا وافى حُلَى الإيمان
منهم أبو بكرٍ هو الصدّيق ذاك *** خليفة المبعوث بالقرآن

وأما عن طعام أهل الجنة وشرابهم ، فاعلموا أن الناس في الجنة يأكلون ويشربون مما تشتهي أنفسهم؛ كما قال تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) (المرسلات: 41 – 43)

وقال عز وجل : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُون) الطور: 17

وهم في تحصيل أكلهم وشرابهم لا يتعبون ولا ينصبون، بل يأتيهم رزقهم وهم جالسون مستريحون

قال الله ـتعالى (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ] الحاقة: 19- 24

وقال سبحانه (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاء مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ) (الواقعة: 27- 33)

ولأهل الجنة خدم لا يؤثر فيهم الزمن ، ولا تغيرهم السنون ، فهم مخلدون في سن الصبا والوضاءة ، كأنهم اللؤلؤ المنثور يطوفون عليهم بأكواب من فضة يملؤونها من عيون الجنة الصافية الطيبة

كما قال تعالى : وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا" (الإنسان: 15- 22)

روى مسلم في صحيحه/2835 من حديث جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم " :- يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون ، ولا يبولون ، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشح المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير ، كما يُلهمون النفس ".

وعن حكيم بن معاوية جد نهر بن حكيم -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال" : إن في الجنة ؛ بحر العسل ، وبحر الخمر، وبحر اللبن وبحر الماء ، ثم تنشق الأنهار بعد ") رواه الترمذي/2571 وقال: حديث حسن صحيح

ونظير هذا من القرآن قوله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ) (محمد: 15)

عباد الله : وأما عن ملابس أهل الجنة

فيقول الله -جل وعلا(عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ) (الإنسان: 21)

وفي سورة فاطر يقول جل وعلا : (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِير) (فاطر: 33)

وقال في الآية الأخرى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ) الدخان: 51- 54

وقال عز من قائل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن

سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا" (الكهف: 30- 31)

وأما نساء أهل الجنة، فاعلموا ـ رحمكم الله- أن الله ـسبحانه وتعالى- قد وعد عباده المؤمنين بزوجات في الجنة باهرات الجمال، حسنات الخلق،

قال تعالى : (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ) (الرحمن: 70)

فالله ـسبحانه وتعالى- قد وصفهن بالحسن ، وإذا وصف خالق الحسن شيئاً بالحسن ، فتصور كيف يكون ، وقال تعالى في وصفهن : (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) (الواقعة: 22- 23)

والمرأة الحوراء، هي : البيضاء

والأعين الحور، هي : الأعين النقيات البياض الشديدات سواد الحدق

واللؤلؤ المكنون ، أي الذي لم تسمه الأيدي ، ولم يقع عليه الغبار، فهو أشد ما يكون صفاء وتلألأ !!

فانظر كيف جمالهن ونقائهن وصفائهن ؟

وقال جل وعلا : (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ) (الواقعة: 35- 38)

روى البخاري في صحيحه /2792 ومسلم/1880 من حديث أنس ـرضي الله عنه- قال: قال رسول الله ـصلى الله عليه وسلم" :- غدوة في سبيل الله أو روحة، خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم، أو موضع قدمٍ من الجنة، خيرٌ من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة —وهذا هو الشاهد من الحديث— ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينها، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها —أي خمارها— على رأسها خير من الدنيا وما فيها."

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال " :أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر ، لا يبصقون ولا يمتخطون ، ولا يتغوطون فيها ، آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم من الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان ، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا) رواه البخاري/3327 ومسلم/2834 وابن ماجة/4333

إنها الجنة -يا عباد الله- رياضها مجمع المتحابين ، وحدائقها نزهة المشتاقين ، وخيامها اللؤلؤية على شواطئ أنهارها بهجة للناظرين.

عرش الرحمن سقفها، والمسك والزعفران تربتها، واللؤلؤ والياقوت والجوهر حصباؤها، والذهب والفضة لبناته

غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار

عاليات الدرجات ، في عاليات المقامات ، بهيجة المتاع ، قصر مشيد ، وأنوار تتلألأ ، وسندس وإستبرق، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة، هم فيها على الأرائك متكئُون

ظلها ممدود ، وطيرها غير محدود ، فاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون.

قطوفها دانية للآكلين ، وطعمها لذة للطاعمين

قد ذللت قطوفها تذليلا

يناديهم المنادي : لكم النعيم سرمدا ، تحيون ولا تموتون أبدا ، وتَصِحّون ولا تمرضون أبدا ، وتشبون ولا تهرمون أبدا ، وتنعمون ولا تبأسون أبدا ، يحل عليكم رضوان ربكم فلا يسخط عليكم أبدا

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (الزمر: 73- 74)

فنسأل الله -عز وجل- بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى ، أن يجعلنا من أهل الجنة، الذين هم أهله وخاصته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه

قال الله -تعالى- : وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ " (آل عمران: 133)

إنها دعوة مهيبة ورسالة كريمة إلى حيث الراحة والاطمئنان ، والأمن والأمان والروح والريحان. دعوة من الله -جل جلاله- لسكنى دار الخلد ، وجنة المأوي

صحتك فيها لا تقل ولا تفنى ، وثيابك فيها لا تبلى ، ووجهك فيها كالنجم في السماء أو هو أصفى .

وسنك فيه الثلاثة والثلاثين لا يتعدى ، والجمال والكمال عليك فيها قد استولى.

حياتك فيها حياة رضية ، وعيشك فيها سعادة أبدية ، وأوقاتك فيها أوقات هنية.

إنها دعوة تطير النفس في أجوائها ، وتحلق الروح في سمائها، ويستروح القلب في قسماتها

عباد الله : إن ما ذكر ما هو إلا جزء يسير جداً من نعيم الجنة ، والتي لا نستطيع، بل يستحيل أن نقدر قدرها، وكيف يُقدر قدر دار غرسها الرحمن بيده وجعلها مقراً لأحبائه ، وملأها من رحمته

وكرامته ورضوانه ، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير ؟.!

ولهذا كانت الجنة قرة عيون المحبين ، ومحط أشواق قلوب العارفين، أسهروا ليلهم في سبيلها ، وأظمأوا نهارهم من أجلها، وبذلوا كل غالٍ ونفيس مهراً لها ، وثمناً لدخوله.

فالطريق إذاً إلى هذه الجنة يحتاج إلى زادٍ من التقوى ، وعمل متواصل من الخير، وجهد مبذول في سبيل الدين ، وجهاد دؤوب للشيطان، وعِراك مستمر مع النفس والهوى ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- " :حفت الجنة بالمكاره."

فاجتهد -أخي المسلم- : لقد سبق السابقون ، وفاز الفائزون ، وتأخر عنها الغافلون النائمون

شيء من العمل ، يصحبه إخلاص وتقوى ، مع توفيق الله -عز وجل- ورحمته ومغفرته ، تكون من أهل نعيم سرمدي لا ينقطع ، وتدخل جنة، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر

فإن سألت عن أرضها؛ فتربتها هي المسك والزعفران

وإن سألت عن أنهارها ؛ فأنهار : (مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى) (محمد: 15)

وإن سألت عن طعامهم ؛ ففاكهة مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (الواقعة: 20- 21)

وإن سألت عن شرابهم ؛ فهو التسنيم والزنجبيل والكافور

وإن سألت عن آنيتهم ؛ فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير

وإن سألت عن سقفها ؛ فهو عرش الرحمن

وإن سألت عن حصبائها ؛ فهو اللؤلؤ والجوهر
وإن سألت عن بنائها؛ فلبنة من فضة ولبنة من ذهب
وإن سألت عن أشجارها ؛ فشجر الجنة ساقها من ذهب وفضة
وإن سألت عن ثمارها ؛ فأمثال القلال ، ألين من الزبد، وأحلى من العسل
وإن سألت عن ورقها ؛ فأحسن ما يكون من رقائق الحُلل
وإن سألت عن سعة أبوابها ؛ فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام ، وليأتين عليه يوم ، وهو كظيظ من الزحام
وإن سألت عن ظلها ؛ ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجدّ السريع في ظلها مائة عام ، لا يقطعها
وإن سألت عن سعتها ؛ فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام
وإن سألت عن خيامها وقبابها ؛ فالخيمة الواحدة من درةٍ مجوفة طولها ستون ميلاً من جملة الخيم
وإن سألت عن علاليها وقصورها ؛ فهي) : " غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ " (الزمر: 20)
وإن سألت عن ارتفاعها ؛ فانظر إلى الكوكب الطالع، أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار
وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب
وإن سألت عن فرشها ؛ فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب
وإن سألت عن أرائكها ؛ فهي الأسرة مزررة بأزرار الذهب

وإن سألت عن أسنانهم ؛ فأبناء ثلاثة وثلاثين على صورة آدم -عليه السلام- أبي البشر.
وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنِهم ؛ فعلى صورة القمر.
وإن سألت عن سماعهم ؛ فغناء أزواجهم من الحور العين ، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيّين ، وأعلى منهما سماع خطاب ربَّ العالمين.
وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها ؛ فنجائبٌ أنشأها الله مما شاء ، تسير بهم حيث شاؤوا من الجنان.
وإن سألت عن حليهم وشاراتهم ؛ فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان.
وإن سألت عن غلمانهم ؛ فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.
وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنـزه عن التمثيل والتشبيه ، فكما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر ؛ كما تواتر بذلك الخبر عن الصادق المصدوق فاستمع يوم ينادي المنادي : "يا أهل الجنة، إن ربَّكم -تبارك وتعالى- يستزيركم ، فحيَّ على زيارته ، فيقولون : سمعاً وطاعة ، وينهضون إلى الزيارة مبادرين ، فإذا بالنجائب قد أعدتْ لهم ، فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جُعل لهم موعداً. وجُمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحداً ، أمر الرب -تبارك وتعالى- بكرسيه فنصب هناك ، ثم نصبت لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجدٍ ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، وجلس أدناهم -وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء– جلس أدناهم على كثبان المسك ، ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا ،

حتى إذا استقرتْ بهم مجالسهم ، واطمأنت بهم أماكنهم ، نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فيقولون : وما هو ؟ ألم يبيضْ وجوهنا ، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا عن النار ؟

فبينما هم كذلك ، إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الجبار -جل جلاله ، وتقدست أسماؤه-، قد أشرف عليهم من فوقه م، وقال : يا أهل الجنة : سلام عليكم ، فلا تُردّ هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلامُ، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام

فيتجلى لهم الرب -تبارك وتعالى- يضحكُ إليهم، ويقول : يا أهل الجنة ، فيكونُ أول ما يسمعون منه تعالى : أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ، ولم يروني ، فهذا يومُ المزيد ، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا ، فيقول : يا أهل الجنة ، إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي ، هذا يوم المزيد فسلوني ، فيجتمعون على كلمة واحدة : أرنا وجهك ننظر إليه ، فيكشف الرب -جل جلاله- الحجب، ويتجلى لهم ، فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله -سبحانه وتعالى- قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا) رواه مسلم/181 والترمذي/2552 وأحمد/18935

فيا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم ، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ) (القيامة: 22)

فهم في روضات الجنة يتقلبون ، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتمتعون ، وبأنواع الثمار يتفكهون.

عباد الله : هؤلاء هم أصحاب الجنة، هؤلاء هم أصحاب الحسنى وزيادة ، هل تريد أن تكون منهم ؟ هل تريد أن تعرف أوصافهم ؟

(كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)(الذاريات17:18)

(وفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (المعارج: 24: 25)

يصلون بالليل والناس نيام ، يصومون وغيرهم يأكل ، وينفقون وغيرهم يبخل ويقاتلون وغيرهم يتقاعس ويجبن !!

أولئك هم عباد الله ، حفظوا وصية الله ، ورعوا عهده ، بربهم يؤمنون ، وبربهم لا يشركون ، وهم من خشيته مشفقون ، استجابوا لربهم.

(وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) (فاطر: 29)

(يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) (المؤمنون: 60)

(يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) (الشورى:37)

(إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) (الأنفال: 2)

(عن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون) :إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) (المؤمنون /6:3)

(لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون : 8)

طالما تعبت أجسادهم من الجوع والسهر، واستعدوا من الزاد بما يكفي لطويل السفر

كثر استغفارهم ، فحطت خطاياهم ، وكل ما طلبوا من ربهم أعطاهم

فسبحان من اختارهم واصطفاهم !
إنهم عباد الله المخلَصون ، فيهم الشهيد المحتسب ، والعفيف المتعفف ، والضعيف المتواضع ، ذو الطمرين ، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره
أقوام يقطرون نزاهة ، أفئدتهم مثل أفئدة الطير، فيهم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
متحابون في جلال الله ، فيهم صاحب القرآن يقرأ ويرتل ويرتقي
وفيهم تارك المراء ولو كان محقا ، وتارك الكذب ولو كان مازحا
فيهم من أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام
(خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) (النازعات: 40)

عباد الله : هذه هي الجنة ، وهذا هو سبيلها ، فهل رأيتم أشد خسارة ممن يبيع الجنان العالية بحياة أشبه بأضغاث أحلام، يبيع الفردوس بدنياً قصيرة ، وأحوال زهيدة ، مشوبة بالنقص ، ممزوجة بالغصص حياة حقيرة ، إن أضحكت قليلا أبكت كثيرا ، وإن سرت أياما ، أحزنت دهور.
أي سفه وأي جنون ممن يبيع مساكن طيبة في جنات عدن بأعطان ضيقة ، وخراب بور ؟
فيا حسرة هذا المتخلف حين يعاين كرامة الله لأوليائه ، وما أخفى لهم من قرة أعين، فلسوف يعلم أي بضاعة أضاع
فاتقوا الله – عباد الله - وبادروا وشمروا ، واعملوا وأحسنوا وأبشروا

أيها المؤمنون الموحدون : لقد نودي على الجنة في سوق الكساد، فما قَلّب السلعة ولا انتبه لها ، إلا أفراد قليلة من العباد !!

فواعجبا: كيف نام طالبها ؟! وكيف لم يسمع بمهرها خاطبها ؟! وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها ؟! وكيف قر للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها ؟! وكيف قرت دونها أعين المشتاقين ؟! وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ؟! وكيف صُرفت عنها قلوب أكثر العالمين ؟! وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين ؟!

اللهم إنا نسألك الجنة وأن لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم.

عاشوراء ومقتل و الحسين

مقتل الحسين ويوم عاشــوراء : تاريخ وأحكام وتوطئة

قال الحافظ ابن كثير :

كل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتل الحسين رضي الله عنه، فانـه مـن سـادات المسـلمين، وعلمـاء الصـحابة وابـن بنت رسول الله التي هي أفضل بناته ، وقد كان عابداً وسخياً
ولكن لا يحسن ما يفعله الناس من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء
وقد كان أبوه أفضل منه فقتل ، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين ، فـان أبـاه قتـل يـوم الجمعـة وهوخارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضـان سـنة أربعـين (١٧ رمضـان سـنة ٤٠ هجري)، وكـذلك عثمـان،كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة، وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شــهر ذي الحجـة سـنة سـت وثلاثـين ، وقد ذبـح مـن الوريـد إلــى الوريد ، ولـم يتخـذ النـاس يـوم قتله مأتمـاً ، وكـذلك عمـر بنالخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي ، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القـرآن ، ولـم يتخـذ الناس يوم قتله مأتماً ، وكذلك الصديق كان أفضل منـه ولـم يتخـذ النـاس يـوم وفاتـه مأتمـاً ، ورسـول الله سـيد ولـدآدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء قبله، ولم يتخذ أحدٌ يوم موتهم مأتماً

- ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة ، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء وغير ذلك

معركة الطف ومقتل الحسين :

بلغ أهل العراق أن الحسين لم يبايع يزيد بن معاوية وذلك سنة ٦٠هـ، فأرسلوا إليه الرسل والكتب يدعونه فيهاإلى البيعة، وذلك أنهم لا يريدون يزيد ولا أباه ولا عثمان ولا عمر ولا أبا بكر، انهم لا يريدون إلا عليا وأولاده، وبلغت الكتب التي وصلت إلى الحسين أكثر من خمسمائة كتاب

عند ذلك أرسل الحسين ابن عمه مسلم بن عقيل ليتقصى الأمور ويتعرف حقيقة البيعة وجليتها، فلما وصلمسلم إلى الكوفة تيقن أن الناس يريدون الحسين ، فبايعه الناس على بيعة الحسين ، وذلك في دار هانئ بن عروة، فأرسل بالبيعة إلى الحسين، ويدعوه للقدوم إلى الكوفة .وجاء الحسيَنَ خبَرُ مسلم بن عقيل ، فانطلق الحسين يسير نحو طريق الشام نحو يزيد

ولما بلغ الأمر يزيد بن معاوية في الشام أرسل إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة ليعالج هذه القضية ، ويمنع أهل الكوفة من الخروج عليه مع الحسين ، ولم يأمره بقتل الحسين ، فدخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة وأخذ يتحرى الأمر ويسأل حتى علم أن دار هانئ بن عروة هي مقر مسلم بن عقيل وفيها تتم المبايعة

حاصر عبيد الله بن زياد مسلم بن عقيل وَمَن معه في دار هانيء بن عروة ، فاجتمع قرابة الأربعة آلاف رجل لنصرة

مسلم بن عقيل ، فاستطاعوا أن يفكوا الحصار عنه ، بل وانهزم رجال عبيد الله بن زياد وتراجعوا حتى حاصر مسلم بن عقيل قصر عبيد الله بن زياد بأربعة آلاف من مؤيديه وذلك في وقت الظهيرة ، ففاوض عبيد الله بن زياد الرجال الملتفين حول مسلم بن عقيل دون أن يشعر ، وخوفهم بجيش الشام ، ورغبهم بأموال ، ويعدهم بالعفو لو انصرفوا ويتوعدهم بالقتل إذا ثبتوا ، فصاروا ينصرفون عنه واحداً تلو الآخر ، حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلاً فقط. وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده ليس معه أحد. فقبض عليه عبيد اللهبن زياد وقتله.

وفي تلك الأثناء كان الحسين قد خرج بالفعل من المدينة المنورة ، يريد الكوفة

استوقف جيش عبيد الله بن زياد الحسين عند قرية كربلاء، وكان بقيادة عمرو بن سعد ، وفي الجيش شمر بنذي الجوشن، وحصين بن تميم، فعلم الحسين الخديعة التي أوقعه فيها شيعة العراق فنزل يناشد جيش عبيد الله بن زياد الله والإسلام في أن يختاروا إحدى ثلاث : أن يسيِّروه إلى أمير المؤمنين (يزيد بن معاوية) فيضعيده في يده ليبايعه (لأنه يعلم أنه لا يحب قتله)، أو أن ينصرف من حيث جاء (إلى المدينة) أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله (رواه ابن جرير من طريق حسن) فقالوا : لا إلا على حكم عبيد الله بن زياد

- وحدثت بعض المناوشات المتفرقة بين الجانبين ، فما لبث الأمر أن انقلب إلى معركة كاملة ، ولا شك أنالمعركة كانت

غير متكافئة من حيث العدد، فقتل أصحاب الحسين (رضي الله عنه وعنهم) كلهم بين يديه يدافعون عنه حتى بقي وحده وكان كالأسد ، ولكنها الكثرة، حتى قام رجل خبيث يقال له شمر بن ذي الجوشن

فرمى الحسين برمحه فأسقطه أرضاً فاجتمعوا عليه وقتلوه شهيداً سعيداً . ويقال أن شمر بن ذي الجوشن هو الذي اجتز رأس الحسين ، وقيل سنان بن أنس النخعي والله أعلم

- ولا شك أنها قصة محزنة مؤلمة، وخاب وخسر من شارك في قتل الحسين ومن معه وباء بغضب من ربه

وللشهيد السعيد ومن معه الرحمة والرضوان من الله ومنا الدعاء والترضي

الحكم الشرعي في خروج الحسين :

لم يكن في خروج الحسين رضي الله عنه مصلحة ، ولذلك نهاه كثير من الصحابة وحاولوا منعه ولكنه لم يرجع ، وبهذاالخروج نال أولئك الظلمة الطغاة من سبط رسول الله حتى قتلوه مظلوماً شهيداً. وكان في خروجه وقتله من الفساد مالم يكن يحصل لو قعد في بلده، ولكنه أمر الله تبارك وتعالى، وما قدره الله كان ، ولو لم يشأ الناس.

روى مسلم في صحيحه عَنْ عَرفَجَةَ بْنِ شُرِيحٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ :] أَريتُ النبي َصَلى الله عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ الناس، فَقَالَ : إِنَّه سَيَكُوْنُ بَعْدِي هَنَاْتٌ وَهَنَاْتٌ ، فَمَنْ أريْتُمُوْهُ فَارَقَ الْجَمَاَعَةَ ، أَوْ يُرِيدُ يُفَرِق أَمْرَ به محمد َصَلى اللَّه عَلَيْهِ وسَلم كَائِنًا مَنْ كَان فَاقْتُلوه ، فَإِنَّ يَدَ الله عَلَى الْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّ الشيطان مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعة يَرْكض [

وقتل الحسين ليس هو بأعظم من قتل الأنبياء وقد قُدّم رأس يحيى عليه السلام مهرا لبغي ، وقتل زكريا عليه السلام، وكثير من الأنبياء قتلوا كما قال تعالى : "قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين" (آل عمران ١٨٣)

وكذلك قتل عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

ولذا كان الكثير من الصحابة قد حاول منع الحسين من الخروج من المدينة إلى الكوفة !!

هذا ابن عمر يقول للحسين : (إني محدثك حديثا : إن جبريل أتى النبي فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ، وإنك بضعة منه، والله لا يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم ، فأبى أن يرجع ، فاعتنقه وبكى ، وقال : استودعك الله من قتيل)

وروى سفيان الثوري بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال للحسين في ذلك : (لولا أن يزري – يعيبني ويعيرني- بي وبك الناس لشبثت يدي من رأسك فلم أتركك تذهب)

وقال عبد الله بن الزبير له : (أين تذهب ؟ إلى قوم قتلوا أباك ، وطعنوا أخاك)

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : (عَجّل الحسين قدره ، والله لو أدركته ما تركته يخرج إلا أن يغلبني) (رواه يحيى بن معين بسند صحيح)

مغالطات الشيعة في قصة مقتل الحسين :

قصة منع الماء عن الحسين وأتباعه : وأنه مات عطشاناً ، وغير ذلك من الزيادات التي إنما تذكر لدغدغة المشاعر فلا يثبت منها شيء. وما ثبت يغني

ما روي من أن السماء صارت تمطر دما أو أن الجدار كان يكون عليها الدم، أو ما يرفع حجر إلا و يوجد تحته دم ، أو ما يذبحون جمالا إلا صار كله دما فهذه كلها أكاذيب تذكر لإثارة العواطف ليس لها أسانيد صحيحة. وكل هذا من سخف الشيعة وكذبهم ليستغلوا الحادثة استغلالاً سياسياً ودينياً ليحققوا من ورائه مكاسب

وقد وقع في تاريخ الأمة الإسلامية ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه، فإنه قد قتل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب ومات أبو بكر، وكلم خير من الحسين بن علي، ومن قبلهم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه ، ويوم مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس: خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف (وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لاينخسفان لموت أحد ولا لحياته) !!

موقف يزيد بن معاوية من قتل الحسين :

أولاً: لم يكن ليزيد بن معاوية يد في قتل الحسين ولا نقول هذا دفاعا عن يزيد ولكن دفاعا عن الحق. قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن

يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل ، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق) ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره، ولم يسب لهم حريماً ، بل أكرم أهل بيته ، وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم، وأما الروايات التي تقول إنه أهين نساء آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنهن أخذن إلى الشام مسبيات وأنّ هناك ؛ هذا كلام باطل ، بل كان بنو أمية يعظمون بني هاشم ، ولذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف من فاطمة بنت عبد الله بن جعفر في زيجة شابها الإكراه وخوف أوليائها من بطشة الحجاج إن هم رفضوه ؛ لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر ، بل أمر الحجاج أن يعتزلها فور أن يأتيه كتابه ، وأن يطلقها ، وأن يحسن متعتها ، فهم كانوا يعظمون بني هاشم ولم تسب هاشمية قط)

وعندما جيء ابن زياد بنساء الحسين إليه وأهله ، وكان أحسن شيء صنعه أن أمر لهن بمنزل من مكان معتزل، وأجرى عليهن رزقاً وأمر لهن بنفقة وكسوة (رواه ابن جرير بسند حسن)

وقال عزت دروزة المؤرخ : (ليس هناك ما يبرر نسبة قتل الحسين إلى يزيد ، فهو لم يأمر بقتاله ، فضلاً عن قتله ، وكلما أمر به "أن يحاط به ، ولا يقاتل إلا إذا قاتل")

وقال ابن كثير : (والذي يكاد يغلب على الظن أن يزيد لو قدر عليه قبل أن يُقتل لعفا عنه كما أوصاه بذلك أبوه ، وكماصرح هو به مخبرا عن نفسه بذلك)

من قتل الحسين ؟

أهم أهل السنة ؟ أم معاوية ؟ أم يزيد بن معاوية ؟ أم من ؟

إن الحقيقة المفاجئة أننا نجد العديد من كتب الشيعة تقرر وتؤكد أن شيعة الحسين هم الذين قتلوا الحسين **فقد قال السيد محسن الأمين** : (بايع الحسين عشرون ألفاً من أهل العراق غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه) (كتاب أعيان الشيعة ١:٣٤)

وكان الحسين يناديهم قبل أن يقتلوه : (ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، وأنما تقدم على جند مجندة ؟ تباً لكم أيهاالجماعة حين استصرختمونا ، فشحذتم علينا سيفاً كان بأيدينا ، وحششتم نارا أضرمناها على عدوكم وعدونا ، فأصبحتم يداً لأعدائكم. استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الذباب ، وتهافتم إلينا كتهافت الفراش ، ثم نقضتموها سفهاً ، بعداً لطواغيت هذه الأمة) (كتاب الاحتجاج للطبرسي)

ونادهم الحر بن يزيد - أحد أصحاب الحسين - وهو واقف في كربلاء فقال لهم : (أدعوتم هذا العبد الصالح ، حتى إذا جاءكم أسلمتموه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه فصار كالأسير في أيديكم ؟ لا سقاكم الله يوم الظمأ) (الإرشاد للمفيد ٢٣٤، إعلام الورى بأعلام الهدى: ٢٤٢).

وهنا دعا الحسين على شيعته قائلاً : (اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقا (أي شيعاً وأحزابا) ، واجعلهم طرائق قددا ، ولا ترض الولاة عنهم أبدا ، فإنهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا فقتلونا) (كتاب الإرشاد للمفيد ٢٤١، إعلام الورى للطبرسي ٩٤٩، كشف الغمة ٢:١٨و٣٨)

ويذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه أنه لما دخل علي بن الحسين الكوفة رأي نساءها يبكين ويصرخن فقال :
(هؤلاء يبكين علينا ؟ فمن قتلنا ؟) أي من قتلنا غيرهم **(تاريخ اليعقوبي ١:٢٣٥)**

ولما تنازل الحسن بن علي لمعاوية وصالحه، نادى أهل الكوفة – وهم شيعة الحسين الذين قتلوا الحسين وغدروا به -قائلاً : (ياأهل الكوفة : ذهلت نفسي عنكم لثلاث : مقتلكم لأبي ، وسلبكم ثقلي ، وطعنكم في بطني ، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا وأطيعوا ، فطعنه رجل من بني أسد في فخذه فشقه حتى بلغ العظم) **(كشف الغمة ٥٤٠، الإرشاد للمفيد ١٩٠، الفصول المهمة ١٦٢، مروج الذهب للمسعودي ١:٤٣١)**

فهذه كتب الشيعة بأرقام صفحاتها تبين بجلاء أن الذين زعموا تشييع الحسين ونصرته هم أنفسهم الذين قتلوه ، ثم ذرفوا عليه الدموع، وتظاهروا بالبكاء ، ولايزالون يمشون في جنازة من قتلوه إلى يومنا هذا ، ولو كان هذا البكاء يعكس شدة المحبة لأهل البيت فلماذا لا يكون البكاء من باب أولى على حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن الفظاعة التي قتل بها لا تقل عن الطريقة التي ارتكبت في حق الحسين رضي الله عنه ، حيث بقر بطن حمزة ، واستؤصلت كبده ، فلماذا لايقيمون لموته مأتماً سنوياً يلطمون فيه وجوههم ويمزقون ثيابهم ، ويضربون أنفسهم بالسيوف والخناجر ؟ أليس هذا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ بل لماذا لا يكون هذا البكاء على موت النبي صلى الله عليه وسلم فإن المصيبة بموته تفوق كل شيء ؟ أم أن الحسين أفضل من جده لأنه تزوج ابنة كسرى الفارسية ؟

أين أرس الحسين ؟

لم يثبت أن أرس الحسين أرسل إلى يزيد بالشام ، بل الصحيح أن الحسين قتل في كربلاء ، وُأخِذَ رأسه الشريف إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة ، فجعل في طست، فجعل ينكت عليه ، وقال في حسنه شيئاً ، فقال أنس بن مالك : (إنه كان أشبههم برسول الله) رواه أحمد/13748 والترمذي/3778

وفي رواية قال : (إرفع قضيبك، فقد أريت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثم حيث تضع قضيبك فانقبض) رواه البزار والطبراني، كما في الفتح(٧/٩٦)

ولا يعلم قبر الحسين ، ولا يعلم مكان رأسه !!!!

الجزاء من جنس العمل :

لما قُتل عبيد الله بن زياد على يد الأشتر النخعي، جيء برأسه فنصب في المسجد، فإذا حية قد جاءت تخلل حتدخلت في منخر ابن زياد وخرجت من فمه، ودخلت في فمه وخرجت من منخره ثلاثا (رواه الترمذي ويعقوب بن سفيان)

كيف نتعامل مع هذا الحدث : ؟؟!

أولاً : لا يجوز لمن يخاف الله إذا تذكر قتل الحسين ومن معه رضي الله عنهم أن يقوم بلطم الخدود وشق الجيوب والنوح وما شابه ذلك :

1 - قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب) أخرجه البخاري/1297 ومسلم/ 103

2 - قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن النائحة إذا لم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار) أخرجه مسلم/934 وابن ماجة/1581 واللفظ له

ثانياً : وما علم أن آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولا ثبت عن غيرهم من أئمة الهدى أنهم لطموا الخدود أو شقوا الملابس أو ضربوا الصدور أو ضربوا أبدانهم بالسياط أو الجنازير أو جرحوا أنفسهم بالسيوف أو صاحوا

إنّ النياحة واللطم وما أشبهها من أمور ليست عبادة وشعائر يتقرب بها العبد إلى الله، وما يُذكر عن فضل البكاء في عاشوراء غير صحيح، إنما النياحة واللطم أمر من أمور الجاهلية التي نهى النبي عليه الصلاة والسلام عنها وأمر باجتنابها.

والطامة الكبرى أن تجد كثيرا من مشايخ الشيعة بل من مراجعهم الكبار يستدلون بقوله تعالى "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" على ما يُفعل في عاشوراء من نياحة ولطم وسب وشتم لخلق الله ولصحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويعتبرون هذا من شعائر الله التي ينبغي أن تُعظم ومن شعائر الله التي تزداد بها التقوى !

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

كسوف الشمس وخسوف القمر

(آيات وعظات)

عباد الله :
لابد أن يعلم المسلم أن الكون بإنسه وجنّه وسمائه أرضه وكواكبه ونجومه ومخلوقاته ما علمنا منها وما لم نعلم، إنما هي مسخرة بأمر الله يتصرف فيها كيف يشاء سبحانه، ولا معترض عليه
والمسلم بما يحمل من عقيدة التوحيد ، يعلم أن الضر والنفع بيد الله، وأن ما يجري من زلازل وبراكين وأمطار وأعاصير ورياح وكسوف وخسوف إنما هي بقدر من الله لحكمة يريدها الله، علمها البشر أو غابت عنهم. ويعلم المسلم أيضاً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الواجب عليه عند حلول المصيبة أن يصبر ويحتسب
فالمسلم دائماً يتأثر قلبه بالآيات الكونية التي يراها ماثلة أمام عينيه ، وهذه الآيات تذكره بالله وتحيي قلبه وتجدد الإيمان فيه ، وتجعله متصلاً بالله ذاكرًا له ، شاكرًا لنعمه، مستجيرًا بالله من نقمته وسخطه

عباد الله :، إن مما يحزن له المسلم أن يجد بعض المسلمين ينسى مثل هذه الحقائق الإيمانية العظيمة في خضم الأحداث التي قد تفجأْه ، فترى البعض ينسب مثل هذه الأحداث الكونية إلى الطبيعة ناسياً أو متناسياً قدرة الله العظيمة أو متأثرًا باللوثة المادية وأن الطبيعة تخبط خبط عشواء ـ زعموا ـ أو يكون متبعاً للدراسات والتقارير التي تصدر عن الجهات التي لا تقيم للدين وزناً ، فتجد إحدى الصحف التي يشر فعليها أناس من أهل الإسلام تقول في تغطيتها لأحداث

الزلزال الذي أصاب تركيا : (قصد كثير من الأوربيين اسطنبول لمشاهدة الكسوف ففاجأتهم الطبيعة بمظهر آخر من مظاهرها الخارقة والفتاكة في آن واحد) انتهى.

فالكاتب يعزو ما حصل من المظهر الأول وهو الكسوف والمظهر الثاني وهو الزلزال إلى الطبيعة ، ولك أن تتأمل في ذلك

فها هنا وقفتان ، كل وقفة مع ظاهرة: الأولى : كسوف الشمس

أيها المسلمون : إننا نحن المسلمين ، نقر بأن لهذه الظواهر الكونية أسباباً طبيعية وأن أهل الفلك يستطيعون معرفة وقوعه قبل وقوعه ، عن طريق حسابات دقيقة ويحدد باليوم والساعة والدقيقة ، ونقر أيضاً ونعتقد بأن لهذه الظواهر أسباباً شرعية أيضاً وهي المهمة ، وأنها ابتلاءات يخوف الله بها عباده ، من عاقبة ما يفعلون ، ومن جرم ما يرتكبون ، جعلها الله أسباباً لنستيقظ من غفلتنا ، ولنحاسب أنفسنا ولنلتفت إلى واقعنا ، فنحدث بعدها توبة، ونصحح ما عّنّ فيه من أخطاء.

إن ذهاب نور الشمس والقمر كله أو بعضه أيها الأحبة ، ما هو إلا إنذار وتذكير للعباد ليقوموا بما يجب عليهم من أوامر الله ، ويبتعدوا عما حرم عليهم من نواهي. ولذلك كثر الخسوف في هذا العصر عما كان عليه الحال فيما مضى، فلا تكاد تمضي السنة حتى يحدث كسوف أو خسوف في الشمس أو القمر أو فيهما جميعاً، وذلك لكثرة المعاصي والفتن في هذا الزمن مع أنه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحصل إلا مرة واحدة لقد انغمس أكثر الناس في شهوات الدنيا ونسوا أهوال الآخرة ، أترفوا أبدانهم ، وأتلفوا أديانهم ، أقبلوا على الأمور المادية المحسوسة، وأعرضوا عن الأمور الغيبية الموعودة، التي هي

المصير الحتمي والغاية الأكيدة (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) [الذاريات : ٦٠]

عباد الله : في الأيام الماضية كثر الكلام والتنبؤات التي طغت على الإعلام العالمي بأجمع ، ولم يكن الإعلام الإسلامي ظاهرًا، ولكنه كان غائباً حقيقةً ومنهجاً ، فكان تبعاً للإعلام الغربي يردد ما يقول حرفياً دون أن تظهر السمة الإسلامية في التحليل والمتابعة ـ إلاّ من رحم الله وقليل ما هم ـ، لقد تحولت ظاهرة الكسوف في ظل هذا الإعلام إلى احتفالات وموسم للسياحة الداخلية والخارجية ، وتحول الخوف والفزع والتذكر والاتعاظ الذي ينبغي أن يصاحب مثل هذه الآية العظيمة إلى شيء آخر، أنسانا مثل هذه المفاهيم ، ولعل جولة في الصحافة الداخلية والخارجية تعطي الإنسان دليلاً واضحاً على ما نقول ، وأصبح الخوف والفزع الذي يجب أن يعصر القلوب، تحول إلى خوف على العيون أن لا يصيبها داء الكسوف ، ولست أقلل هنا من الآثار التي قد تنجم من النظر إلى الشمس وهي في كسوفها ، ولكن أشير إلى أن الأمر تحول عن الخوف الأساسي إلى خوف سمه (فرعياً) وليت الذين كتبوا عن النظر إلى الكسوف كتبوا بنفس القدر عن الحكمة الأساسية من وراء الكسوف والخسوف ، وهي أنهما آيتان يخوف الله بهما عباده

نشرت جريدة الحياة في أحد أعدادها مقالاً لكاتب سخيف وهو يعلق على ظاهرة الكسوف فيقول : إذا خرجت ورأيت الكسوف وأصابك الفزع والخوف فخذ نفساً ـ هكذا فخذ نفساً ـ كتم الله نفسه، أين هدي النبي صلى الله عليه وسلم حال الكسوف؟ ولماذا تشوه عقائد الناس

إلى هذه الصورة الممجوجة ؟ وسمعنا بأنه قد تم بيع نظارات على البُله من الناس لحماية أعينهم من الكسوف وصلت إلى ألف جنيه !!

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمّا كسفت الشمس على عهده خرج فزعاً يجر رداءه مستعجلاً يخشى أن تكون الساعة

جاء في رواية مسلم أنه من فزعه صلى الله عليه وسلم أخطأ فخرج بدرع بعض نسائه لظنه رداءه حتى أدركوه بالرداء

قال ابن حجر : يعني أنه أراد لبس ردائه فلبس الدرع من شغل خاطره بذلك وكان يوماً شديد الحر حتى أتى المسجد ونودي بالصلاة جامعة ، فصلى بهم صلاة طويلة ، وُسُمع وهو في سجوده يقول : (رب ألم تعدني أن لا تعذبهم وأنا فيهم ، ألم تعدني أن لا تعذبهم وهم يستغفرون)

ثم خطب الناس كما في صحيح البخاري/1046 ومسلم /901 من رواية عائشة وأبي بكرة ووعظهم موعظة بليغة ، وبيّن أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا للصلاة ، فافزعوا إلى المساجد فافزعوا إلى ذكر الله ودعائه واستغفاره)

وفي رواية : (فادعوا وتصدقوا وصلوا)

ثم قال : (يا أمة محمد ، والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته، يا أمة محمد : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ، وأيم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لا قوة من أمر دنيا كم وآخرتكم ، ما من شيء لم أكن رأيته إلا رأيته في مقامي هذا ، حتى الجنة والنار

رأيت النار يحطم بعضها بعضاً ، فلم أري كاليوم منظرًا قط أفظع منه ، ورأيت فيها عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه ، ورأيت فيها

امرأة تعذبني هرة لها ، ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ، ولقد رأيتكم تفتنون في قبوركم كفتنة الدجال ، يؤتى أحدكم فيقال : ما علمك بهذا الرجل، فأما المؤمن فيقول : محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا ، وآمنا واتبعنا ، فيقال : نم صالحاً ، وأما المنافق فيقول : لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، ثم ذكر الدجال وقال: لن تروا ذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم، وحتى تزول جبال عن مراتبها ، ثم قال : ثم جيء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ، ولقد مددت يدي فأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل)

إلى آخر تلك الخطبة العظيمة البليغة الجامعة. فأين نحن من ذلك كله ، وقد أحلنا ظاهرة الكسوف إلى احتفال كرنفالي عجيب ؟!

فيا أيها المسلمون : هل تظنون أن فزع النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه إلى المسجد ثم الصلاة ثم بعدها تلك الخطبة وما حصل له فيها من أحوال هل كل ذلك يكون لأمر عادي ، لا والله. إنه لا يكون إلا لأمر عظيم مخيف. فعلينا في مثل هذه الأحوال ، أن نفزع كما فزع نبينا صلى الله عليه وسلم وأن نلجأ إلى مساجد الله للصلاة والدعاء والاستغفار وأن نتصدق لندفع عن أنفسنا البلاء وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعتاق في كسوف الشمس لأن عتق الرقبة فكاك للمعتق من النار، فأسباب البلاء والانتقام بسبب فعل العباد ، عند حدوث الكسوف أو الخسوف قد انعقدت ، والفزع إلى الصلاة والصدقة، يدفع تلك الأسباب.

فإلى متى أيها الأحبة نسلم عقولنا وعقائدنا ومسلماتنا للإعلام ، قد تجد عذرًا لبعض الناس عندما يضحك عليهم الإعلام في قضايا سياسية :

أو تحليلات واقعية أو يعطي بعض المعلومات الخاطئة أو الإحصائيات المزيفة، لكن أن يصل إلى درجة العبث بمسلمات ثابتة من الدين ثم ينطلي هذا على الناس ، هذا هو الذي يدمي القلب ، فكفانا غفلة أيها الأحبة عن سنن الله في كونه وما يحدث فيها من تقلبات ، وإن لم نكن على وعي تام ومعرفة بأساليب العلمانيين وكتاباتهم فنخشى أن تغير مسلماتنا ونحن لا نشعر

روى البخاري/6092 ومسلم/899 عن عائشة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف في وجهه ، فقالت عائشة رضي الله عنهما : يا رسول الله ، أرى الناس إذا رأوا غيماً فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية ، فقال : (يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذب قوم بالريح ، وقد رأى قوم العذاب فقالوا : هذا عارض ممطرنا)

عباد الله : والشيء بالشيء يذكر ، فمن المسلّمات التي يسعى لتغييرها وتهوين شأنها عند الناس زيارة ديار المعذبين. الذي أمر به الشرع أن يهتز قلب المسلم تأثرًا وأن تسيل دموعه تذكرًا ، وهو يمر بديار المعذبين ، ذلك أنه يستشعر الرهبة وهو يمر على الديار التي طغت وتجبرت وعاندت واستكبرت حتى استحقت أن ينزل عليها غضب الرب تبارك وتعالى، ينبغي أن يتأثر وهو يمر بمواقع الخسف والعذاب وقبور المشركين،

روى البخاري/3380 كتاب الصلاة عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تدخلوا على هؤلاء الْمُعذبين إلاّ أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم أن يُصيبكم ما أصابهم)

وفي البخاري/433 عن ابن عمر أن النبي عليه الصلاة والسلام لَمّا مر بالحجر قال : (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلاّ أن تكونوا باكين: أن يصيبكم ما أصابهم ، ثم قنع بردائه وهو على الرحل)

وفي رواية سالم بن عبد الله عن ابيه في البخاري/3381: (ثم قنّع رأسه و أسرع السير، حتى أجاز الوادي) وفي رواية مسلم/2980 : (ثم زجر فأسرع حتى خلفها)

والمقصود بالحجر هنا هي مدائن صالح الذين كان يسكنها قوم ثمود

قال ابن حجر : "إن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار ، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء ، مما وقع فيه أولئك من الكفر ، مع تمكين الله لهم في الأرض، وإمهالهم مدة طويلة ، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه ، وهو سبحانه مقلب القلوب ، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك". وقال : " فمن مر عليهم ، ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم ، فقد شابههم في الإهمال، ودل على قسوة قلبه ، وعدم خشوعه، فلا يأمن أن يجره ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم " (انتهى).

ومع الأسف أمام هذه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أن البعض لازال يدعو إلى فتح أبواب السياحة إلى

مثل هذه المناطق وتحويلها إلى مزارات ومناطق احتفالات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

إن هذه الأرض التي نعيش عليها من نعم الله الكبرى ، فإن الله سبحانه وتعالى قد مكننا من هذه الأرض ، نعيش على ظهرها وندفن موتانا في باطنها

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلأرض كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَٰتاً﴾ المراسلات: ٢٥، ٢٦]

وقال تعالى: ﴿ مِنْـهَا خَلقْنـكُم وَفِيهَا نعيدكم وَمِنْـهَا نخرجُكمْ تارةً أخري [طه:٥٥]

وقال تعالى " فِيهَا تحيون وَفِيهَا تمُوتوَنَ وَمِنْـهَا تخْرجُوْنَ " [الأعراف:٢٥]

وقال تعالى : وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) [الأعراف:١٠]

وقال تعالى هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15) [الملك:١٥]

والآيات في هذا كثيرة

ومن رحمته أنه جعلها ثابتة مستقرة لا تتحرك وأرساها بالجبال حتى نتمكن من البناء عليها والعيش على ظهرها، وفي بعض الأحيان يجعل الله عز وجل هذه الأرض جنداً من جنوده ، فتتحرك وتميد وتحصل الزلازل المدمرة تخويفاً للعباد وتـأديباً للبعض الآخر (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ) [المدثر:٣١]

فهذه الزلازل لا شك عندنا نحن المسلمين أنها عقوبات ربانية من الله على ما يرتكبه العباد من الكفر والفسوق والعصيان ، كما قال بعض السلف لما زلزلت الأرض : إن ربكم يستعتبكم

ولما وقع زلزال بالمدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قام فيهم خطيباً ووعظهم وقال : لئن عادت لا أساكنكم فيها .!!
لعلم عمر بأن ما حصل ما هو إلا بسبب ذنوب الناس، وأن هذا تهديد وعقوبة من الله عز وجل. وما يقوله بعض المتحذلقين من الجغرافيين والعلمانيين بأن هذه الزلازل ظواهر طبيعية لها أسباب معروفة ، لا علاقة لها بأفعال الناس ومعاصيهم، حتى صار الناس لا يخافون عند حدوثها ولا يعتبرون بها ، فيستمرون في غيهم وبغيهم ولا يتوبون من كفرهم ومعاصيهم كلام باطل .!!
إن الكتاب والسنة يدلان على أن هذه الزلازل كغيرها من الكوارث إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدرة من الله سبحانه على العباد لذنوبهم قال الله تعالى: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا " [الإسراء:١٦].
عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَ صَلى الله عَلَيه وَسلم قَالَ: (فِي هَذِهِ الْأُمَّة خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقذْفٌ)) فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : يا رَسُولَ الله وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَال : إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وشربت الْخُمُورُ) الترمذي / 2212 أبواب الفتن
وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلم : (يَكُونُ في آخر الْأُمة خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ) قَالتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَنَهْلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا ظَهَرَ الْخُبْث) صححه الترمذي/2185 في أبواب الفتن
وهل يشك عاقل بظهور الخبث وفشوه وانتشاره. ؟؟!!
إن بلاداً من بلاد الله الواسعة ، كانت قائمة شاخصة، فظلم سكانها أنفسهم ، فحل بهم أمر الله وسنته (وكمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ

مَعِيشَتَـهَا فَتِلَكَ مَسَـٰكِنُـهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَـعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِيَنَ) [القصص:٥٨].

لقد عمّ قوم نوح الغرق ، وأهلكت عاداً الريح العقيم ، وأخذت ثمود الصيحة، وقلبت على اللوطية ديارهم ، فجعل الله عاليها سافلها ، وأمطر تلكم الذنوب، وتلكم عواقبها وما هي من الظالمين من أمثالنا ببعيد. ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها ، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، ولا تخلخلت في دولة إلا أسقطتها. إنه ليس بين أحد وبين الله نسب ، ولا يعني أن أقواماً أو مجتمعات لم يصبها شيء أنها على الاستقامة كلا ، ولكن الله يمهل حتى يعتبر الناس ولا يهمل ، والعقوبات الربانية تختلف فقد يكون زلزالاً وقد يكون حروباً وقد يكون تدهورًا في الإقتصاد وسوء للأوضاع المالية

وإن من المؤسف ـ يا عباد الله أن نغفل عن هذه السنن ، حتى رأينا ذلك أمراً طبعَيًا مجرداً ، لايهتز له جنان ولا تذرف له عينان ، وما أضيبنا بذلك إلا بسبب قسوة قلوبنا وما تراكم من الذنوب نشاهد هذه الآية العظيمة، فلا تتحرك القلوب ، ولا يفزع إلى الصلاة وذكر الله إلا القلة من الناس ، وما ذاك إلا بسبب الإقامة على اللهو الحرام والاجتماع على الموائد الآثمة ، حتى ضعف بسبب ذلك اليقين ، وامتلأت القلوب بالشكوك، تمكنت منها الشياطين فباضت فيها وفرخت

يا من تظن أن هذه الآية لا علاقة لها بذنوب العباد ، وأنها أمور طَبيعية ، سببها التقاء القمر بين الأرض والشمس ، وتستدل لذلك

بمعرفة الفلكيين له قبل حدوثه وتحديدهم له بالساعة والدقيقة ابتداء وتوسطاً وانتهاءا .

فلتعلم أن الذي قدر الأسباب هو الله ، فمن الذي جعل القمر يحول دون ضوء الشمس ؟ من يقدر على هذا إلا الله ! من الذي يسير هذه الأفلاك ؟! من الذي يحفظ توازن الكواكب ويقدر على انتظام سيرها إلا الله !

إن الشك في ذلك خلل في توحيد الربوبية فضلا عن توحيد الألوهية ، ثم إن الله تبارك وتعالى لا يقدر إلا لحكمة، فهو الحكيم العليم، وحكمة ذلك تخويف العباد بنص كلام المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والمؤمن العاقل يستطيع أن يجمع بين السبب الشرعي والسبب الكوني، فيعلم علم اليقين أن الله هو الذي قدر ذلك لحكمة معلومة من نصوص الشريعة.

عباد الله : إن ذلك يدعونا لمعرفة سعة رحمة الله بعباده وفضله عليهم، يرسل لنا النذر، ويرينا الآيات، لعلنا نستيقظ من الغفلة ، لعلنا نحاسب أنفسنا على التقصير في جنب الله ، لعلنا نصحح واقعنا ونتوب من ذنوبنا، يمهلنا ويذكرنا حتى لا يأخذنا على حين غرة.

عباد الله : إن الذنوب والآثام ظلمات بعضها فوق بعض ، بها تزول النعم، وتحل النقم ، وتتحول العافية ، وبها يستجلب السخط . فلنخف من الله ولنستحي منه ولنأخذ أنفسنا بالعزيمة على الرشد والبعد عن الغي ، ولنصغِ لداعي الله ، ولنستمع لكلام الناصحين والواعظين ولنتق الله في السر والعلن ، وغاروا ـ عباد الله ـ على حرمات الله ، يسلم لكم دينكم وعرضكم ، وتأمنوا من عذاب الله ومكره.

أيها المسلمون : أذاعت وسائط الإعلام قبل ذلك ما تنبأ به الفلكيون - وأنباؤهم تخطئ وتصيب - من احتمال حدوث كسوف الشمس في صباح يوم الأربعاء القادم ، فلذلك أستغل هذه الفرصة لأشرح لكم ما ينبغي أن تعلموه من شأن هذه الآية العظيمة ، آية الكسوف ، وما يشرع لنا فعله عند حدوثها.

أيها المسلمون : مِن رحمة الله بالعباد أن يرسل من حين إلى آخر ببعض الآيات الدالة على عظمته ورب وبيته وجلاله ليثوب الناس إليه بعد طول فتور، وليخافهُ المذنبون بعد غفلة وغرور ، وليُقْلع أهل الشرِّ عن جميع الشرور.

قال قتادة : إن الله تعالى يخوّف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون.

و ذُكر لنا أن الكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال: (يا أيها الناس، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه)

و هكذا روي أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات **فقال عمر :** (أحدثتم. والله، لئن عادت لأفعلّنّ ولأفعلّنّ.) فالحكمة من إرسال الله بالآيات تخويف العباد لعلهم يرجعون. والناس عند حدوث الآيات أصناف ثلاثة:

فمنهم الجاحدون المكذبون كما جحد فرعون وقومه بالآيات التي جاء بها موسى عليه السلام

وقد قال عكرمة : قيل لابن عباس : ماتت فلانة بعض أزواج النبي ، فخرَّ ساجِدًا، فقيل له : تسجد هذه الساعة ؟! فقال : قال رسول الله : (إذا رأيتم آية فاسجدوا)

وأيُّ آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ؟! رواه أبو داود بسند حسن

عباد الله :

فما سرُّ الكسوف ؟ علماء الفلك والطبائعيون لا يملكون جوابًا على هذا السؤال.

وغاية ما عندهم هو تفسير طبيعة ما يجري وكيفية وقوع ذلك فقط ، فيقولون : حين يقع القمر بين الأرض والشمس ويكون الجميع في مستوى خط واحد فإنَّ ظلَّ القمر القاتم يمتدُّ خلفه على وجه الأرض في شكل مخروط ، حيث ينتهي ببقعة سوداء على سطح الأرض يبلغ عرضها قريبًا من مائتي كلم ، ويسير سيْرًا بطيئًا على المناطق الحارة ... إلى آخر تلك الشروح العلميّة القائمة على المعاينة والنظر.

ولكن لماذا يحدث ذلك ؟ وبأمر من ؟ فهذا ما يعجز العلم عن الجواب عليه ، وإنَّ ما يُعرف ذلك من جهة الوحي ؛ لأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله ، وقد علمنا من جهة الوحي سرَّ ذلك فاسمعوا.

وقد بين النبي هذه العلة في خصوص كسوف الشمس، وردَّ على الذين ظنوا أنها كسفت لموت ابنه إبراهيم ،: -

ففي صحيح البخاري /1060 ومسلم/915 عن المغيرة بن شعبة قال : كسفت الشمس على عهد رسول الله يوم مات إبراهيم، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال رسول الله : (إنَّ الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا الله)

وعن أبي موسى الأشعري قال : خسفت الشمس في زمن النبي ، فقام فزعا يخشى أن تكون الساعة ، حتى أتى المسجد فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود ما رأيته يفعله في صلاة قّطّ ، ثم قال : (إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله

يرسلها يخوف بها عباده ، فإذا رأيتم منها شيئا فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره) رواه البخاري/1059 والنسائي/1503

وعن أبي بكرة قال : قال رسول الله : (إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ، ولكنَّ الله تعالى يخوِّ ف بها عباده) البخاري/1040

وهذا لا يتعارض مع تفسير الفلكيين ، لأنَّ الفلكيين بما يتوفر لهم اليوم من أدوات الحساب الدقيقة يمكنهم أن يطلعوا على كلِّ كسوف حصل في الماضي ، ويحصل في المستقبل، وليس ذلك من التنجيم كما ظنه بعض القدماء من علمائنا ، فالفلكيون إنَّ ما يتعرَّ ضون للجانب المشهود ، وفي الوحي بيانٌ للجانب الغيبي ، وهو العلة والحكمة من وقوعه ، فلا تعارض بين الأمرين ،

وقد بيّن هذا أبو حامد الغزالي وابن دقيق العيد وابن السبكي وغيرهم رحمهم الله.

والخلاصة : إنَّ هذه الآيات يجب أن تحدث فينا الخوَفَ من الله تعالى، وتظهر ثمرة ذلك في التوبة وتجديد العهد مع الله تعالى وإصلاح الحال.

ويتعلق بهذه الآية آية الكسوف أحكام وأفعال سنشرحها بعد حين

الخطبة الثانية

عباد الله : اعلموا أنَّ الشمَسَ والقمر من آيات الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء ، فإذا شاء خسفهما ، ولا يفعل ذلك لعظيم عنده لا لموته ولا لحياته ، ولكن ليخوّف عباده ، سواء باغتهم بذلك ، أم توقعوا حدوَثه من قبل بإنباء الفلكيين .وإذا حصل ذلك فرآه الناس فعليهم بالصلاة لما رواه عبد الله بن عمر عن النبيِّ قال : (إنَّ الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنَّ هما آيتان من آيات الله تعالى، فإذا رأيتم ذلك فصلوا) البخاري/1042

1 - وصلاة الكسوف مشروعة باتفاق العلماء، وظاهر قوله : (فصلّوا)

2 يدلُّ على وجوب الصلاة ، وبذلك قال بعض العلماء، لكنَّ جمهوَرَهم على أنَّ ها سنة موَّ كدة

3 - ويستحبُّ في الكسوف الدعاء والاستغفار والصدقة والعتاق والتعوُّ ذ من عذاب القبر لقول النبيِّ في حديث عائشة : (فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدّقوا) سبق تخريجه

4 وقال في حديث أبي موسى : (فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره) رواه البخاري/1059 والنسائي/1503 وسبق تخريجه

5 - والسنة أنه لا أذان ولا إقامة لصلاة الكسوف ، ولكن يُدعى لها بأن يقال: الصلاة جامعة. فعن عائشة قالت: لمّا كسفت الشمس على عهد رسول الله نودي: إنَّ الصلاة جامعة) أخرجه البخاري./1051 ومسلم / 910

6 - ويصليها الرجال والنساء جماعة في المسجد لقول عائشة :
خسفت الشمس في حياة النبي ، فخرج إلى المسجد فصفَّ الناس وراءه

7 - واختلف العلماء في عدد ركعاتها على أوجه لاختلاف الروايات بذلك، لا سيما أنَّ أكثر الروايات في ذلك ظاهرها الصحة، وللعلماء في ذلك مسلكان : مسلك التنويع ومسلك الترجيح.
فعلى مسلك التنويع يصلى بأيِّ نوع من الروايات الصحيحة ، وبنوا اختلاف الروايات على تعدّد الواقعة ، وهو مذهب إسحاق بن راهويه وابن حبان والخطابي وابن المنذر وابن حزم وغيرهم ، لكنَّ المحقّقين من النقاد كالشافعي وأحمد والبخاري والبيهقي وابن عبد البر على أنَّ الواقعة لم تتعدد بل صلاها النبي مرة واحدة يوم مات ابنه إبراهيم، ولذلك كان مسلك الترجيح أقوى. وأرجح الروايات عندهم حديث عائشة وأسماء وجابر وابن عباس وابن عمرو وغيرهم لكثرتها وكثرة طرقها ، فما خالفها حكموا عليه بالشذوذ والنكارة

وحاصل ذلك أنها ركعتان ، في كّلّ ركعة ركوعان وسجدتان ، ويقرأ بين كلِّ ركوعين ، ويجهر بالقراءة فيها ، ويطيل القيام والركوع والسجود في الركعة الأولى.
عن عائشة أنها قالت : خسفت الشمس في عهد رسول الله ، فصلى رسول الله بالناس ، فقام فأطال القيام ، ثم ركع فأطال الركوع ، ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ، ثم ركع فأطال الركوع وهو دون الركوع الأول ، ثم سجد فأطال السجود ، ثم فعل في الركعة الثانية

مثل ما فعل في الأولى ، ثم انصرف وقد انجلت الشمس، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه... **الحديث متفق عليه**

8 - ويشرع بعد الصلاة أن يخطبهم الإمام على المنبر بخطبة يحمد الله عز وجل، ويثني عليه، ويعظهم فيها، ويحثُّهم على الدعاء والاستغفار والتعوذ من عذاب القبر كما في حديث عائشة المذكور وغيره

(وهذا آخر ما يسر الله جمعه)

مظاهر الغربة في زماننا اليوم

فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الجليل

وهي كثيرة ومتنوعة ، حتى إنَّ ها لتكاد تشمل جوانب الدين كله ولكن يمكن إجمال أهم مظاهر الغربة في الأزمنة الحاضرة اليوم فيما يلي :

1- غربة في العقيدة ، فلا يوجد من هو متمسِّكٌ بعقيدة السلف من جميع جوانبها إلاّ القليل من الناس ؛ حيث تنتشر الخرافة والشركيات والبدع في أكثر بلدان المسلمين

2 - غربة في تطبيق الشريعة والتحاكم إليها، فلا يحكم اليوم في أكثر بلدان المسلمين إلاّ بأحكام الإفرنج الكافرة

3 - غربة في الالتزام بأحكام الإسلام سواءً ما كان منها بين العبد وربه ، أو بين العبد وبين الخلق ؛ فلا يوجد الملتزم بها إلاّ القليل.

4 - غربة في السلوك والأخلاق الفاضلة ، وتزامن ذلك مع انفتاح الدنيا وكثرة الشهوات

5 - غربة أهل الحق ودعاة الإسلام، وتسلط الأعداء عليهم ، وإيذاؤهم لهم بأشد أنواع الأذى والنكال

6 - غربة في عقيدة الولاء والبراء ؛ حيث مُيعت هذه العقيدة عند كثيرٍ من الناس ، وأصبح ولاءُ أكثرهم وحبهم وبغضهم للدنيا فحسب.

7 - **غربة في أهل العلم :** حيث قلَّ أهل العلم الشرعي الصحيح ، وانتشر الجهل وكثرت الشبهات

مظاهر الفتنة في أزمنة الغربة :

إنَّ من أشدِّ ما يخشى على أهل الإسلام في أزمنة الغربة أربعة مظاهر من الفتن يمكن إجمالها فيما يلي :

1 - الفتنة التي تنشأ من الوقوع في الشبهات ، والتأثر بأهلها الذين هم الأكثرية في عصور الغربة، مما يحصل معه السقوط في فتن الشبهات ، سواءً ما يتعلق منها بالعقائد أو الأعمال أو المخالفات الشرعية الأخرى ، وتسويغ ذلك بشبهة شرعية تبرز عادةً في غيبة الحق وانتشار الجهل.

2 - **الفتنة التي تنشأ من الوقوع في الشهوات** ، التي تطم وتنتشر عادةً في عصور الغربة وقلة أهل الحق، وانفتاح الدنيا بزخرفها على الناس؛ فلا يكاد يثبت ويستقيم على أمر الله - عز وجل –
مع كل هذه الضغوط إلا القليل الذين يعتصمون بالله تعالي
ويقومون بأمره، ويدعون إلى سبيله، أما الكثرة الكاثرة الذين ضعف صبرهم
فتراهم يتنازلون عن دينهم شيئاً فشيئاً أمام مظاهر الغربة الفاتنة، سواءً كان ذلك التنازل في العقيدة أو السلوك أو التزام الأحكام.

3 - **فتنة اليأسِ والقنوط من ظهور الحق وانتصاره** ، أمام تكالب الأعداء وتمكنهم ،وتسلطهم على أهل الخير بالأذى والابتلاء، مما قد يؤدي ببعض أهل الغربة إلى اليأس وترك الدعوة، حين يرى إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين مرموقين، تهتف لهم الدنيا وتصفق لهم الجماهير، وتتحطم في طريقهم العوائق ، وتصاغ لهم الأمجاد ، وتصفو لهم الحياة ، وهموم همٌلٌ منكر لا يحس به أحد ، ولا يحامي عنه أحد، ولا يشعر بقيمة الحق الذي معه إلا ّ ((

القليلون من أمثاله ،الذين لا يملكون من أمر الحياة شيئا، فإذا طال الأمد وأبطأ نصر الله ، كانت الفتنة أشد وأقسى ، وكان الابتلاءُ أشد وأعنف، ولم يثبت إلا ّ من عصم الله

وإنَّ فتنة اليأس والإحباط وترك الدعوة إلى الله - عز وجل - في عصور الغربة، لا تقف عند حد ؛ بل قد تؤدي بصاحبها- والعياذ بالله - إلى الضعف ، والنقص في دينه

شيئاً فشيئاً أمام فتن الشبهات والشهوات ؛ ذلك لأنَّ أيام الغربة أيام فتن وإغراءات ومنكراتٍ ، وظهور رؤس وتمكين لأهل الباطل والفساد ، فإن لم يكن للمسلم فئة صالحة - ولو كانت قليلة - يأوي إليها ويدعو معها إلى الله- عز وجل- حسب الوسع والطاقة ، فإنّه لا بد وأن يتأثر بالفساد وأهله، إلا ّ من رحم الله- عز وجل- ومن غير المقبول عقلا وشرعا أن يبقى المُسلمُ محافظاً على دينه أمام الغربة، وهو تاركٌ للدعوة بعيد عن أهلها ، فإما أن يؤثر أو يتأثر.

نعم ! يمكن أن يترك المسلم الدعوة ويبقى محافظاً على دينه في حالة الاعتزال التام عن الناس ، في شعفٍ من الجبال والأدغال ، هذا متيسرا في هذا الزمان، ثم لو كان ذلك ممكناً : فمن ذا الذي يدعو إلى الله - عز وجل- ويواجه الفساد ، وعلى أيةِ حالٍ فالعزلُةُ الشرعية لها أحكامها وضوابطها،

إذن: فلن ينجو من فتنِةِ الغربة في أيِّ زمانٍ أو مكان إلا ّ أحُدُ رجلين:

- إما مجاهدٌ في سبيل الله - عز وجل - داعٍ إلى الخير ، آمِرٍ بالمعروف وناهٍ عن المنكر.

- أو رجل معتزل عن الناس في مكانٍ من الأرض يعبد ربه ، ولا يخالط الناس.

وما سواهما فهو على شفا هلكة ، ولعلَّ هذا مما يُفهم من الحديث الذي رواه رواهُ أبو هريرة - رضي الله عنه- أنَّ الرسول قال : ("مِن خيرِ معاش الناس لهم: رجل ممسٌكٌ عنان فرسه في سبيل الله يطيُرُ على متنه، كلما سمع هيعَةً أو فزعَةً ، طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعفةٍ من هذه الشعف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية؛ يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلاّ في خير) رواه مسلم/1889 وابن ماجة/3977

٤ - **فتنة العجلة وقلة الصبر على الأذى في الغربة** ، مما يؤدي ببعض من يقاسي ضغوطها إلى التسرعِ والاصطدام مع أهل الفساد، دون مراعاةٍ للمصالح والمفاسد؛ فينشأ من ذلك فتنةٌ أشد ، وفسادٌ أكبر على أهل الغربة .

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

مع عثمان رضي الله عنه
(اللهم صبرا)

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط من تلك الحوائط ـ أي في بستان ـ فاستأذن رجل خفيض الصوت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" : ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . " فأذنت له فإذا هو عثمان فبشرته فقال : أسأل الله صبرا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : اشترى عثمان بن عفان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين ، حين حفر بئر رومة ، وحين جهز جيش العسرة.

أما بئر رومة ، فقد كانت بالمدينة، اشتراها عثمان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم ، وجعلها وقفاً لله عز وجل يستقي منها الناس جميعاً .

وأما جيش العسرة ، فقد كان ذلك في غزوة تبوك ، عندما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على التبرع للجيش ، فتبرع عثمان بألف بعير وخمسين فرسا عليها أقتابها وأحلاسها ، ثم جاء بعشرة آلاف دينار ، فصبها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جهز عشرة من القراء على حسابه ، وفيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض "

يفرح حين لا يري المعصية :

أخبر عثمان أن قوما قد اجتمعوا على أمر قبيح ، فخرج إليهم ، فوجدهم قد تفرقوا ، وأرى أثر قبيحا ، فحمد الله إذ لم يصادفهم ، وأعتق رقبة.

فانظر هذا الفقه في دين الله ، كيف فرح بستر قوم مسلمين دون أن يراهم على معصية الله ، وقارن بين هذا وبين ما يفعله بعض المتدينين الجاهلين من تتبع عوارت الناس ، وإشاعة الفاحشة عنهم ، ويلبس الشيطان عليهم بان هذا غضب الله ، ودفاع عن الفضيلة ، حتى ليحرضون على التشهير بمن أشيع عنه السوء ، حسبة الله عز وجل ! وإنا الله من الانحراف في فهم الدين ، كيف يكون أضر على الدين ممن يعصي الله ، وهو يخجل من معصيته !

الخوف من الله :

قال عثمان : لو أني بين الجنة والنار ، ولا أدري إلى أيتهما يؤمر بي ، لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

وكان لعثمان عبد فقال له : إني كنت عركت أذنك فاقتص مني ، فاخذ العبد بأذنه . فقال عثمان : اشدد ، يا حبذا قصاص في الدنيا ، لا قصاص في الآخرة

الحياء من الإيمان

قال عثمان يوم حوصر في الدار: وايم الله ما زنيت في جاهلية ، ولا إسلام ، وما ازددت للإسلام إلا حياء

المؤمن ينظر بنور الله :

دخل رجل على عثمان ، وقد نظر إلى امرأة أجنبية ، فلما نظر إليه عثمان قال : أيدخل علي أحدكم وفي عينيه أثر الزنى فقال له الرجل : أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ قال عثمان : لا ، ولكنه قول حق ، وفراسة صديق. يتاجر مع الله فيربح
قحط الناس في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، فقدمت لعثمان ألف راحلة بر وطعاماً ، فغدا التجار عليه فقالوا : بلغنا أنه قدم لك ألف راحلة بر (قمح) وطعاماً ، بعنا حتى نوسع به على فقراء المدينة ، فقال لهم عثمان : كم تربحوني على شرائي؟ قالوا : العشرة اثني عشر ، قال : قد ازدوني ، قالوا : من ازدك ونحن تجار المدينة ؟ قال : ازدوني بكل درهم عشرة ! هل عندكم زيادة ؟ قالوا : لا . قال : فأشهدكم معشر التجارة أنها صدقة على فقراء المدينة.
الحاكم المسلم مع شعبه
كان عثمان يطعم الناس طعام الإمارة ، ويأكل الخل والزيت ! وقال عبد الله بن شداد : أريت عثمان يخطب يوم الجمعة وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم أو خمسة

ذوق العابد المسلم :

كان عثمان لا يوقظ أحداً من أهله من الليل إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه.
فانظر إلى هذا الذوق الإسلامي الرفيع الذي يرى أن العبادة الله تتنافى مع إزعاج الناس أو إرهاقهم ، وقارن بين هذا وبين ما يبدو على كثير من المتعبدين الجاهلين من غلظة وقسوة وإرهاق للناس واستخدام لهم في كل شؤونهم دون حساب لإرهاقهم وأوقاتهم

عليكم بالجماعة

دخل أبو قتادة ورجل آخر على عثمان وهو محصور فاستأذناه في الحج فأذن لهما ، فقالا له : إن غلب هؤلاء القوم ـ أي دعاة الفتنة ـ مع من نكون ؟ قال : عليكم بالجماعة . قالوا : فإن كانت الجماعة هي التي تغلب عليك ! مع من نكون ؟ قال : فالجماعة حيث كانت.

هذا هو الفقه بدين الله وهذا هو الإسلام الذي حمله صحابة رسول الله لنا ، لا كإسلام بعض الناس الذين يفرقون الصفوف وينبذون الجماعة وهم يزعمون أنهم على الحق ، وما آذى الحق شيء كاختلافهم وتمردهم وخداع الشيطان لهم بأنهم وحدهم على الحق والجماعة كلها ضالة منحرفة ، نعوذ بالله من الخذلان وركوب الهوى.

ماذا مال حين ضرب

عن هارون بن يحيى أن عثمان جعل يقول ـ حين ضرب والدماء تسيل على لحيته ـ : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . اللهم إني أستعيذك وأستعينك على جميع أموري ، وأسألك الصبر على بليتي

وصية عثمان

لما قتل عثمان شهيدا فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه ، فوجدوا فيه ورقة مكتوباً عليها ـ هذه وصية عثمان ـ " بسم الله الرحمن الرحيم ... عثمان بن عفان يشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق ، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد ، عليها يحيا وعليها يموت وعليها يبعث إن شاء الله. "

رضي الله عنه وأرضاه وأثابه.

رحم الله عثمان وصبره على بلائه في الإسلام ، وسخائه للدعوة ، وصبره عند المحنة . واستشهاده بأيدي دعاة الفتنة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

يجتمع في شهر ربيع الأول حدثان عظيمان : مولده ووفاته صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن كلا منها كان حدثا مباركا في حياة المسلمين

- ويوافق بعض المسلمين النصارى وغيرهم من الوثنيين ، فيجعلون حدث المولد أهم الأحداث الثلاثة ، بل ويعتبره بعضهم أهم أحداث السيرة النبوية قاطبة.
- والحق أن ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم حدث مبارك ، حيث أشرق النبي صلى الله عليه وسلم على الأرض بطلعته صلى الله عليه وسلم ، لكن هذا الحدث ليس له تميز عن سائر ولادات الناس ، لو لم يبعث ويرسل عليه الصلاة والسلام
- والحدث الأهم من ولادته هو هجرته صلى الله عليه وسلم التي أوجدت لنا اتمع المسلم والدولة المسلمة التي استمرت قرونا طويلة ، وقدمت للإنسانية حضارة فريدة على مر الزمن، ولأهمية هذا الحدث أرخ به عمر بن الخطاب والمسلمون بعده التاريخ الإسلامي
- وقد روى ابن أبي شيبة عن الشعبي " أ ن أبا موسى كتب إلى عمر : إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ , فجمع عمر الناس , فقال بعضهم : أرخ بالمبعث , وبعضهم أرخ بالهجرة , فقال عمر : الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا [المصنف لابن أبي شيبة ٧/٢٦] .

والحدث الأهم في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي وفاته عليه الصلاة والسلام ، لأن وفاته صلى الله عليه وسلم ليست كوفاة سائر الناس ، ولا كسائر الأنبياء ، إذ بموته صلى الله عليه وسلم انقطعت النبوات ، وانقطع خبر السماء ووحي الله عن الأرض

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عظم هذه المصيبة التي حلت بالمسلمين فقال ((يا أيها الناس أيما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي) ابن ماجه /1599

قال السندي (فليتعز) ويخفف على نفسه مؤنة تلك المصيبة بتذ كر هذه المصيبة العظيمة، إذ الصغيرة تضمح ل في جنب الكبيرة فحيث صبر على الكبيرة لا ينبغي أن يبالي بالصغيرة.[حاشية السندي على ابن ماجه ح١٥٩٩]

وها هي أم أيمن رضي الله عنها بكت حين مات النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لها تبكين فقالت : (إني والله قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت ولكن إنما أبكي على الوحي الذي انقطع عنا من السماء) [رواه أحمد/ ١٢١٧٩]

عن أبي بردة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) [مسلم/ ٢٥٣١]

قال النووي ((وأنا أمنة لأصحابي , فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون)) أي من الفتن والحروب , وارتداد من ارتد من الأعراب , واختلاف القلوب , ونحو ذلكمما أنذر به صريحا , وقد وقعك ذلك [شرح النووي ٣١٦/٨]

معرفة النبي صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله

بشر النبي صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله في آيات عدة في القرآن الكريم ،منها (إنك ميت وإنهم ميتون) [الزمر:٣٠]

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) الأنبياء

(كل نفس ذائقة الموت) [الأنبياء ٣٥ ـ٣٤]

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) [آل عمران:١٤٤]

(إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) [سورة النصر كاملة]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (أنزلت هذه السورة إذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق ، وعرف أنه الوداع) [سنن البيهقي/ ٩٤٦٤]

وعن ابن عباس أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح قالوا : فتح المدائن والقصور

قال : ما تقول يا ابن عباس ؟ قال (أجل أو مثل ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم نعيت له نفسه) [البخاري ح٤٩٦٩]

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا" المائدة :3

قال ابن العربي : وما من شيء في الدنيا يكمل إلا وجاءه النقصان ليكون الكمال الذي يراد به وجه الله] العواصم من القواصم لابن العربي/ص٥٩ [

وقد أشعر النبي أصحابه في أكثر من موطن إلى قرب أجله وانتقاله إلى جوار ربه، فعن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ، ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته فلما فرغ قال (يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا أو لعلك أن تمر بمسجدي هذا أوقبري) رواه أحمد/22052

عباد الله :-

توفي الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين 12ربيع الاول عام 11هجرية، الموافق لسنة ٦٣٢ ميلادي

إنه الحدث الجلل، وكل حدث بعد وفاته هين سهل بسيط يسير

وقد اخترت هذا الموضوع تحديدًا لشدته على المسلم الحق ، ومن ثم يهون كل شيء وتسهل كل مصيبة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

فإنه قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : { يا أيها الناس : من أصيب بمصيبة فليتعز بي، فإني عزاء لكل مسلم }

ورحم الله امرأة قالوا لها بأن زوجها وابنها وأخوها قد قتلوا في غزوة أحد ، فلم تأبه لذلك وبادرت قائلة : ماذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : هو بخير. فقالت : لا ، حتى أراه .

فلما رأته بعينها قالت : كل مصيبة بعدك جلل يا رسول الله ، والله لهذا النقع الذي على وجهك أشد من مصابي بهما يا رسول الله[1].

والموت نهاية كل حي ، فقد انفرد سبحانه وتعالى بالبقاء ، وكتب على جميع المخلوقات الفناء ... !!

قال تعالى : (كُل مَنْ عَليْهَا فانٍ) الرحمن /27

وقال : (كُل نَفْسٍ ذَائِقةُ الْمَوْتِ وَإِنمَا توَفوْنَ أُجُورَكُمْ يَوَم الْقِيَامَةِ فمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النارِ وَأُدْخِلَ الْجَنةَ فقدْ فازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدنْيَا إِلا مَتاعُ الْغُرُورِ) آل عمران/185

ولم يستثن أحدًا حتى أكرم الخلق –صلى الله عليه وسلم- فقال تعالى لنبيه : (إنكَ مَيتٌ وَإِنهُمْ مَيتُونَ) الزمر : 30

وقال : (وَمَا مُحَمدٌ إِلا رَسُولٌ قدْ خَلَتْ مِنْ قبلِهِ الرسُلُ أَفإِنْ مَاتَ أَوْ قتلَ انْقلبتم عَلَى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشاكِرِين) آل عمران/144

والموت في حد ذاته مصيبة ... !!

قال تعالى : (إِنْ أَنْتمْ ضَرَبْتمْ فِي الْأَرْضِ فَأصابتكم مصيبة الْمَوْتِ)

ولكن ليست كل المصائب كفقده صلى الله عليه وسلم.

---

1 الجلل : يكون من القليل والكثير، ويطلق على العظيم وعلى الهين، فهو من الأضداد، وهو ههنا القليل .والنقع : غبار الحرب.

راجع: الكشكول لبهاء الدين العاملي جزء ٢ صفحة ٢٩٠، والبداية والنهاية جزء ٤ صفحة ٧٤

= **طلائع التوديع :**

ولما تكاملت الدعوة وسيطر الإسلام على الموقف، أخذت طلائع التوديع للحياة والأحياء تطلع من مشاعره صلى الله عليه وسلم ، وتتضح بعباراته وأفعاله .

لقد اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً ، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب ، وتدارسه جبريل القرآن في رمضان مرتين ، وكان يدارسه فيه مرة واحدة

وقال في صيام عاشوراء عام الحادي عشر من الهجرة : (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر) **رواه مسلم/1134 وابن ماجة/1736 وأحمد/1971**

وقال في حجة الوداع **ما رواه مسلم/1297 والترمذي/886** والنسائي/3021 (إني لا أدري ، لعلى لا ألقاهم بعد عامي هذا)

وقال وهو عند جمرة العقبة : (خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أحج بعد عامي هذا وأنزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق ، فعرف أنه الوداع وأنه نعيت إليه نفسه)

وفي أوائل صفر سنة ١١ هـ خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد فصلي على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : (إني فرط لكم ، وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) **رواه البخاري عن عقبة بن عامر/3596 واللفظ له ومسلم/2296 والنسائي/1954 وأحمد / 17344**

وخرج ليلة في منتصفها إلى البَقِيع ، فاستغفر لهم ، وقال : (السلام عليكم يا أهل المقابر، لِيَهْنَ لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح

الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، والآخرة شر من الأولي) وبشرهم قائلاً : (إنا بكم للاحقون)
رواه أحمد عن أبي مويهبة واللفظ له/15996 والدارمي /79

وخطب أصحابه موعظة مودع، ففي المستدرك على الصحيحين عن العرباض بن سارية قال : (صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة)[1]. رواه أبو داوود/4607 واللفظ له والترمذي/2676 والدارمي/96

= مرض وفاة النبي صلى الله عليه و سلم ويوم الخميس ، وما أدراك ما يوم الخميس ؟ !

يوم زار المرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما ذكر هذا اليوم شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال : بأبي هو وأمي زاره المرض يوم الخميس. نعم ، بأبي هو وأمي، وليت ما أصابه أصابنا ، فإن مصابه رزية على كل مسلم ، ولكن رفعاً لدرجاته وتعظيماً له عند مولاه

ذكر ابن كثير بسند جيد قال : كان ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه يقلب الحصى في المسجد الحرام ويقول : (يوم الخميس ، وما يوم الخميس -وهو يبكي- يوم زار المرض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم)

---

1 المستدرك على الصحيحين جزء ١ صفحة ١٧٤

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد وعاد وهو معصوب الرأس ، فتقول عائشة - وقد فجعت رضي الله عنها وأرضاها-: وا رأساه فقال صلى الله وسلم : بل أنا وا رأساه)، وصدق صلى الله عليه وسلم، فإن صداع الموت قد وصل إلى أرسه الشريف.

وفي صحيح البخاري في الجنائز/3596 ، 4042 ومسلم/2296 من حديث عقبة بن عامر قال : (خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما وصل الشهداء في أحد، فسلم عليهم سلام المودع ، ثم قال : يا أيها الناس: والله ما أخاف عليكم الفقر، ولكن أخاف أن تفتح عليكم الدنيا ، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم)

وعند أحمد في المسند بسند حسن/15997 عن أبي مويهبة قال : قال لي صلى الله عليه وسلم في الليل الدامس : (يا أبا مويهبة ! أسرج لي دابتي ، فأسرجت له دابته عليه الصلاة والسلام، فركبها فذهبت معه حتى أتى الشهداء في أحد، فسلم عليهم سلام المودع ، وقال : أنا شهيد عليكم أنكم عند الله شهداء ، ثم قال : يا أبا مويهبة ! خيرت بين البقاء وأعطى مفاتيح خزائن الدنيا وبين لقاء الرفيق الأعلى، قال : أبو مويهبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! خذ مفاتيح الدنيا ، وأطل عمرك في الدنيا ما استطعت ثم اختر الرفيق الأعلى ، فقال عليه الصلاة والسلام : بل الرفيق الأعلى ، بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى)

وهنا دروس :

١-عدم الركون إلى الدنيا والتنافس عليها لأنها أهلكت من قبلنا

٢-أن من يحب الله جل وعز يكون دائما في اشتياق إلى لقائه، وعن عبادة بن الصامت (من أحب لقاء الله أحب الله لقائه) رواه **البخاري/6507 ومسلم/2683 والترمذي/1066**

٣-المؤمن لا يفتر أبدًا عن حمل هم الدعوة حتى ولو كان على في مرض الموت.

= على فراش الموت :

ووقع صلى الله عليه وسلم على فراش الموت ، وعصب رأسه ، وأخذت الحمى تنفضه عليه الصلاة والسلام

في مسند أحمد /23633 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع).

وصح عنه عند البخاري/5641 ومسلم /2573 والترمذي/966 وأحمد /8027 صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا يصيب المؤمن هم ولا غم ولا حزن ولا مرض، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)

ويقول عليه الصلاة والسلام كما في كتاب الطب والمرض للبخاري : (إن المؤمن كالخامة من الزرع ، لا تزال الريح تفيئها يمنة ويسرة، وأما المنافق كالأرزة ، لا تزال قائمة منتصبة حتى يكون انجعافها مرة واحدة)

المؤمن يحم، المؤمن يصاب ويمرض ويجوع ، لكن المنافق يسمن ويترك حتى تأتيه قاصمة الظهر مرة واحدة

ولا ذنوب له صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولكن رفعت درجاته عليه الصلاة والسلام

جاء في الصحيحين/5647 ، مسلم/2571 عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك –أي : في مرض موته- فمسسته بيدي- بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام- فقلت : يا رسول الله ! إنك توعك وعكاً شديداً قال : نعم إني أوعك كما يوعك رجلان منكم. قلت : ذلك بأن لك الأجر مرتين يا رسول الله. قال : نعم. ثم قال : ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو مرض إلا كفر الله به من خطاياه حتى الشوكة يشاكها)

فيا من ابتلاك الله بالمرض لا تيأس ولا تحزن واصبر واحتسب فإن هذا خير لك إذا صبرت واحتسبت ورضيت بقضاء الله تبارك وتعالي فقد قال عليه الصلاة والسلام عن صهيب (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن ؛ إن أصابته سرّاء شكر ؛ فكان خيراً له ، وإن أصابته ضرّاء صبر؛ فكان خيرا له) رواه مسلم/2999 وأحمد /18934 والدارمي /2819

= قبل الوفاة بخمسة أيام :

ويوم الأربعاء قبل خمسة أيام من الوفاة، اشتدت عليه الحرارة في بدنه فاشتد به الوجع وأغمي عليه فقال : (هريقوا علي سبع قِرَب من آبار شتي، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم) فأقعدوه في مِخْضَبٍ ، وصبوا عليه الماء حتى طفق يقول : (حسبكم، حسبكم) وعند ذلك أحس بخفة، فدخل المسجد متعطفاً بملحفة على منكبيه ، قد عصب أرسه بعصابة سوداء حتى جلس على المنبر ، وكان آخر مجلس جلسه، فحمد الله وأثني عليه ، ثم قال : " أيها الناس ، إلي " ، فثابوا إليه ، فقال فيما قال : " لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد- وفي رواية : " قاتل الله اليهود

والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".ـ وقال : لا تتخذوا قبري وثناً يعبد")

وفي الصحيحين وسنن البيهقي عن ابن عباس قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، وهو عاصب على أرسه بعصابة سوداء وهو بين علي والعباس ، على كتفيهما رضوان الله عليهما ، وأقدامه من المرض تخط في الأرض فأجلساه على المنبر، فلما رأي الناس قال : يا أيها الناس : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. يا أيها الناس : إني ملاقٍ ربي ، وسوف أخبره بما أجبتموني به ، يا أيها الناس : من سببته أو شتمته أو أخذت من ماله فليقتص مني الآن، قبل ألا يكون درهماً ولا ديناراً ، قال أنس : فنظرت إلى الناس وكل واضع أرسه بين رجليه من البكاء ، ثم قال عليه الصلاة والسلام : "يا أيها الناس : اللهم من سببته أو شتمته أو أخذت من ماله أو ضربته فاجعلها رحمة عندك".

وعند أبي داود : " إني أخذت عند ربي عهداً أيما مسلم شتمته أو سببته أو ضربته ، أن يجعلها كفارة له ورحمة "، فاستبشر الناس بهذا ، وأخذوا يقولون : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ! وعاد إلى فراشه

وعرض نفسه للقصاص قائلاً : (من كنت جلدت له ظَهرا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عِرْضاً فهذا عرضي فليستقد منه).

ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد لمقالته الأولي في الشحناء وغيرها . فقال رجل : إن لي عندك ثلاثة دراهم فقال : (أعطه يا فضل)، ثم أوصي بالأنصار قائلاً عن أنس بن

مالك : (أوصيكم بالأنصار، فإنهم كِرْشِي وعَيْبَتِي ، وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من مُحْسِنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم) رواه البخاري/3801 واللفظ له ومسلم/2510 والترمذي/3907

وفي رواية ابن عباس أنه قال : (إن الناس يكثرون، وتقِل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحداً أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم) رواه البخاري/3800 واللفظ له وأحمد/2629

ثم قال عن أبي سعيد : (إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده) رواه مسلم/2382 والدارمي/78 وأحمد/11134

قال أبو سعيد الخدري : فبكي أبو بكر .قال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له ، فقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ، وبين ما عنده ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري/466 ومسلم / 2382 والترمذي /3660 وأحمد /11134 عن أبي سعيد : (إن من أمنّ الناس على في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لا اتخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد ، إلا باب أبي بكر)

وانظر إلى حرصه عليه الصلاة والسلام من خلال تلك الوصايا الغالية التي أسداها لأصحابه الكرام وللأمة من بعدهم وأيضا سماحته ، وإرساء دعائم العقيدة الإسلامية الصحيحة وهو يودع أمته عليه الصلاة والسلام.

= قبل الوفاة بأربعة أيام :

ويوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام اشتد به الوجع ، فقال : (هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده) وفي البيت رجال فيهم عمر ـ فقال عمر : قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبكم كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف كما في البخاري/3053 عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا عني)

وأوصى في ذلك اليوم بثلاث : أوصي بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب ، وأوصي بإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم ، أما الثالث فنسيه الراوي . ولعلها :

١ـالوصية بالاعتصام بالكتاب والسنة

٢ـأو تنفيذ جيش أسامة

٣ـأو هي : (الصلاة وما ملكت أيمانكم)

والنبي صلى الله عليه وسلم مع ما كان به من شدة المرض كان يصلي بالناس جميع صلواته حتى ذلك اليوم ، يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام ، وقد صلي بالناس ذلك اليوم صلاة المغرب ، فقرأ فيها بالمرسلات عرفاً

وعند العشاء ازد ثقل المرض ، بحيث لم يستطع الخروج إلى المسجد فقالت عائشة قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أصَلى الناس ؟) قلنا : لا يا رسول الله ، وهم ينتظرونك . قال : (ضعوا لي ماء في المِخْضَب)، ففعلنا ، فاغتسل ، فذهب لينوء فأغمي عليه .

ثم أفاق فقال : (أصلى الناس ؟) **البخاري/664 ومسلم/418 ومالك/473**

ووقع ثانياً ، وثالثاً ، كما وقع في المرة الأولي من الاغتسال ثم الإغماء حينما أراد أن ينوء فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس ، فصلي أبو بكر تلك الأيام ما عدده ٧١ صلاة في حياته صلى الله عليه وسلم ، وهي صلاة العشاء من يوم الخميس ، وصلاة الفجر من يوم الاثنين ، وخمس عشرة صلاة فيما بينها .

وارجعت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث أو أربع مرات ؛ ليصرف الإمامة عن أبي بكر حتى لا يتشاءم به الناس ، فأبي وقال : (إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس)

= ثلاثة أيام قبل الوفاة :

قال جابر : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث وهو يقول : (ألا لا يموت أحد منكم إلا وهو يحسن الظن بالله)

ما أجملها من وصية وهي مصداق الحديث القدسي وفيه يقول الله تعالى (أنا عند ظن عبدي بي) رواه البخاري/7505 ومسلم/2675 والترمذي/2388

= قبل الوفاة بيوم أو يومين :

يوم السبت أو الأحد وجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه خفة ، فخرج بين رجلين لصلاة الظهر ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه بألا يتأخر ، قال : (أجلساني إلى جنبه) ، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع الناس التكبير .

= قبل الوفاة بيوم :

في يوم الأحد أعتق النبي صلى الله عليه وسلم غلمانه كلهم ، وتصدق بستة أو سبعة دنانير كانت عنده ، ووهب للمسلمين أسلحته ، وفي

الليل أرسلت عائشة بمصباحها إلى امرأة من النساء تستعير منها زيتاً للمصباح .

وكانت درعه صلى الله عليه وسلم مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير ، وفي هذا جواز المعاملة مع أهل الكتاب

= آخر يوم من الحياة :

روي أنس بن مالك : أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلي بهم ، لم يفجأهم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم ، وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك ، وظن أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة ، فنكص أبو بكر على عقبيه ؛ ليصل إلى الصف ، ويخلي مقام الإمامة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال أنس : وهَم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم ، فَرَحًا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخي الستر . ثم لم يأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت صلاة أخرى

ولما ارتفع الضحى ، دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة فسَارها بشيء فبكت، ثم دعاها ، فسارها بشيء فضحكت ، قالت عائشة : فسألنا عن ذلك ـ أي فيما بعد ـ فقالت : سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه ، فبكيت ، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت . وبشرها بأنها سيدة نساء العالمين . ورأت فاطمة ما برسول الله صلى الله عليه وسلم من الكرب الشديد الذي يتغشاه . فقالت : وا كرب أباه. فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم . ودعا الحسن والحسين فقبلهما ، وأوصي

بهما خيراً، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن وطفق الوجع يشتد ويزيد ، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حتى كان يقول : (يا عائشة ، ما أ زال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت ا) رواه البخاري /4428 كتاب المغازي نقطاع أبْهرِي من ذلك السم
وقد طرح خَمِيصَة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك ـ وكان هذا آخر ما تكلم وأوصي به الناس :
(لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ـ يحذر ما صنعوا) (لا يبقين دينان بأرض العرب) البخاري/1330 ومسلم/529 والنسائي/703
وأوصى الناس فقال : (الصلاة، الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) رواه أبو داوود /5156 واللفظ له وابن ماجة/2698 وأحمد/585
كرر الرسول هذا الكلام مرارا

= الاحتضـــــار :

وبدأ الاحتضار، فأسندته عائشة إليها، وكانت تقول : إن من نعم الله على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْرِي وَنَحْرِي، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته . فقد دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ف أريته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت : ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته ، فاستن به كأحسن ما كان مستنا

ليلقى الله طيباً ، فإن حياته طيبة ، ووفاته طيبة (يَا أَيتهَا النفْسُ الْمُطْمَئنةُ . ارْجِعِي إِلى رَبكِ رَاضِيَةً مَرْضِيةً . فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنتي) الفجر/ 30:28
وكان بين يديه رَكْوَة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح به وجهه ، يقول (لا إله إلا الله، إن للموت سكرات ...)
وما أن فرغ من السواك حتى رفع أصبعه ، وشخص بصره نحو السقف ، وتحركت شفتاه ، فأصغت إليه عائشة وهو يقول : (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى . اللهم، الرفيق الأعلى)
كرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً ، ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى . إنا الله وإنا إليه راجعون
وقع هذا الحادث حين اشتدت الضحى من يوم الاثنين 12 ربيع الأول سنة ١١ هـ ، وقد تم له صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام
قال أنس : (ظننا أن القيامة قامت يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم)
نقول : إنا الله وإنا إليه ارجعون ! (الذِينَ إِذَا أَصَابَتْهمْ مُصِيبَةٌ قَالوا إنا لِلهِ وإنا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَليْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبهِمْ ورحْمَةٌ وأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) البقرة /156

= **الفراق الأليم :**

وتسرب النبأ الفادح، وأظلمت على أهل المدينة أرجاؤها وآفاقها .
وبقي جثمانه الشريف في غرفة عائشة رضي الله عنها وأرضاها ، ولكن ما هو حال الصحابة ؟
وقف الصحابة في موقف لا يعلمه إلا الله ، وفي دهشة لا يعلمها إلا الحي القيوم، كلهم يكذب الخبر ، ولا يصدق إلا من أتاه اليقين ..
وقفوا حول مسجده صلى الله عليه وسلم ، وأغلق بابه الشريف على جثمانه ، وبقيت عائشة رضي الله عنها وأرضاها تبكي مع النساء ، أما السكك فقد امتلأت بالبكاء والعويل والنحيب.
وأما عمر رضي الله عنه وأرضاه فوقف عند المنبر يسل سيف الإخلاص والصدق الذي نصر به دين الله ، ويقول : يا أيها الناس : من كان يظن أن رسول الله قد مات ، ضربت عنقه بهذا السيف
قال أنس : ما أريت يوماً قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أريت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما مات قالت فاطمة : يا أبتاه ، أجاب ربا دعاه . يا أبتاه ، مَنْ جنة الفردوس مأواه . يا أبتاه ، إلى جبريل ننعاه
أورد صاحب مجمع الزوائد عن عثمان رضي الله عنه وأرضاه ،أن عمر مر به فسلم عليه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يرد عليه السلام، فذهب عمر إلى أبي بكر فاشتكى عثمان وقال : سلمت عليه فلم يرد علي السلام، فاستدعاه أبو بكر، وقال: يا عثمان! سلم عليك أخوك عمر فلم ترد عليه السلام، فقال : يا خليفة رسول الله ! والله ما علمت أنه سلم علي قال :

لعلك داخلك ذهول أو دهش من وفاته صلى الله عليه وسلم قال : إي والله ، فجلسوا يبكون

وفي الصحيحين من حديث أنس قال : (قال أبو بكر لـعمر رضي الله عنه وأرضاه يا عمر ! اذهب بنا إلى أم أيمن -هذا بعد وفاة رسول الله، وهي مولاة كانت مرضعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، عجوز مسنة كان يزورها صلى الله عليه وسلم في حياته- قال : اذهب بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان صلى الله عليه وسلم يزورها.. يا للتواضع ! يا للتمسك بالسنة ! يا للحرص على الأثر! فذهبا رضوان الله عليهما ، فلما وصلا إلى أم أيمن بكت ، فقالا : ما يبكيك يا أم أيمن ؟ قالت : أبكي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا : أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : والله إني أعلم ذلك ، ولكن أبكي على أن الوحي انقطع من السماء. فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان رضوان الله عليهما)

= الثبات العظيم :

أما أبو بكر فكان غائباً في ضاحية من ضواحي المدينة في مزرعته ، ما يظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوفى في ذلك اليوم ، بأبي هو وأمي ! فسمع الخبر فأتى على فرسه ، وقد ثبته الله يوم أن يثبت أهل طاعته ، وقد سدده الله يوم أن يسدد أهل التوحيد.

فأتى بسكينة ووقار، كان رجل المواقف، ورجل الساعة ، وكان اختياره صلى الله عليه وسلم موفقاً في إمامة أبي بكر ، فأتى وإذا الناس لا يزدادون من البكاء إلا بكاء، ولا من العويل إلا عويلاً ، ولا من النحيب إلا نحيباً، فقال : ماذا حدث ؟ قالوا : توفي رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، مات رسول الله ، أتدرون ماذا قال ؟ قال : الله المستعان ! ثم قال : إنا لله وإنا إليه راجعون !.
ثم دخل وشق الصفوف في سكينة على فرس له ، وبيده عصا ، ويشق الصفوف بسكينة ووقار، حتى وصل إلى البيت ففتح الباب ، ثم أتى إليه صلى الله عليه وسلم، فكشف الغطاء عن وجهه ، ثم قبله وبكى ودمعت عيناه الشريفتان على وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : (بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ما أطيبك حياً وما أطيبك ميتاً ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد ذقتها ، ولكن والله لا تموت بعدها أبداً ، والله لا تموت بعدها أبداً ، والله لا تموت بعدها أبدا).
ثم خرج رضي الله عنه وأرضاه إلى الناس وعصاه بيده، فأسكتهم ، وقال لعمر: يا بن الخطاب ! اسكت
فلما سكت الناس ، وهم ينظرون إلى القائد الجديد الملهم ، إلى هذا الإمام الموفق، إلى هذا الخليفة الراشد ، وهو يتخطى الصفوف حتى صعد المنبر، فيستفتح خطابه بحمد الله والثناء على الله ، ثم يقول : يا أيها الناس ! من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت !!
(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرسُلُ أَفإِنْ مَاتَ أَوْ قتلَ انْقَلَبْ تُم عَلَى أَعْقابكُمْ وَمَنْ يَنْقَلبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُر الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشاكِرِينَ). آل عمران /144
فكأن الناس سمعوها لأول مرة، وكأنها ما مرت على أذهانهم ، ثم عاد رضي الله عنه وأرضاه.

= التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض
ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يجردوه من ثيابه ،
قال علي رضي الله عنه : اختلفنا في كيفية تغسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فألقي علينا النعاس ، ونحن بالماء حوله صلى الله عليه وسلم ، حتى نمنا وإن لحية أحدنا إلى صدره ، فسمعنا هاتفاً يقول : { اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من فوق ثيابه } وهذا سند صحيح ، فغسلوه من فوق ثيابه ، طيباً مباركاً مهدياً ، عليه السلام يوم ولد ، وعليه السلام يوم بعث ، وعليه السلام يوم مات ، وعليه السلام يوم يبعث حياً
وكان القائمون بالغسل : العباس وعليّا ، والفضل وقُثم ابني العباس ، وشُقْرَان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسامة بن زيد ، وأوس بن خَوْلي ، فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلى يغسله، وأوس أسنده إلى صدره
وقد غسل ثلاث غسلات بماء وسِدْر ، وغسل من بئر يقال لها : الغَرْس لسعد بن خَيْثمَة بقبَاء وكان يشرب منها
ثم كفنوه في ثلاثة أثواب يمانية بيض سَحُولِية من كُرْسُف ، ليس فيها قميص ولا عمامة . أدرجوه فيها إدراجا
واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض)
رواه ابن ماجة/1628
فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحداً

ودخل الناس الحجرة أرسالاً ، عشرة فعشرة ، يصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفذاذاً ، لا يؤمهم أحد ، وصلي عليه أولاً أهل عشيرته ، ثم المهاجرون ، ثم الأنصار، ثم الصبيان ، ثم النساء ، أو النساء ثم الصبيان

ومضى في ذلك يوم الثلاثاء كاملاً ، ومعظم ليلة الأربعاء ، قالت عائشة : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ـ وفي رواية : من آخر الليل ـ ليلة الأربعاء

دفن في قبره عليه الصلاة والسلام ، ورد عليه التراب ودفن كما يدفن الإنسان بعدما صلى عليه الناس جماعات وفرادي

ذكر الشوكاني في نيل الأوطار : أن من صلى عليه صلى الله عليه وسلم يبلغون سبعة وثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، من المهاجرين والأنصار ، ما كان لهم إمام يصلي بهم ، بل صلى كل إنسان منهم على حدة، وكان في الصف الأول أبو بكر وعمر ،حفظ من دعائهما رضي الله عنهما أنهما قالا : (صلى الله وسلم عليك يا رسول الله ، نشهد أنك بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حتى أتاك اليقين)

= التـــــركـــة :

وهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات وما خلف درهماً ولا دينارا ، ولا عقاراً ولا قصورا ولا مناصب، وإنما ذهب كما أتى ، ذهب سليم اليد ، أبيض الوجه ، طاهر السريرة ، ولكن خلف ديناً خالداً وخلف رسالة ، مات الداعية ولكن ما ماتت الدعوة ، مات الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ما ماتت الرسالة ، مات

البشير النذير ، ولكن ما ماتت البشارة والنذارة ، ترك لنا تراثا أيما تراث !! قرآناً حكيماً (لا يَأْتيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَ يْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)

وأتى أبو بكر فقال لقرابته ولبناته صلى الله عليه وسلم لما طلبوه الميراث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إنا لا نورث ، ما تركناه صدقة "،

رواه البخاري/3094 ومسلم/1757 والنسائي/4148 واحمد/333

= خاتمة :

فإنه قد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : { يا أيها الناس : من أصيب بمصيبة فليتعز بي ، فإني عزاء لكل مسلم } إي والله تذكر أنه مات ، وأنه صلى الله عليه وسلم عند ربه ، يستشهده الله علينا هل بلغنا ما علينا ؟ ويستشهده الله علينا هل سمعنا وأطعنا أم لا ؟ (فَكَيْفَ إذَا جِئْنَا مِنْ كُل أُمةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلى هَؤلاءِ شَهِيداً) النساء/41

وهـذا آخـر ما يســر الله جمعه

إهــداء وإعــتراف

قال صلي الله عليه وسلم : (ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه أحمد والترمذى وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم 6541

- ومن هذا المنطلق فإني أتوجه بالشكر لأصحاب الفضل الذين أحبهم وهم :

(إلي أبي وأمي وإخوتي وزوجتي وأولادي وأقاربي وأصدقائي وأحبابي) : أسأل الله أن يبارك في أعماركم ويحفظكم بحفظه ويجمعنا وإياكم في جنته ومستقر رحمته .

(إلي أساتذتي وشيوخي من العلماء الأفاضل) : أسأل الله أن يزيدكم من فضله العظيم وأن يبارك في أعماركم وأرزاقكم فلقد تعلمت منكم الكثير فجزاكم الله عني خير الجزاء .

(إلي الدعاة والخطباء ورثة الأنبياء وإلي القراء الأعزاء) : أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بهذا العلم ويرزقنا جميعا الإخلاص في القول والعمل ويجعلنا هداة مهديين غير ضالين ولا مضلين .

(إلي كل مسلم ومسلمة) : تالله إني أحبكم في الله فلا تنسوني من خالص دعائكم بظهر الغيب .

(إلي كل من ساهم وبذل وأنفق من أجل إخراج هذا العمل إلي النور : أسأل الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم وجزاكم الله عني وعن الإسلام خير الجزاء .

وكتبه : حسن بن حمدي جاد

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

محتويات الكتاب (الفهرس)

" تم بحمد الله تعالي "